جهادي الحسين

نموذج المقاومة المغربية في دولة برغواطة الأمازيغية

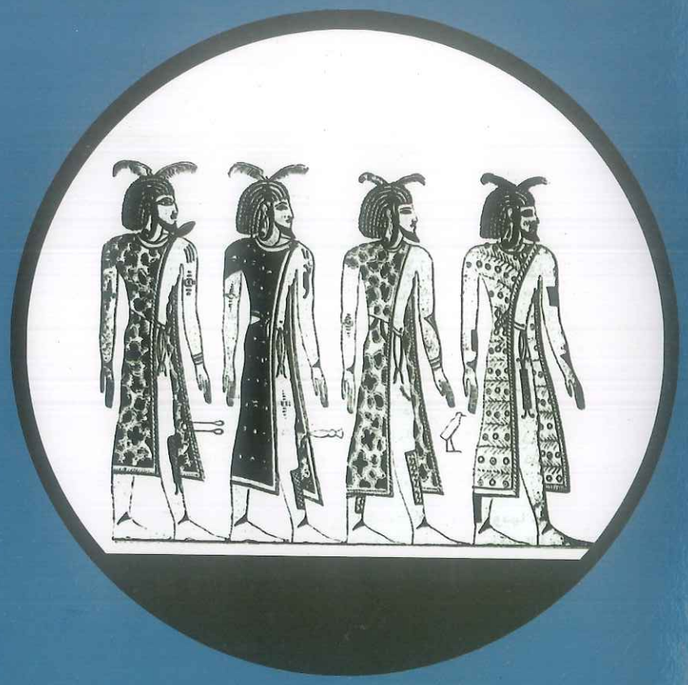

ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵖⵜ ⵜⴰⵎⴰⵣⵉⵢⵜ ⵜⴰⵣⵡⴰⵡⵉⵜ ⵜⴰⵎⴰⵔⵜ

جهادي الحسين

نموذج المقاومة المغربية في دولة برغواطة الأمازيغية

المؤلف

- من مواليد 1942 بالدار البيضاء.
- حفظ القرآن بعدة روايات.
- مجاز في التاريخ.
- اشتغل في التعليم ما يزيد على الأربعين سنة.
- أستاذ باحث، ساهم في معلمة المغرب.
- نشرت له تاغاراسْت ذ. ورقّاس ذ ربّي، وديوان أمازيغيّ : تيماتارين. وله آخر مرقون، ومثله بالعربيّة..
- نُشرت له مقالات في المجلات والصحف الوطنية، وأذيعت له حلقات دينيّة بالأمازيغيّة في رمضان (30 حلقة).
- قام بترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الأمازيغيّة.
- فتح الباري في تمزيغ تجريد البخاري.
- أنعم عليه المغفور له صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بوسام الاستحقاق من الدرجة الممتازة.
- حاصل على الجائزة الوطنية للترجمة من طرف المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية.

100 د.

جُهادي الحسين

نموذج المقاومة المغربية
في دولة برغواطة الأمازيغية

إهـــداء

إلى عائلة جهادي

تـقـديـم

أيها القارئ الكريم، يسرني أن أقدم إليك جانبا من تاريخ مغربنا المجيد، وقد عكفت على استخراجه وجمعه من مظانه، في المصادر والمراجع مدة طويلة، إنه جزء من تاريخ دولة برغواطة في مغربنا العزيز، وهو نموذج من مقاومة دولة مغربية أثارت فضول كثير من المؤرخين الأقارب منهم والأباعد، منهم من تناول هذه الدولة البرغواطية بألسنةٍ حِدادٍ أشِحّة على الخير، فسلط عليها جام غضبه فوصفها مجّانا بكل أوصاف الكفر والضلال ومثالب العصيان، كل ذلك بلا موجب تاريخي،ولا دليل عقلاني، ولا كان شاهدا من شهود العيان، منهم من جهلنا اسمه كعادة الآفاقيين، هدفه نشر التزوير والتكفير والتحريض باسم جهاد لسفك الدماء بلا حساب...

ومنهم مؤرخون أفذاذ قـدَروا تاريخَ دولة برغواطة حقَّ قدْره، وعدوه من مفاخر مقاومة هذا المغرب العتيد: مغرب المسيرات تلو المسيرات، مغرب الإمكانات والإمكانيات، مغرب الحضارات وتعايش الديانات، مغرب الممالك عبر التاريخ ونموذج الحريات، من تامسنا هذه قاومت دولة برغواطة عبر قرون، موطنها سهول تامْسنا وعاصمتها أنـفا. ومن مراكش الحمراء انطلقت المسيرة الخضراء بعبقرية جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه، فحققت انتصارا سلميا بفضل التنظيم والإيمان بالوطن، وبقراءة السبع المثاني

نحن أمة عظيمة ولنا تاريخ مجيد، لكن بقدر ما نصنعُ التاريخَ لا نكتبه، فقد عاصرتْ الممالكُ المغربيةُ حضاراتِ البحر الأبيض المتوسط منذ فجر التاريخ، لكنه ناذرٌ بأقلام المغاربة حتى قيل: " إن الأمازيغ لا يحبون أن يُفتخر بأعمالهم على وجوههم" إن هذه العبارة لا تخلوا من مدح وذم، فكم من أعمال عظيمة للمغاربة حولت مجرى التاريخ ورَدتْ في جملة واحدة!

فقد كان بمدينة فاس زهاء مائة وأربعين كرسيا مارَسَ العلماءُ فيه مُختلِف أنواع المعرفة، ما عدا مادة التاريخ.! وفي معرض المخطوطات بمدينة تيزنيت، كتب السوسيون بإسهاب في جميع الفنون ما عدا التاريخ!. لماذا لا يهتم المغاربة بتاريخهم الخاص والعام؟ تلك عقدة تجب معالجتُها، ففي مستوى الأحداث العظمى، نجد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أجاب **أدفنش السادس** على ظهر كتابه "**جوابك يا أدفنش ما تراه لا ما تسمعه** " فضاعت ثلاث وثائق، وهذا أمير المؤمنن يعقوب المنصور الموحدي أجاب **الفونس الثامن** حول وقعة الأرَك في قطعة صغيرة " **الجواب ما ترى**

لا ما تسمع" وهذا جواب القرامطة للفاطميين " **جوابك وصل، الذي قلّ تحصيله، وكثر تفصيله، ونحن حاضرون إليك على أثره والسلام**" وهذا جواب الملك الشيخ السعدي للسلطان سليمان العثماني الذي طلب بنصره على منابر المغرب فقال لسفيره:" **لا جواب عندني حتى أكون في مصر**" أنا لا أنكر أهمية الرحلات والنوازل وقليل من المبادرات .

والسؤال عندي من أين ابتلي المغاربة بهذه الظاهرة ؟ ظاهرة العزوف عن كتابة التاريخ.؟ من الجواب: أن الفقهاء أسندوا لأبي بكر الصديق "أن التاريخ لا ينفع علمه، ولا يضر جهله" كما سدوا الباب على التاريخ بقولهم "اذكروا موتاكم بخير" أو أن العلاقة مع النصارى لا تستحق العناية، أو أن الإسلام يجب ما قبله، فهل حتى في التاريخ ؟.أو أن التاريخ هو مصدر الفتن؟..

أما في مستوى تاريخ الأعلام المغاربة ،باستثناء " **معلمة المغرب** " نجد معظم عناوين مؤسساتنا أجنبية عن هذا الوطن، كأن جبالنا ووديانا وأبطالنا وعلماءنا وسيداتنا ليسوا أهلا لتخليد أسمائهم حتى في العناوين؟ ألا تدعو هذه الظاهرة إلى **المصالحة مع التاريخ**؟ وذلك بكتابة خيره وشره،

ألم يان لانطلاقة مسيرة **تيويزي** في جمع التاريخ المحلي للجهة؟ كما فعل الفقيه داود في تطوان، وكما نادى بذلك محمد المختار السوسي وطبقه، لأن التاريخ يتعلق بمسيرة الإنسان وتطوره، فتاريخ المغرب من تاريخ حوض البحر الأبيض المتوسط، بل المغرب حوض تصب فيه الروافد، عايش جميع الأمم من ذوي السلطان الأكبر، يمتد وجوده من ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا فصاعدا، فالمغرب لا يعترف بأي بتر اعترى تاريخه وإلاّ فكما تعتري فترات الزّكام معظم الأبطال في ميادين الحلبات، وإن الذين لا يتعاطفون مع معطيات تاريخهم الحضاري، لا يمكنهم أن يعالجوا مشاكل حاضرهم، وبالأحرى أن يخططوا للغد،.وإن موقع المغرب المتميز قد فرض على دوله أن تكون نموذجا للعبقريات، كعهد عاهلنا جلالة الملك محمد السادس أبقاه الله لنا وللجميع.

أيها القارئ الكريم :هذا جانب من مقاومة دولة برغواطة المستمر لمدة 461 سنة على الأقل، وقد بذلت فيه جهدي، أرجو أن يقدره من يدرك صعوبة المصادر والمراجع، وما تراكم بينهما من الاختلالات، فقد وثقت لك ذلك وعينت مظناته للمراجعة عند الحاجة، والمرء فوق طاقته لا يلام، والتاريخ دائما ليس كله ذهبا ولا فضة، واعلم أنه لا يعادي التاريخ إلا من لا تاريخ له، ولا يكره الديمقراطية إلا من تشبع بالديكتاتورية، ومن أضاف التاريخ إلى علمه، أضاف فكراً وعلما وتطورا إلى عمره .والسلام.

مقدمة

الحمد لله الذي فضل الإنسانَ تفضيلا، وميّزه بالنطق على خلقه جملة وتفصيلا. والصلاة والسلام على سيدي المرسلين تعظيما له وإجلالا، وعلى آله وصحبه أفرادا وجماعاتٍ شيوخا وأطفالا.

وبعد: أيها القارئ الكريم: هذا موضوع مرت عليه أعوام وقرون، فتراكمت عليه أقوال وأقلام من الأباعد والأقارب، من المشارق والمغارب، فاختلط ما في المصادر بما في المراجع والموضوع واحد .إنه دولة برغواطة الأمازيغية بتامسنا، وعاصمتها أنـفا: الدار البيضاء الحالية .تلك الدولة التي عاشت وعايشت تيارات فكرية متطرفة.وفتاوي نارية من مذاهب مختلفة، هذا شيعي وذاك خارجي، وآخر فاطمي أو سني أو أموي، وأولئك عباسيون والآخرون أندلوسيون.الكل يدعي الإسلام، ويهاجم أخاه الإنسان، تناقضات في تناقضات.

كيف يمكن معالجة مثل هذا المضوع؟ وكيف ينجو قلم من ابتلي به وبجمعه وفحصه؟ وأمامه سجلات من الخرافات التي سجلها من لا يتقي الله في التاريخ، فكم من مؤرخ نقل ما لا يليق بمستواه، لكنه اضطر إلى ذلك ليحافظ على الخيط الرابط بين الماضي والحاضر، ولا عيب عليه بعد ذلك إذا انتقد ما لا يليق بما وجد.وأضاف وجهة نظره موثقا من ما توصل إليه.

إذ قد تختفي الحقيقة وراء الأسطورة، إلى أن يكتشفها البحث التاريخي، لأن كل أمة بلا أساطير، فلا أصالة لها، وكل دخيل بلا ميراث، فلا إرث له، وهذا هو الفرق بين الأمة والشعب، وبين من يملك التاريخ ومن لا تاريخ له، وقد يكون التقيد بالتلخيص المشروط ، أولى بكل مطول مبسوط ، كما تكون في القليل عظة للأريب، وعمدة لأهل التجريب، والأهم في المثلاث غريب.

وهذا مؤرخ اسمه أبو زكرياء يحيى بن خلدون أخ لعبد الرحمان صاحب العبر في كتاب " بغية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد " لما تعرض لنسب البربر،

أورد أن **حاماً** لما اسودّ من دعوة أبيه عليه، فرّ حياءً من رهطه واستقر بثغر **أسفي بالمغرب الأقصى**، ومات به عن 400 سنة وقيل 771 سنة. وقبره الآن هناك بآسفي"![1] ما هذا التناقض بين الأخوين الخلدونيين في بيت واحد؟ وأكبر منه ما سجله الكانوني بدون تعليق، إن البحث التاريخي يصعب عليه أن يقبل طول الأعمار إلى هذا الحد، ما عدا إذا كان طول السنين عندهم غير ما تعارف عليه الناس اليوم، وإلا فكيف ينقل المؤرخون ذلك بلا نقاش؟ والبحث العلمي في الخلايا الجذعية لتطويل الأعمار غير معروفة في عهد نوح عليه السلام، من حق المؤرخين أن يتترسوا بمبررات من سبقهم تقية من مجتمعهم، مثل " من حكى قول الناس، فما عليه من بأس" وكقولهم: " من اقتدى بعالم لم يذنب"؟ وكذكرهم "حاكي الكفر ليس بكافر" كل هذه من عبقريات المفكرين ضد المتزمتين، وذلك ليس خاصا بمجتمعنا القريب أو البعيد، بل هو من الموروثات التي تنتقل من عصر إلى عصر، كما تنتقل الجينات من الأجداد إلى الأحفاد، فقد جاء في الإصحاح هكذا "اعلموا أن كل نبوءة واردة في الكتاب، لا تفسر باجتهاد خاص" وما علينا إلا الاقتداء، فكيف بمن له سند لقوله تعالى " ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما"[2]، وهناك من يزيد في عمره إلى ألف عام.

وفي عصرنا علماء منكبون على الخلايا الجذعية من أجل تمديد الأعمار.في مختبرات في شرق الدنيا وغربها ؟ وفي الإصحاح الخامس من سفر التكوين أن "أخنوخ : نوح عليه السلام عاش 365سنة" ولا ضير إذا عاش ولده حام طويلا، ودفن في مدينة أسفي عندنا بالمغرب حسب ما سجله الفقيه الكانوني غفر الله له، مع أن العبرة من الآية قبل البحث المذكور، هي لكي لا يأسف الرسول (ص) ولا يقنط ، فإن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء.

فكم كنت متعجبا من أن يجمع العصر بين الأخوين الخلدونيين المؤرخين في مستوى ابني خلدون: يحيى وعبد الرحمن فالأول ينقل الخرافات، والثاني يغربل الأحداث ويؤلف المهمات، إلى حد يمكن الشك حتى فيما نسب لأخيه، - وإن كانت المعاصرة

[1] الكانوني.
[2] العنكبوت الآية 14.

تمنع المناصرة - وقد انفرد صاحب العبر بفكر مستنير، بينما اقتنع صاحب بغية الرواد بتقليد لا حظ للفكر فيه ولا مزيد.

فقد أصر صاحب العبر، على أن يشير - منذ بداية المقدمة - إلى إدراكه أنه يقوم بعمل مبتكر قائلا: ".واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة، أعثر عليه البحث، وأدّى إليه الغوص"؟....وقد ساء ابن خلدون أن يرى كتب التاريخ حتى عصره لا تشمل سوى سجلات طويلة لأسماء الأفراد والأسرات، وقوائم لا نهاية لها لأحداث ثانوية. فأراد بعقده للمقارنات واختياره للمشابهات، أن يصل إلى تحديد الأسباب الحقيقية للأحداث والعلاقات الحتمية بين مختلف أنواع الوقائع التاريخية[3].

هل صدق من قال؟: "إن التاريخ أخطر إنتاج أنتجته الكمية الذهنية، فهو يُهيّج الأحلام، ويُثمِلُ الشعوب، ويولّد لهم ذكريات موهومة، ويزيد ردود فعلهم حدّة، ويغذّي جراحهم القديمة، ويُعكّر عليهم صفو راحتهم، ويقودهم إلى الهذيان بالمجد أو بالاضطهاد، ويجعل الأمم تشعر بالمرارة والعجب، ويصورها لا تُحتمل زهواً بنفسها"[4].

ذلك رأي الأستاذ المحترم، ولماذا لا يكون تسجيل التاريخ بأمانة تنمية للذاكرة الإنسانية؟ ومعالجة للأحداث التاريخية، ومحاسبة للظالمين حتى لا يُعيد التاريخُ نفسه في نفس المظلومين؟ فهل من الوهم والهذيان طلب إرجاع الحقوق إلى أصحابها؟ وهل من إيقاظ الضغائن رد الاعتبار أو قولك للظالمين كفى؟ إن التاريخ جزء من حياة الأمة، ولا يُعادي التاريخَ إلا من لا تاريخَ له، ولا الديمقراطية إلا من تشبّع بالدكتاتورية، فالتاريخ مرءاة الماضي، ومفتاح المستقبل، ومن جهله ضل، ومن زوّره غوى، ولا ميراث بدون تاريخ. ولذلك قيل:

فالتاريخ صعبٌ سُلّمُه *إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمُه * زلّت به إلى الحضيض قدمُه

ومع ذلك فما العيب من إيراد تبيان للحقيقة، وتعميما للفائدة، ليتمكن القارئ الكريم من صورة تقرّبُه إلى الحركة البرغواطية كأقدم دولة مغربية قاومت لعدة قرون؟ فهل هي تقليد للشرق؟ أم هي ابتكار مغربي محض؟ وهل لقرآنهم ما ينافس "القرآن الكريم"؟

[3] جوستوان بوتول ص 33.
[4] دراسات محمد الطالبي ص 54.

أو هو مثل قرآنات العرب المرتدّين في جزيرة العرب منذ بداية الإسلام؟ أو أن ما سمي بقرآن برغواطة ما هو إلا تشريع أمازيغي شامل، استغنت به دولتهم عن غيرها؟ فحوربت من أجل ذلك، ومن أجل احتلال وطنها تامسنا الغنية اقتصاديا، وهي أعظم ما في المغرب الفلاحي؟.

وللسير في هذا الاتجاه، لا بد من استبعاد ترداد من لا يرى إعادة كتابة التريخ، وإن تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال، وإن تطورت الأفكار، وتقاربت الأقطار، وإن انتشرت العلوم وبرزت قيمة الإحسان والإنسان، ففرض التضامن نفسه بين الغني والفقير، فازداد التفاهم بين المذاهب والأديان، بفضل انتشار التعليم ووسائل التبليغ، " فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر"

فبدون التاريخ، لا تصح براعة الاستهلال عند الإنسان، ولا بداية استقلال الأوطان، إذ بالتاريخ نعرف من نحن في الوجود، ومن نعاصره ويعاصرنا في الماضي والحاضر قصد التعاون المثمر بلا حدود، وبالتاريخ أدركنا تطورا عايشته الإنسانية وعايشته أمة قد مرت على هذه الأرض التي نحن عليها، منهم أجدادنا الأمازيغيون الليبيون البرغواطيون المرابطيون الموحديون والمرينيون ومن سبقهم من الموريين المغاربة المعتزّين بمقدساتهم وتوابثهم المستمرة عبر التاريخ.

فما العيب في ارتباط أجداد العرب بصحرائهم حتى أغنتهم اليوم؟ وما العيب في انتمائهم إلى أجدادهم العاربة - وإن غبرت - كطسم وجديس، وعاد وتموذ؟ أو تشبثهم بالمستعربة وهم خليط كخليط المترادفات في اللغات المتداولة، ومع ذلك حافظوا على مميزات منها التحدي في الجاهلية والإسلام، وقد تحدّتْ لغتهم في الجاهلية حتى " القرآن الكريم " ولو بلغة اشتهرت على ألسنة الناس، وليست من تدريس أصولها ومصادرها، فكان "النص القرآني هو المسلم " ولذلك فشل المتنبئون منهم في تحدي القرآن الكريم بأسجاعهم المسماة بقرآن فلان وفلانة، مما يثير الضحك حسب ما وصلنا من كُتّاب يتحملون عهدة ما نقلوا؟!؟

نحن لا نريد أن نتشعب في الموضوع، ولا نرغب في أن نكون أسارى منهجية الجامعيين، ولكن نلتمس قليلا من الصبر كما صبرألو العزم على الاستطرادات التي أوردناها وهي ضرورية كمتجول في مدينة عريقة في القدم، مرت فيها أقوام كانت

عبقريتهم أعظم من مقاومتهم، وقد تكون سيئاتهم لا تقل عن حسناتهم، إنه تاريخ تامسنا، إنها برغواطة، إنها أنفا التي شاءت الأقدار أن يمر فيها آخر شاهد لعل ذاكرته تجود بالشكل العام كما يتراآى له من الشفق البعيد.

هذا إذا صح أن ذاكرته مثل المعدة، إذ مع الأكل تأتي الشهية، ومع البحث في مظناته تبرز خيوط الماضي، ولم يبق للباحث إلا أن يضع كل لبنة في محلها قدر المستطاع، فالأحجار تتكلم لمن يحسن الاستماع إليها، والمكتشفات تدل على بصمات أقوام سبقت إلى عين المكان يجب الاعتراف بهم، وما علينا إلا ربط خيوط الماضي بتقدم الحاضر، لفك ألغاز اللاّوعي التقليدي عن الموضوع، فالبحث التاريخي لم يعد ينسجم مع ما "قيل ويقال" ومراجعة الماضي ضرورية لبناء المستقبل، فمن الجذاذات تتكون التراكمات، وبالتمحيص يظهر الصافي من المغشوش، وبالمقارنات والمقابلات، تتضح الأشياء، وينجلي الصبح لذي عينين

أهمية شمال أفريقيا تامازغا : نظرا لما يتوفر عليه هذا الإقليم من إمكانات طبيعية وإمكانيات بشرية، كان من الطبيعي أن يستوطنه أقدم إنسان إفريقيا الذي منه الأمازيغ، وفعلا أثبتت الاكتشافات أن هذا الوطن لم يكن أرضا خلاء، ومن أقدم مواصفات مواطن شمال أفريقيا هذا الإنسان الإفريقي الذي منه أجداد المغاربة ولو بأسماء مختلفة، وبالأمازيغي ذكرهم المؤرخ اليوناني هيكاتايوس: hekatais في القرن السادس ق.م وهيروضوت herodotos في القرن الخامس ق.م .ومن الأسماء المطلقة على شعب هذا الوطن الممتد من المحيط إلى النيل، ليبوlibye في ليبيا وقد عرف منذ حرب ضد المصريين سنة 1227 ق.م ثم ظهرت أسماء أخرى مثل الموريين mauruia والإفريقيين والبربر: berberes ثم ظهرت أسماء القبائل الكبرى فسجلها ابن خلدون سوية " في أيام العرب والعجم والبربر" وهؤلاء البربرعند ابن خلدون، هم الأمازيغ الأحرار، أهل هذا المغرب الكبير، لم يأتوا من أوروبا ولا من الشرق، ولا من تيكساس، ولا يريدون ذلك، رغم محاولة استلحاقهم " وإنما كان ذلك صادرا عن رغبات سياسية "[5].

[5] لمحة عن ثلاثة وثلاثون قرنا من تاريخ الأمازيغيين محمد شفيق ص14.

من هم برغواطة؟ "لا يصح القول بأن أرض المغرب كانت منعزلة عن العالم، كما ليست جزيرة بين البحار والرمال، بل هناك اتصال الشمال بالجنوب، كما يستفاد من العربات المنقوشة على الصخور تجرها الخيول حتى السودان الغربي عبر تابريدا .ونقرأ في سطيفان كَزيل فصلا طويلا عن الممالك الأهلية (الأمازيغية) بتنظيمها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وقد يخطئ من يظن أن المغرب لم تعد فيه حضارة الأجداد، وطقوس الماضي بلا أعداد..

.وقد أورد الأستاذ ديزانج: desanges أن قبيلة أوتولولي : autoloes كانت منتشرة في السهول الأطلنتية بين بوركّراك وتانسيفت الحاليين[6] " وهذا الموقع هو موطن برغواطة في آخر عهدها وحصارها، وهي دولة أمازيغية مصمودية مغربية استمرت أكثر من أربعة قرون، وصفها البعض بإعجاب وتعجّب، كما وصفها الآخرون ببهتان وحقد وتكفير، وبمرور الزمان، تراكم إسقاط مثالب غيرها عليها، فعرفت بدولة برغواطة، لماذا هذا اللقب؟ ومن أطلقه ؟ ولماذا وقع الاختيار عليه؟ وما الهدف من وراء ذلك؟ وباختصار، فهل ذلك من أجل التقليل من شأن دولة برغواطة؟ أوالتشكيك في أصلها وفصلها ووجودها؟ أوالحط من ثقافتها وشريعتها؟ أومن أجل إبراز مجوسيتها ويهوديتها ونصرانيتها وإسلاميتها؟ وبالتالي تكفيرها قصد محاربتها واستحلال دمها واستلاب موطنها واستغلال اقتصادها بتامسنا؟

لماذا كل ذلك؟ مع أنها من إحدى الدول المغربية الأمازيغية مثل مصمودة، وزناكة، وزناتة قبل أن تحل الألقاب الأخرى محلها كالمرابطية والموحدية والإدريسية والفاطمية وكلها مغاربية بألبسة عربية شرقية لم تدم أي واحدة منها أكثر من دولة برغواطة..

فما الداعي إلى كل هذه المصطلحات؟ فهل لكي ينسى وطن الأمازيغ شمال أفريقيا؟ لذلك تعرض لعدة تغييرات حتى في الأسماء، منها كلمة سوس الأدنى (تونس) وسوس الأوسط (من شلف إلى ملوية) وسوس الكبير (من تازة إلى تاانسيفت) ثم سوس الأقصى (ما وراء الأطلس الكبير) ومعنى سوس في الأمازيغية هو السهل الكبير

[6] شفيق لمحة ص 10.

المحاط بالمرتفعات، وحتى كلمة سوس هذه ألحقوها بكلمة فارسية تسمّى souz لكي لا يكون أي شيء أصلا في وطن تامازغا.!

كما أطلق على هذا الوطن المغاربي بلاد البربر، فأكِلَ الأمرُ للمعاجم اللغوية في ضبط المصطلح، فمن شاء غرّبه، ومن شاء شرّقه، ومنهم من عمّره، ومنهم من خرّبه، ومنهم من قسمه إلى الأدنى والأوسط والأقصى، تقليدا لعهد الرومان، ومنهم من استعمل شريط الليمس الروماني بين الشمال والجنوب، وأخيرا المغرب النافع وغير النافع، ومع ذلك فالمغاربة في وطنهم " شمال أفريقيا" وهو حيٌّ نابضٌ فاعلٌ لا تنال منه الألقاب، ولا تغيره الكنيات ولا تزوير الأحساب، معروف عبر التاريخ بين الأمم بصدق وتفتح وإعجاب، موطن الأصالة وعرين المقاومة وكريم الأنساب، إنه المغرب ."الذي لا يزال إلى اليوم صامدا أمام اكتساح التاريخ"[7].

أما الأعلام الجغرافية في وطن تامازغا فقد جال وصال فيها التغيير رغم اهتمام "المؤتمر العالمي لتنميط الأسماء الجغرافية في كل أمة من الأمم، واحتج الخبراء في مؤتمر جنيف (أكتوبر 1986م) بكلمة :plin l ancien من أهل القرن الأول الميلادي إذ يقول: إن أسماء الشعوب في إفريقيا من الصعب جدا أن يُنطق بها كما هي، اللهم إذا كان ذلك بلسانهم"[8].

فدولة برغواطة صامدة مصمودية، لها تاريخ مهاب، طويل أكثر من 461 سنة كما سجله خصومها، أما ما قبل كناش حالتها المدنية، فلم يكتشف معظمه بعد، وتدل كثرة تداول الأسماء على عراقة هذه الدولة المغاربية وإنسيتها الوطنية، التي لا يريد الآخر استمرارها، بل يجب أن يتوقف ذلك.فقد سميتbarbari les lebou الموريون وبلاد البربر والغاية من تداول الأسماء مهلهلة الأصل، فقاوم هذا الوطن والمواطن إلى أن تحقق في عهد جلالة الملك محمد السادس ملك المغاربة تأسيس دستور فريد للمغاربة سنة 2011م بانتماء هذه الأمة إلى **المغرب الكبير**.

فقد بُذلت جهودٌ كثيرة في طمس الأصالة المغاربية، ولكن كيف؟ ومن أين يبدأ ذلك التخلخل؟ فبدؤوا بإزالة أسماء الأعلام كاسم برغواطة مثلا؟ ذلك الوجود الطنان

[7] أندري جوليان ص 15.
[8] التاريخ الدبلوماسي للمغرب المجلد الثامن ص 48.

المستمر كل تلك القرون؟ كما فعلوا في إسم الأمازيغ "النبلاء الأحرار" من الليبيين إلى كلمة (البربر) ومشتقاتها المنفّرة، والأمازيغ لم يعترفوا بما يدل على الهمجية كما لم تعترف دولة برغواطة المصمودية في تامسنا بما قيل عنها إذ لم نتوصل بنص يقيني بإثبات كفرهم.ولكننا توصلنا بمقاومتهم، وبالمحافظة على هويتهم.

فما هي المجهودات التي بذلها الفاتحون الأولون؟ **إلا السيف والإثخان فيهم**، حتى اسم برغواطة جهلوا معناه، فقاموا بتحريفه وطبقوا نفس منهجيتهم في كلمة (بربر) ومرجعهم في ذلك " أبو العباس فضل بن مفضل المذحجي الأندلسي أن أخلاف طريف كانوا من أصل برباطي الذي ليست كلمة برغواطي التي اشتق منها اسم برغواطة"[9]. ومن ثم تشعبت الاقتراحات، والهدف هو تكريس الضبابية على تاريخ دولة مغربية مقاومة لمدة أكثر من أربعة قرون، تحت اسم برغواطة ، كما قاومت الدولة المنسوبة إلى مولاي إدريس ببيعة إمارة واليلي له سدا لذريعة اتباع الشرق، فأعلن الغرب مقابل الشرق.

لكن من عادة العرب أن يقلبوا الأسماء ويغيروا الحروف كلما اصطدموا بلغات غيرهم، وقد أورد الأستاذ أحمد التوفيق في التشوف إلى رجال التصوف[10] " قال ابن دحية في المطرب عن ذكر إنشاد لموسى بن عيسى **البلغواطي** - باللام وليس بالراء - والأصل الصحيح لهذا الإسم فهو بلغواطن ومعناه المنحرفون، وهذه القبيلة يقال لها: بلغواطة والذي نص على أنها بالراء هو ابن حزم " والمزيد في المرجع المذكور[11].

متى ظهرت دولة برغواطة : من الصعب تحديد بداية زمن دولة الأغواط ، ما لم يهتم البحث التاريخي بقدم تاريخ المغرب، وأصعب من ذلك قبول من يؤرخ لظهور هذه الدولة إلى عهد صالح بن طريف، وذلك لربط ظهورها بالردة والكفر وبالخوارج والمذاهب الشرقية، مع العلم أن من تنبأ فيهم كان بمحاكاة ظهور نبينا محمد (ص) بمكة، وهناك من يرجع رحلة العلماء الركّراكّة الأمازيغيين (الأحرار) المسيحيين إلى بداية ظهور الرسول محمد (ص)، وغايتهم هي الاطلاع على رأيه في عيسى ومريم عليهما السلام، وذلك ما وقع بين ملك الحبشة المسيحي، وبين هجرة المسلمين

[9] دراسات محمد الطالبي ص 10 + ابن خلدون ج 6 ص 433+ الناصري ج 2 ص 18.
[10] ابن دحية في المطرب ص 88.
[11] أحمد التوفيق التشوف ص 52.

الأولين إليه من مكة بإذن من الرسول (ص).لأن المسيحية كانت منتشرة كذلك في شمال أفريقيا منذ عهد الدوناتوسْت، كما انتشرت في الحبشة منذ عهد البزنطيين، لكن الشرق لا يريد ذلك.ولا يقبل حتى سبق اليهودية والمسيحية دخول الإسلام إلى تامازغا.

أما من نص على أن بداية دولة برغواطة هو 461هـ / 1068م: فيرجع ذلك إلى عهد تمزق الإمبراطورية الإسلامية شرقا وغربا، فصار كل طموح يكون إمارته من هنا وهناك، فاستيقظت الشخصية المغربية بدورها من مصمودة تامسنا التي لها إمكاناتها وإمكانياتها في إقليمها الواسع الغني المفتوح على جميع الجهات، فانتعشت فيه تلك الأصالة المغاربية، آخذة بمذهب التفتح المستطرف، من كل مذهب مستظرف، مما جعل برغواطة مستمرة ومقاومة كل تلك القرون القديمة، لكن بعض الباحثين لا يريدون التوغل في اكتشاف الماضي.الأمازيغي؟!.

تشريع برغواطة: إن ما قامت به دولة برغواطة ليس صدفة أو طفرة أو تهدئة، لكن ذلك ثورة جذرية عميقة شاملة، فهي ليست دنيوية مادية فقط ، ولكنها دينية روحية صوفية فلسفية كذلك، **وقد** أكدت المراجع عن المصادر، أن لبرغواطة تشريعهم المحلي الواسع، به تُسيّر دولتهم عرفيا ودينيا ومدنيا وعسكريا واقتصاديا وأخلاقيا وعادات وتقاليد، ومن طبيعة الحال ان يكون (أزرف) العرف أول مصدر من مصادر تشريعهم، بالإضافة إلى ما تشبعت به دولة برغواطة مما توصلت به من الديانات السماوية، كاليهودية والمسيحية والمحمدية، هذا إذا قلنا بعدم توغلها في القدم.فاليهودية كانت منتشرة في المغرب منذ هروب موسى من مصر إلى الشرق، ومن الطبيعي أن يلتجئ من تخلف عنه بمصر إلى وطن الأمازيغ، والمسيحية كانت شعار الدوناتوست ضد ظلم الرومان، وبالكتاب والسنة الإسلاميين احتج أعيان الأمازيغ، لدى خليفة الشرق هشام بن عبد الملك الأموي قبل ثورتهم على سلطات بني امية في وطنهم تامازغا. ومعنى ذلك أنهم كانوا متشبعين بالديانات التي يجب الإيمان بها إن لم نقل كانوا مسلمين مكعّبين دينياً.

ثقافة دولة برغواطة: نستنتج مما أمدتنا به المراجع، أن برغواطة كان عندها "العلم العظيم" وهذه العبارة هي التي وصفت بها مملكة بلقيس باليمن. "ولها عرش

عظيم" وفي القرآن الكريم "قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم"، فقد كانت هذه العبارة رائجة في الشرق الأوسط ، .وبذكرها يغري المؤرخون الجوالون أهل الشرق بما عند برغواطة، مع العلم أنها لم تسد الباب اعتمادا كليا على الإنتاج المحلي الصرف؟ وإن كانت لها مميزات وإمكانات تستطيع أن تستغني بها عن ثقافة الغير ، لكنها لم تفعل، لكي لا تقطع الصلة بالماضي العقدي مما يدل على تفتحها، فعنونت سور قرآنها الثمانينات باسم من مضى من الأنبياء والمرسلين....

أما مصادر تشريعها ففي أزرف الأمازيغي المادّي كفاية في تسيير المجتمع بكامله، فقوانين العرف الأمازيغي مرنة، تتكيف مع الزمان والمكان والأحداث، ومع ظروف الاقتصاد وحياة المجتمع، فبمجرد ما تحدث للأمازيغ قضية، إلا ويجتمع الأعيان "إنفلاس" لإصدار قوانين مناسبة لحل القضية بما يناسبها. **طقوسية دينية كانت أو غيرها** : ومما لا شك فيه أن مجتمع دولة برغواطة سبقت إليه اعتقاداتٌ وطقوسٌ وعاداتٌ قديمة، فتطورت الصالحاتُ منها وتركزت، بينما تلاشت الأخرى وتبرعثرت، إما جزئيا كأساطير الأولين، أو ما بقي منها مستمرا يدل على قدم مجتمعهم في موطنهم، فهناك عدة أماكن محترمة في تامسنا تزار حتى الآن ؟.

انتشار الديانات السماوية في برغواطة: منها اليهودية فالمسيحية ثم المحمديّة، وعندما بدأ الغزو الإسلامي في شمال أفريقيا، استقبله الأمازيغ بسؤال عن الهدف من هذا الغزو الزاحف على وطنهم، فكان جواب الفاتحين هو تبليغ الإيمان بالله وحده، وهذا لم يكن غائبا عن عقيدة الأمازيغ، فقد بشرتهم به الرسالات السماوية، ومن هنا فتح الأمازيغ باب وطنهم تامازغا للفتح الإسلامي في عهد أبي المهاجر مع كُوسيلا، وليس للغزو في ولاية عقبة الثانية، فكان الأمازيغ في مقدمة المُبلّغين لقومهم الدينَ الخاتمَ لما سبق، وقد أسلم ملكهم كُوسيلا الأوربي من النصرانية إلى الإسلام، إلى أن تحركت النخوة العربية " فقدم عقبة بن نافع في ولايته الثانية سنة 62هـ فاضطغن على كُوسيلا صحبته لأبي المهاجر، فاحتقره ونكّبه"[12].

[12] الاستقصا ج 1 ص 82.

دولة برغواطة بين القوة والضعف: حاول البعض أن يحاصر هذه الدولة في مجال ضيق، تقليلا من شأنها، فحاصروا مجالها في إقليم تامسنا وحدها، والحق أن مجال هذه الدولة في أوج قوتها كان يشمل أو على الأصح، يخضع لها معظم المغرب الأقصى حاليا، بما فيه سجلماسة وماست وطرق القوافل التجارية نحو الصحراء الكبرى في الجنوب قبل تدخل المذاهب الشرقية، أما في الشمال، فقد أورد البكري قائلا: " قبائل برغواطة الذين يدينون لهم، وهم على ملتهم، جراوة وزواغة والبرانس وبنو أبي ناصر ومنجصة وبنو أبي نوح وبنو واغمور ومطغرة وبنو برغ وبنو دامّر ومطماطة وبنو وازكسينت ..وممن يدين لهم من المسلمين وينضاف إلى مملكتهم زناتة الجبل وبنو يلیت وغمالتة وبنو واوسينت وبنو يفران وبنو ناغيت وبنو النعمان وبنو أفالوسة وبنو كُونة وبنو يسكار وأصّادة وركّانة وإزمين ومنادة وماسينا ورصانة وترارتة"[13]، وهذا نص يشمل المغرب بكامله، وإن أصر البعض على تقليصه.

وبمرور الزمان، صارت سلطة دولة برغواطة تتقلص وتنحصر في السهول غرب سلسلة جبال الأطلس، وقد يرجع سبب ذلك التقلص، إلى امتداد عمر هذه الدولة، وإلى رفض ما تفرضه من ضرائب على سكان الجبال، لتموين قوتها الدفاعية كل سنة إلى سنتين، بالإضافة إلى جبايات سلطة برغواطة المركزية، إلى أن ضعفت فاكتفت سلطتهم بالحكم على الدير (سفوح الجبال) بحدود أغمات وتادلا ثم السهول الأطلسية من ماست جنوبا إلى طنجة وسبتة وطريفة شمالا، ثم صار ذلك المد يتراجع إلى أن حوصر في إقليم تامسنا التي من مدنها الكبرى أسفي وأزمّور وأنفا وشالاّ، ثم استمر ذلك التراجع إلى انحصارها فيما بين وادي مّوربيع في الجنوب، وبورگراگ في الشمال، وسيأتي يوم يكتشف فيه البحث التاريخي ما ذكره المؤرخون من "أربعين مدينة وثلاثمائة قصر في تامسنا وحدها " فإذا صحت هذه المبالغة العمرانية، فما هو المدلول اللغوي لكلمة تامسنا إذا لم تدل دلالة قوية على الغنى والعلم والعمران ؟!

معنى تامسنا: لا شك أن هذا الاسم أمازيغي صرف، ومن مشتقاته توسّنا العلم: وتاواسّنا: المعرفة وماسّي: (السيد) وماست وماسّينا، الدالة كلها على العلم والمعرفة والحضارة والعمران والاستقرار وتوفير المياه؟ .أليست دولة برغواطة موصوفة عند

[13] المسالك والممالك البكري ص141.

المؤرخين "بالعلم العظيم والكثير على حد قولهم "بما فيه علم النجوم والسحر والكهانة واليهودية والنصرانية والخوارج والشيعة والمعتزلة وخليط من التيارات المذهبية كما ذكر في معظم المراجع. **بلى**. قد كان ذلك وزيادة، والدليل على ذلك استمرار هذه الدولة بحضارتها كل تلك القرون.

عاصمتها الكبرى أنفا: (الدار البيضاء حاليا) وباكتشاف هذا الاسم، اكتشف الأثر والموقع، وباكتشاف الموقع برزت مفاتيح كثيرة لفك الألغاز، فصار كل شبر من الموطن ينادي ها هنا الحقيقة، ها هنا الدليل، ها هنا التاريخ، ليست كلمة أنفا الأمازيغية وحدها في موطن برغواطة، بل هناك أعلام أمازيغية حتى الآن. منها أسيف مرزيگ (واد لمالح) في غرب المدينة وآخر في شرقها، وهناك مرس السلطان في وسط المدينة، (مخزن الحبوب) وهناك غْبيلا تاغبالوت عين صغيرة بها سميت المقبرة، وهناك فضالة القبيلة وزناة القبيلة ومادیونة القبيلة وكلها أمازيغية، وهناك أسيف بوسْگورى، وهناك تيطْ ملّيل (وملّيل معناه هنا " سهل منبسط ذو تربة سوداء تسمّى بملّيل البيضاء تفاؤلا عند برغواطة بدل السوداء[14].

إن البحث ضروري حاليا للعثور على دليل مادي عن معظم ما قيل، ما دام وجود دولة برغواطة الأمازيغية لا يمكن إنكاره، ولا الشك في وجود تلك الدولة الفريدة من نوع مقاومتها، سواء كانت مصمودية أو ژناگية أو زناتية أو خليطا من الجميع، فهي واقع قد حققت الاكتفاء الذاتي في كل شيء، حتى إن برغواطة قد خلقت (قرآنها الخاص بها، أي شرّعت تشريعها المعمول به بدون واسطة الغير) وذلك بلغتهم، فاستمرت أكثر من أربعة قرون،.(461 سنة) أليست عاصمتها "أنْفا":**"anfa"** بتفخيم الفاء.الدالة على الرفعة والارتفاع، أو على منعرج الهضاب المطل على السهول؟ أليست تامسنا من لغة مصمودة ؟ بلى.ومن العجيب أن هذا العنوان العريق في القدم استطاع أن ينجو من إلحاقه بالفينيقيين أو الرومانيين أو ممن تلاهم من مغيري الأسماء المغاربية وتبديلها، كمصيبة أصابت هذا الوطن في صميم معجمه الجغرافي.

فحتى المهدي ابن تومرت، تبنى نسخ الأسماء الأمازيغية الأصلية، فبدأ بتغيير أسماء البشر تقليدا لما أتى به من ثقافة الشرق، وقبله فُرض "الاسمُ فالكُنية فاللقب بالعربية"

---

[14] عن كتاب إخبار الأحبار، بأخبار الآبار، الديماني ص49.

فنسيت العلاقة بالماضي الأمازيغي، التي تربط الشخص بالمكان، مثل أدوگالي، أزناگي، أسوسي، أزاياني ، أريفي، أصحراوي، أفيلالي...وبما أن المهدي الموحدي "يجتمع مع النبي (ص) من جهة أبيه وأمه في عدنان، فإن الشعر كاف في إلحاق أعيان الموحدين كلهم بالدوحة الشريفة"[15]، ناسين أو تناسوا حديث : "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار".

ثم جاء الفكر البعثي عن "مشيل عفلق" فبالغ في تغيير أسماء الأعلام والوديان والشوارع، ثم صار هذا التقليد متداولا، مثل تامسنا وأنفا ثم كازا، ثم البيضاء ثم حل تقسيم قانون الجماعات محل الانتماء القبلي، وفي قمة الأطلس نجد "لاسورس، عين، أغبالا"، لعلم واحد. والعجيب أن تلك الأسماء تدل على التسلسل التاريخي لهذا الوطن الأمازيغي انطلاقا من الحديث الفرنسي فالعربي قبله ثم الأمازيغي الأصيل، وهكذا في مدينة زالاغ، إلى بني خولان، إلى زواغة إلى فاس، إلى الإدريسية وقس على ذلك تغيير أسماء المدن، أما معظم المرافق فشرقية عامة!؟!

غزو برغواطة بمصطلحات شرقية:

المجوسية: مذهب ديني قديم جدا، مرتبط بإحراق القرابين التي تقدم للآلهة . يراجع العهد القديم في ذبيح إبراهيم عند بير السبع بفلسطين، ثم انتشرت هذه الطقوس عند العبريين وعند بلقيس باليمن " **وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله**"[16]. وعند الفرس وعند الفنيقيين، ثم قامت ثورة فارسية مجوسية ضد العرب، فاكْتوتْ بها دولة العباسين، وخاصة بعدما قتل الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي عمدتَه ومؤسس دولته أبا مسلم الخراساني، فشاع هذا المصطلح، والمجوس هم أمة كانت تعبد الشمس أو النار، وإطلاق ذلك على دولة برغواطة لا دليل له، كوجود معبد للشمس في المغرب كله، وفي تامسنا بالذات، كما لم يعثر أحد حتى الآن على محرقة بالنار في وطن برغواطة، أومقبرة تشير إلى صلة بطقوس المجوس على ما نعلم حتى الآن في سهول المغرب وجباله.لكن بعض النقالة المتشددين لا يميزون ما بين طقوس برغواطة الفلاحية، وما بين دخيل كإله زحل في مدينة واليلي في عهد الرومان..

---

[15] المقتبس من كتاب الأنساب،في معرفة الأصحاب ص 20.

[16] سورة النمل ص 24.

والدليل على ذلك أن عقبة بن نافع ومن جاء بعده، لم يعثر على عبادة المجوس المجسدة في شمال أفريقيا كلها- حسب ما اطلعنا عليه - ابتداء من برقة في ليبيا، إلى أسفي بالمغرب، ما عدا طقوس عليسا الفنيقية اللاجئة من لبنان إلي تونس بقرطاجة المتدينة بالمجوسية الشرقية، وذلك حوالي سنة 886 ق م. لكن قلم بعض المؤرخين سيّال في نقل ما تعلق بمخيلتهم وبمثالب ثقافتهم في شرقهم ليعمموه على هذا الوطن، كما في كتاب الاستبصار بلا حشمة ولا خجل، ومعظم ماذكر،كان ملصقا باليمن الشيعية من طرف خصومهم.

مع العلم أن مذهب المجوسية كان منتشرا في آسيا قبل الإسلام، فسهل إلصاقه ببرغواطة البعيدة عن معبودات المجوس التي منها الشمس والنار، بينما وجد المسلمون في وطن الأمازيغ انتشار فكرة التوحيد، بسبب انتشار اليهودية والمسيحية فيه منذ قرون، أما المقصود بوجود المجوسية في شمال المغرب، فيقصد به ما ذكره الفقيه **السليماني** إذ قال:

"جاءت قبائل المجوس من الجرمان شرق أوروبا، ونزلوا في ريف المغرب الأقصى، وبقي عقبهم مختلطا بزناتة قلعية المعروفين الآن"[17]، ثم روج البعض ذلك على برغواطة ، وعلى كل من طالب بحق الأمازيغية في وطنها شمال أفريقيا، والسليماني هذا هو الذي روج نسبة طارق بن زياد من اللمطي أو النفزي إلى الليثي، ونسب طريف إلى والده عمرو النخعي، كما نشر الخطبة الرنانة المحدثة التي ألقيت على ثلاثة عشرة آلفا من البربر وثلاثمائة من العرب، فهل هذا معقول؟ نقل الفقيه ذلك كله بدون علامة استفهام؟[18].

الزندقة: وهي الكفر باطنا مع التظاهر بالإيمان "وهذه الطائفة اشتدت ثورتهم في العصر العباسي الأول في الشرق، وتبعد تعاليمهم عن تعاليم الإسلام. وديمقراطيتهم فاسدة تبيح المحرمات، وتعرض الحياة السياسية والاجتماعية للخطر"[19]. ومبادئ الزنادقة هذه لم تسجلها المراجع ولا المصادر على برغواطة، وإن كان خصومهم يطلقون عليهم مصطلحات تبيح سفك دمائهم باسم الجهاد، ثم الاستيلاء على وطنهم واقتصادهم، وخاصة المغرب النافع على حد تعبير سلطة الحماية الفرنسية.

---

[17] السليماني: اللسان المُعرب، عن تهافت الأجنبي حول المَغرب ص 38.
[18] السليماني ص 39.
[19] حسن إبراهيم حسن ج 2 ص 115.

إنكار قواعد الإسلام: ظهرت في الشرق الإسلامي طائفة أعلنت إنكار قواعد الإسلام جملة، ويؤيد هذا ما ذكره نظام الملك بقوله:"إنهم رفضوا جميع الفروض الدينية، كالصلاة والصوم والحج والزكاة"[20]، ودولة برغواطة لم تنكر قواعد الإسلام، بل عيبت عليها **المبالغة** في بعض الفرائض الدينية، من وضوء وطهارة وصلوات وصيام.

أسباب ظهور الطوائف الدينية: كان التهافت على الحكم من أكبر أسباب ظهور الطوائف الدينية في الشرق، ومنه امتدت شرارتها إلى الأقاليم الإسلامية البعيدة، بواسطة من نجا من تلك المعارك، حاملين ما معهم من الخلافات في الدين، وهم طرائق قِدَداً، كل داعية حسب مذهبه، فصار الكل يلتمس دلائله مما لديه من القرآن الكريم، إلى أن ظهرت فتنة خلق القرآن، فطغت في عهد ثلاثة ملوك من العباسيين: المأمون، والمعتصم، والواثق، فاتسع الخرق على الراقع، ففقدت المقدسات احترامها، وتفرقت القبائل عن ملوكها، وتسلط الفقهاء الدعاة على الشعوب بنشر فتاويهم المتلاطمة، وقد لخص لنا محمد السرخسيّ الوضع بقوله:

"تعرض رجلٌ للخليفة المأمون بن هارون الرشيد العباسي بالشام مرارا، فقال له:يا أمير المؤمنين: انظر لعرب الشام، كما نظرتَ لعجم أهل خراسان، فقال له: أكثرت علي يا أخا أهل الشام! والله ما أنزلتُ قيساً من ظهور الخيل، إلا وأنا أرى أنه لم يبق في بيت مالي درهم واحد، وأما اليمن، فوالله ما أحببتُها ولا أحبتني قط، وأما قُضاعةُ فسادتها تنتظر السفياني (المهدي المنتظر) وخروجه، فتكون من أشياعه، وأما ربيعة **فساخطة على اللّـه منذ بعث نبيه من مضر!** ولم يخرج اثنان إلا خرج أحدهما شارياً،(إشارة إلى ثورة الوليد بن طريف الشاري الشيباني على هارون الرشيد سنة 187هـ) اغرب فعل اللـه بك.؟!"![21]. والمقصود بالشاري البطل المرتجز في المعركة بقوله:

أنا الوليد بن طيف الشّاري* قسورةٌ لا يُصطلى بناري* جوركمُ أخرجني من داري

---

[20] سياسة نامة ص 298.
[21] تاريخ الطبري ج 5 ص 198.

تصدير فتن الشرق الإسلامي إلى الغرب الإسلامي: هذه الظاهرة ليست حديث عهد إلا عند من أهمل قراءة التاريخ، فها هي مصر باب أفريقيا الشرقي عمتها الثورات في عهد الخليفة المهدي العباسي الحاكم ما بين سنة 165 - 167هـ وها هي الصداقة بين العرب والأمازيغ (البربر) لم تدم طويلا بسبب ذلك، لأن البربر (الأمازيغ) رأوا أنهم لم يكافؤوا على ما قدموه من خدمات كما كانوا يؤملون، ومع اعتناقهم الإسلام، لم يعاملهم العرب معاملة النظير للنظير، بل معاملة السيد للمسود، وكان من أثر هذه المعاملة، أن انتحل البربر مذهب الخوارج؟ لأنه كان يلائم نزعاتهم الديمقراطية"[22].

ألا يكفي ظلم المعاملة في تحريك البربر ليصبوا جام غضبهم على الظالمين، لينتظروا حتى يحركهم مارق خارجي؟ أو ينعق فيهم ناعق كوفي؟ أليست هذه العبارات من صميم سياسة التدجين؟ أو نحن نفكر لكم ! كأن الأمازيغ لا يثورون إلا بإذن أجنبي طوّحت به طوائح الزمان!

وها هي دولة الأدارسة في المغرب تهدد مركز خليفة بغداد، بمجرد وصول إدريس الأول إلى المغرب هاربا بروحه سنة 172هـ مما أدى بالعباسيين إلى خلق دولة الأغالبة في تونس، انتقاما من الأمازيغ سنة 184هـ وذلك للوقوف في وجه طموح إدريس الأول، لكن سرعان ما قامت ثورة أخرى ضد الأغالبة أنفسهم كذلك في طرابلس بليبيا سنة 189هـ تطبيقا لسياسة بقع الشطرنج، التي كثيرا ما تساهم في التوازن والاستقرار، عملا بقولهم "عدو العدو صديق".

أسباب ثورة الأمازيغ على الولاة الشرقيين: والحق أن هذا الظلم وهذه الإهانة، وهذا الاستغلال، لم تختص به ولاة إمبراطورية بني أمية، الذين سلطوا جيوشهم على شمال أفريقيا، فها هي دولة العباسين تسير في نفس التقليد، ويقول ميور "إن إفريقية :تونس، كادت تَخرج من طاعة العباسيين في معظم عهد المنصور، وإن العرب والبربر النازلين فيها مالوا إلى مبادئ الخوارج، وخلعوا طاعة العباسيين الذين أخذوا

[22] تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 2 ص 204.

يُرحّلون إليهم الجيوش تلو الجيوش لإخضاعهم ولكن بدون جدوى" مع أن أولئك الولاة منهم الصالح ومنهم الطالح[23].

وتجدر الإشارة إلى أن المقاومة الأمازيغية المستمرة ضد ظلم الولاة، ليست ضد الإسلام بمعنى السلم والمسالمة، لكن العرب يسمون هذه المقاومة ردة البربر عن الإسلام، فشحن بها المؤرخون مؤلفاتهم كفتوى لغزو وطن الأمازيغ، وقد أدركنا نحن هذه النغمة المخذرة تعلن في صحف بعض أحزابنا الوطنية، أما تصريحات بعض المتفيقهين، فلم يخل منهم زمان ولا مكان، حتى صارت فتاويهم أضحوكة لم تعد تهم التابعين ولا المتبوعين، فهم مسخرون وأحيانا من جنود المبتدعين.

رمزية البيعة لإدريس الأول: إن من استعرض كثيرا من قادة الدول، أو بحث عن أصل كثير من الزعماء، فسيجدهم واردين من خارج الدولة التي اختارت أحدا منهم، فجعلته رمزا فقط، وفيما بعد يسند النجاح كله لذلك الشخص، بينما الشعب الذي اختاره هو الذي يسيره ويبرزه كرمز لتحقيق أهداف ضرورية وملحة لا بد من تحقيقها.

فكم من زعيم عين خارج وطنه لظروف معينة، فتحققت برمزيته نتائج باهرة، كما هناك عكس ذلك تماما، كما هو واضح وعام في القارات كلها، لكن كثيرا ما يتساءل البعض عن أسباب تنازل إمارة أوربا في مدينة واليلي عن مُلكها لشخص لاجئ مهدد في حياته؟ فما سبب هذه السخاوة إلى هذا الحد؟ هناك أجوبة استهلكت نقاشا ونقدا وانتقادا، إلى حد أنها لم تعد مقنعة، ومنها من عد مبايعة إدريس الأول فصلا تاما بين المغرب والمشرق، ومن هنا حاول البعض أن يجعل بداية الدولة المغربية ابتداء من مبايعة المولى إدريس الرمزية،.وقد رد على ذلك بأنه "لايمكن لإثنى عشر قرنا أن تلغي ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغ"[24].

ومن التاريخ أن شمال أفريقيا قد قاوم جيوش الفتح الإسلامي، لمدة سبعين سنة، ضد معاملات الولاة الجائرين، وليس ضد العقيدة الإسلامية، كما رفض الأمازيغ بعد انتشار الإسلام فيهم، الخضوع لظلم الولاة الظالمين منذ عهد هشام بن عبد الملك الأموي، حسب وثيقة قدمها وفد الأمازيغ، لعل المسؤولين في دمشق يستقبلون هذا

[23] Muir p461.
[24] لمحة محمد شفيق.

الوفد الأمازيغي، ويستمعون لمظالمهم، لكن مع الأسف, لم يقبلوا حتى السماح لهم باللقاء مع المسؤولين، إذ باسمهم يحارب الأمازيغ، وباسم الإسلام تحت شعار "الجهاد" يموت الأمازيغ، لفتح وطنهم شمال أفريقيا للعرب الفاتحين، وعند الغنيمة يحجبون حجب إسقاط، ودفاعهم من أجل استمرار بيعة الرضوان، لكن بدون جدوى.

وهنا برزت عبقرية الأمازيغ السياسية، ألا وهي **نزع حق البيعة الشرعية** ممن لا يستحقها إلى من هو أهل بها في نظر المسلمين، وكان المولى إدريس الأول، أحق بهذه البيعة ممن جعلوها كسروية على حد قول الخليفة عمر بن الخطاب لمعاوية، عندما زاره في الشام، ولاحظ أبهته وتأثره بملوك الفرس، وكلمة البيعة هذه أفقدها المسؤولون شرعيتها، فحولوها إلى فتوى للغزو.

رجع الوفد الأمازيغي بعد ما انتظر شهورا ليقدم مظالم شعبه من طرف ولاة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك بدمشق، معولا على استقلال الغرب عن الشرق، وبما أن الغرب الإسلامي مازالت "البيعة" الإسلامية في عنقهم، فكيف يمكن التخلص منها؟ إذ بها تحرك السلطة المركزية في الشرق، كل من رغب في خيرات وطن تامازغا المرتدة! وكانت تلك البيعة بمثابة السيف الذي يستغله الحكم وولاته باسم " الجهاد" فيصدِّر جيوشه بلا عدد.

سجل التاريخ وبكل تأكيد، أن ولاة بني أمية، سلبوا آلاف البنين والبنات الأمازيغيين، فصدّروهم إلى الشرق، ومن أولئك الشباب، أعلام أمازيغيون أخذوا من الشرق ثقافة من كل مذهب، ومن هؤلاء الشباب، الدعاة الذين ساهموا في إيقاظ هوية شمال أفريقيا. ومن الذكور عكرمة، ومن الإناث أم عبد الرحمان الداخل. الذي لجأ إلى أخواله الأمازيغ فسموه "صقر قريش"!.مع أن هذه العصا من تلك العصية، من تربية تلك الأم الحرة المسبية الأمازيغية .

لكن من فكر للأمازيغ في التخلص ممن لا يستحقون الخلافة التي كانت منذ بيعة الرضوان راية للمسلمين وملزمة لهم ؟ إنه الداهية **راشد الأمازيغي**. مولى إدريس الذي هرب به من وقعة فخٍّ متنكرا في زي خادم له، حتى أوصله إلى أهله، فأقنعهم كرمز لسد الباب أمام تجييش الشرق جيوشا باسم الجهاد إلي شمال أفريقيا، وفعلا

نجحت الخطة بهذه السرعة، وبهذا الإقناع والاقتناع، بايعت إمارة أوربا إدريس الأول، فأرادوا أن يباهوا به الشرق، إذا لم نقل أن يغزوا به من غزاهم بالأمس.

والدليل على ذلك استمرار مبايعة المولى إدريس الشكلية، ولو قضت عليه مكيدة الشرق بالسم في انتظار تعلقهم بالمستقبل، كانتظار حفيد لهم من زجته للاّ كنزة، بقطع النظر عن الجنين المنتظر حيا أو ميتا، ذكرا كان أو أنثى، والمهم هو استمرار البيعة ورفض انتمائهم إلى الشرق، فإدريس إذن ما هو إلا رمز، لكن هذه الرمزية، كلفت السلطة المركزية العباسية كثيرا، رغم تدخلها من جديد لتفريق بين المغاربة في شمال أفريقيا، صحيح أن هدف الإمارة الإدريسية لم تحقق للأمازيغيين ما كان منتظرا منها، بل سببت في حروب قبلية فرقت أكثر مما جمعت، كما كانت سببا في إنشاء إمارة الأغالبة في تونس من طرف الشرق.كما كانت مدبدبة في انتمائها.

أما إطلاق شمولية حكم مولاي إدريس على المغرب كله، فذلك لا يخلو من مبالغة مغلفة بالآمال، والغاية منها إشعار الشرق بأن بيعة إدريس، كانت عامة للمغرب، مع أنها في الواقع، لم تتجاوز مساحتها مستوى إحدى الإمارات المعاصرة لها في شمال أفريقيا، إذ حوصرت اقتصاديا ومجاليا من جميع الجهات، وإن شاع أنها حاولت مد نفوذها نحو برغواطة، لكن ذلك محدود، كما نص عليه المؤرخون.

"وكما يرى بعضهم أن غزو الأدارسة لبرغواطة ما هو إلا الدافع الاقتصادي، كما يرى ابن الخطيب[25] ". ولا يخلو من المبالغة ما قيل عن غزو إدريس " لقبائل البربر بالمغرب على دين المجوسية واليهودية والنصرانية - في السهول والجبال - ويستنزلهم من معاقلهم، حتى دخلوا في الإسلام طوعا وكرها، ومن أبى الإسلام منهم أباده قتلا وسبيا " ومن المبالغة كذلك عدد القبائل التي استولى عليها مولاي إدريس في ظرف وجيز، اللهم إلا إذا كان مفهوم القبيلة عبارة عن " دوار بسيط ، أو عائلة منتمية " وإلا فالدولة الإدريسية اعتمدت على المبالغة أكثر من حجمها. فقد زعم البعض أنها زحزحت حتى ما وراء تلمسان، فتناثر أفرادها في القبائل فضاعت مجهوداتهم في هوامش الأقاليم.

[25] ابن الخطيب ج 3 ص 186.

وعند تقسيم المغرب ذكروا "اختصاص عيسى بن إدريس الثاني بسلا وشالة (المجاورتين) وأزمور وتامسنا وما انضم إلى ذلك من القبائل" "واختص عبد الله بأغمات وبلد نفيس وجبال المصامدة وبلاد لمطة والسوس الأقصى" فلماذا كل هذه المساحات حتى لمطة في أيت باعمران وما وراءها من الصحاري؟ فهل كانت لدولة الأدارسة الحديثة العهد إمكانات واتصالات لأقاليم أعجزت المرابطين والموحدين،إذ لو كان ذلك صحيحا لما انهارت بسرعة، وأغلب الظن أن شمولية هذه الدولة ما هو إلا إنذار وتخويف وتحذير لأطماع الشرق الغازية، أو على الأصح ما يتمنونه، .وكثيرا ما ينسى البعض فضل الأمازيغ على الأدارسة الذين قتلوا حتى من أهدى إليهم عرشه وربّى حفيده حتى اشتد ساعده وكان ما كان؟ ومنه الجزاء من نفس العمل.

قال ابن خلدون "بايع البربر إدريس الأصغر حمَلا، ثم رضيعا، ثم فصيلا، إلى أن شب فبايعوه بجامع مدينة واليلي سنة 188هـ وهو ابن احدى عشرة سنة" ثم افتخر المؤرخون بفصاحته العربية، ولم تذكر لغة أمه البربرية، ولا ثقافة محيطه الأمازيغية، كأنه تربى مغلقا في زجاجة عربية حتى لا يصاب بعدوة أمازيغية؟.كيف يستقيم أمر من أنكر أهله وهويته؟.

إن دولة الأدارسة من صنع الأمازيغ، لكن تدخل العرب أوقف نموها وأفسد مسارها، "ففي سنة 169هـ وفدت على إدريس الأصغر وفود العرب من إفريقية والأندلس نحو خمسمائة فارس، فسر بوفادتهم، وأجزل صلتهم، وأدنى منزلتهم، **وجعلهم بطانة دون البربر**. فثار بهلول بن عبد الواحد المضغري من خاصة إدريس ومن أركان دولته ..ثم أحس إدريس من جده إسحاق بن محمد الأوربي الذي تنازل لوالده الأكبر عن الملك فقتله سنة 192هـ وصفا له المغرب"[26]، كيف يفعل ابن 11 سنة ذلك؟ ويسكت عن فعل الوفد العربي الذي عزل إدريس عن أهله؟ وبقتله جده بدأ انهيار آمال الأمازيغ مما انتظروه من حفيدهم .وحتى ما نسب لكنزة من تقسيم الولايات بين أحفادها، فذلك لكي لا ينسب فشلهم للعرب المحيطين بالمركز.

[26] الاستقصا ج 1 ص 164 بتصرف.

انفصال الصداقة بين العرب والأمازيغ: ونفس الشيء في الشرق في فارس وخراسان، فقد تعرض المغرب للفتن السياسية بين القبائل القيسية واليمنية، بينما أشعل الهاشميون خلافاتهم في المشرق الفارسي، وذلك ما يعرف بالمواجهة بين العرب والعجم. وقد نقلنا عن المصادر أسباب ذلك، ولا يسعنا هنا إلا أن نتأسف على ديدنة مسؤولية أولاة العرب، ومعاملاتهم البعيدة عن روح الإسلام وأهدافه، وكل ما يدعو إليه من المساواة التي لا تروق العرب.إلى حد أن ولاة بني أمية لماأهلكوا الحرث والنسل، وأثخنوا في الأمازيغ على حد تعبيرهم، رجع بعضم في بعض، فعزل الخليفة الأموي موسى بن نصير ونكبه وجميع عائلته ليؤدي كل ما سلب من شمال أفريقيا بمساهمة اليمنية، ثم أسند الأمر من بعده لابن يزيد القيسي لتصفية نفوذ موسى والقبض على ابنه عبد الله بن موسى حتى أدّى كل ما جمع. ثم عذبه حتى مات، ثم صار الأمر متداولا بين القيسية والبكرية حتى في الأندلس، فكان هدف الولاة هو إرضاء الخليفة بالسبي والنهب وشغل الجيوش برا وبحرا حتى انهار كل شيء.وبتلك السياسة القبيلة العربية لم تدم علاقة العجم بالعرب طويلا.وقد وقعت كل هذه الفتن في شمال المغرب إلى حدود دفاع دولة برغواطة في موطنها تامسنا المقاومة لمدة طويلة.

قرآن برغواطة بهذا الإسم! ومن الأليق أن يسمي ذلك تشريعا، لأننا نقصد بالقرآن الكريم جزئا من معنى جزء مما دل عليه كلام الله الحقيقي، لكن المصادر أطلقت على أسجاع العرب قرآن المتنبئين منهم في الشرق، فقاموا بعملية إسقاط ذلك على تشريع برغواطة المسمى بقرآنهم، ولولا أن التاريخ فرض علينا هذا العنوان، لما ذكرناه بهذا الإسم، والذي يهمنا هنا أن نبحث عن تقليد قرآن برغواطة لقوله تعالى:" **وإنه لكتاب عزيز :لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد** [27]".

نماذج من قرآنات المتنبئين العرب؟!:

1- إن أسجاع المتنبئين من العرب من ذكور وإناث ـ مما وصلنا ـ لا ترقى ولا تستحق أن تقارن مع القرآن الكريم، لأن ما اطلعنا عليه لا يرقى إلى المستوى المطلوب، بل إلى المضحك أقرب منه إلى البلاغة والبيان والإعجاز والحكمة، هذا بالنسبة للعرب أهل اللغة، اللهم إلا إذا كان الرواة أهملوا ما يشبه أسلوب القرآن، واحتفظوا لنا بما

[27] سورة فصلت الآية 41 + 42.

يثير السخرية والضحك، وذلك ليس ببعيد، إذ جرت العادة على إحراق كل ما يمت بصلة إلى الماضي، من أجل تأسيس المستقبل, وذلك مشاع في الثقافة والعمران عبر التاريخ.

2- أما بالنسبة لتشريع برغواطة، فقد ذكر المؤرخون أن لديهم " **العلم العظم والكثير**" ومن كل فن حتى الإخبار بالغيبيات والتنبؤات بما سيحدث فوجدوه كذلك!"[28].

3- موقف العرب تجاه القرآن الكريم: وينص القرآن نفسه أنهم أنكروه نهائيا فقالوا افتراءٌ وقالوا زورٌ وقالوا أساطير الأولين اكتتبها وهي تملى عليه بكرة وأصيلا، وكل ذلك حتى لا يقبلوا مبعوثا منهم، ونبياً من بينهم يصل إلى هذه الدرجة، ومن طبيعة البشر ألا يخضعوا للجديد الذي يهدد ما لديهم من القديم، وها هي بعض الطقوس ما زالت مشاعة في العالم لا تستحق التخريب، فرغم بساطتها فهي بداية تطور الحاضر وتقدم الإنسان، فهي كتراث تنفع ولا تضر. فاكتشاف النار له قيمته، وصناعة الحديد تقدم كبير، واختراع البارود تطور هائل، وحصر الألوهية في فرعون وحده أقرب إلى التوحيد من تعدد الأوثان، وبتطور الفكر قال: لا أحب الآفلين فوحد الله.

4 - أما برغواطة فقد آمنت بنبوة الرسول محمد (ص) كما ورد في قرآنهم، ولكن لما مات ليس لهم في أقصى الغرب الإسلامي إلا أن ينتظروا من يقوم مقام الرسول المرسل من عند الله، وذلك يستلزم انتظار الكثير، كما بلغهم بواسطة ما لديهم من الثوراة والإنجيل والزبور، والفترة الزمنية الفاصلة بين موسى وعيسى وقد حدث فيها شيء كثير لم يكن في الحسبان، وإما أن ينتظروا من يخلف الرسول محمدا (ص) فوقعوا فيما وقع فيه العرب جملة وتفصيلا قائلين:

" لو كان محمد نبيا لما مات"، لكن برغواطة قال قرآنهم :**" كذب من يقول: إن الحق يستقيم، وليس ثمّ رسول الله":[يسكاركّس وانّا ئنّان ئبيدّ وُنزكّي ئغ وُر يلّي وُمازان ئـ ربّي**

iskarks wanna innan ibidd unzgi iv ur illi umazan n rbbi.

[28] البكري ص 102.

معنى هذا أن برغواطة بدورهم لا يتصورون فراغا من رسالات الله، ولذلك قام مصلح منهم فسد الفراغ، هذا كله إذا أخذنا برواية من يرجع ظاهرة برغواطة إلى بداية بعث الرسول محمد(ص) أو إلى رحلة ركّراكّة.منذ بداية ظهور الإسلام،.أو عندما سمعوا بموته، مع العلم أن فكرة رجوع عيسى كانت لديهم بواسطة المسيحية منذ انتشار مذهب الدوناتوست للمقاومة ضد الرومان.

5 - زمن معارضة القرآن الكريم، فيما يخص العرب، فقد عارضوه بشدة منذ البداية، ومن الأقربين منه (ص) قولهم :" إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر" أو من الأبعدين كمسيلمة وسجاح وطليحة إذ حاولوا تقليد أسلوب القرآن، حتى بالقافية الرنّانة أحيانا، وقد أوردنا من ذلك نماذج نقلا عن مصادرها.

وفيما يخص معارضة برغواطة، فهناك إشكال في الزمن " فرواية ابن الخطيب تجعل من صالح ناصحا ومشيرا لمَيْسَرة المدغري،لأن صالحا كان من أهل العلم والخير، ثم انسلخ عن آيات الله وانتحل النبوة، وشرّع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده[29]." فإذا أخذنا برأي من يرى أنه ظهر منذ الأول من الهجرة، وأنه إنما انتحل ذلك عنادا أو محاكاة لما بلغه بشأن النبيء محمد (ص) فتكون ثورة برغواطة الدينية موازية لثورات العرب المرتدين في شبه الجزيرة العربية، ومعنى ذلك أنهم يؤمنون بعدم الفراغ، ممن يصلح أمر هذه الأمة ! أو أنهم لم يقتنعوا بخاتمة رسالات الله عن عباده.

أما إذ أخذنا برواية زمّور الذي قال: " وكان موت صالح بعد موت النبيء محمد (ص) بمائة عام سوا[30] - أو من يؤخر نبوة برغواطة إلى عام 127هـ / 744م فذلك لكي لا تكون دعوتهم من محض الأمازيغ، وعلى هذا فسبب هذا الانفصال عن الشرق، يرجع إلى أفعال ولاة بني أمية، في عهد هشام بن عبد الملك الأموي، تلك الأفعال التي يتبرأ منها الكتاب والسنة وصالح المؤمنين.

ونلاحظ أن العرب كفروا بما نُزّل على محمدٍ. لقوله تعالى: "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوْا فيه لعلكم تغلبون"[31]. بينما قال ابن حوقل في برغواطة: " وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام، ويحفظ منه السور، ويتأول آياته على

[29] ابن خلدون ج 6 ص428.
[30] البكري ص 135.
[31] سورة فُصّلت الآية 26.

موافقته لكتابهم وقرآنهم " (صورة الأرض ابن حوقل ص 83) " وكان مؤسس الدين البرغواطي أكثر أفراد أسرته تأثرا بالثقافة الإسلامية، وكان يونس هو الوحيد الذي أدى فريضة الحج، وكان أميرا وليس واحدا من العامة، وكان يهتم بالعلوم الدنيوية والشرعية، وكان خلفه أبو غفير (بالغين)مثال التقوى والزهد والتصوف والصيام لقهر النفس، وتطهير الذات، كما أكد صالح بن طريف لأتباعه انتظار مهدي آخر الزمان، تحت قيادة بربري أصيل، وسيصلّى وراءه المسيح، وسيحارب الدجال ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، فهذه كلها من الثقافة الإسلامية المتشبعة بالمهدوية التي جربت في عدة أقاليم من العالم الإسلامي، وفيها مقبول ومردود ؟.

فثورة برغواطة إذن من أجل الحرية والديمقراطية (العمل بأزرف) وتنمية الهوية الوطنية، وليست ضد عقيدة التوحيد المنتشرة في شمال أفريقيا قبل قدوم عقبة وجنوده فسرُّ قوتهم **الوحدةُ في التعدد**، إذ من برغواطة من تدين باليهودية والنصرانية والإسلامية بشهادة المؤرخين الذين وصفوا مجتمعهم بأوصاف حميدة.وأخلاق في غاية من صميم الإسلام.

6 - التقليد: ومن عادة الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، أن يتبعوا من سبقهم ويقلدوهم حسب التعليم الصادر من الله تعالى، لإصلاح ظروف الزمان والمكان وسنة التطور، إذ الواجب على الرسول تبليغ ما أنزل الله انطلاقا من اللغة ليبين للناس ما نُزّل إليهم، قال تعالى: " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيئين من بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان، وآتينا داود زبورا، **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك** وكلم الله موسى تكليما"[32].

7- **ما هو الوحي:**؟ نكتفي هنا بأنه لغة هو "الإعلام في خفاء، وشرعا إعلام الله تعالى من اصطفاه من عباده بطريقة خفية غير معتادة للبشر"[33] (علوم القرآن شحاتة ص10) وهذا هو الوحي الشرعي، وليس المصطلح اللغوي الذي يتناول الإلهام الفطري للإنسان والإلهام الغريزي للحيوان، أو من نزعات الشيطان، أو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية، أو ما يقع للصالحين من إلهامات ليس من العلوم اليقينية،

[32] سورة النساء الآية 163- 164.
[33] علوم القرآن شحاتة ص 10.

فليحذر العاقل من سوائح مظنونة، كما وقع للمتنبئين والمتمهديين والكهنة وأصحاب الأطماع والدعاة والمهوّسين وأرباب الفتن والمدَّعين ما ليس لهم.وكل هؤلاء يتقمصون جزءاً من الكرامات ومن الصفات ما يتوصلون بها إلى غايتهم.

8- صالح برغواطة: وصفه المؤرخون بقولهم: " **اشتهر صالح البرغواطي بالنبوغ والذكاء وبعد النظر وقدرة التاثير على الغير**،.وحينما ذاع فضله وعلمه بين البربر، فكر في إيجاد دين جديد، فزعم أنه صالح المؤمنين الذي ذكره الله تعالى في قرآن محمد " ونفهم من هذا أن صالحا هذا كان على علم بالقرآن الكريم،عاش في دولة تامسنا التي أسسها طريف، فاستمرت إلى حكم يونس إلى صالح وابنه إلياس. وهناك من قال: " إن يونس لم يدفع الحميّة الوطنية إلى هذا الحد، وإنما بقي دون شك ضمن حدود زمنية معقولة، واكتفى بإسناد قرآن بربري من تأليفه، وكذا تعاليم الدين الجديد التي تخيلها هو نفسه إلى حد التشهير"[34].

فهل هذا من باب الاجتهاد؟ والغاية منه الربح الزمني لإلغاء معاصرة متنبئ برغواطة مع بعثة الرسول (ص) كما ورد في التاريخ؟ " ومعلوم أن طريفا كان ذا شهرة طيبة بين بربر المغرب الأقصى لبلائه في افتتاح الأندلس، إذ تولى قيادة البرغواطيين مع طارق بن زياد، لذلك استجابت برغواطة للدعوة الجديدة، وانخرطت في قيادة زعيمها بالمغرب الأقصى ..ثم توجه إلى إقليم تامسنا حيث بقي قائما بأمر برغواطة، وأن طريفا لقي عكرمة الأمازيغي مولى بن عباس بالقيروان، بينما توجه ابنه صالح إلى الشرق، في رحلة لطلب العلم في جماعة، وذلك عندما " اختار المغاربة بعض رجالهم وأوفدوهم في بعثة إلى البصرة للدراسة ..واستمرت مهمتهم خمس سنوات، ثم عادوا وفي حلقاتهم تلقى الأتباع الأصول والفروع، فكانت كتب فقهاء المذهب تفد إلى المغرب لتزويد **المكتبةالمعصومة بتاهرت** بالجزائر الحالية منها 3300جزء من مؤلفات المشارقة[35].

وهذا ما استغله المهدي بن تومرت سياسيا، فقد أخذ عن الشرق، وقيل أخذ عن الغزالي، ولما رجع التقى بعبد المؤمن الكومي بالجزائر وغيره، فاستغل ما بقي من رواسب برغواطة ومن جمع من قبيلهم المصامدة.

[34] دراسات في تاريخ إفريقية للطالبي ص 19.
[35] محمود إسماعيل الخوارج في بلاد المغرب ص 293.

فإذا كان طريف لقي عكرمة الأمازيغي العالم الكبير - وهو تلميذ عبد الله بن عباس ترجمان القرآن - وكان ابنه صالح أخذ من الشرق، فما الداعي إلى جعل كل ما بنته برغواطة للصفرية؟ من الجواب، حتى لا يكون الفكر مغربيا أمازيغيا، لتستمر فكرة الشرق مهيمنة على المغاربة، فلقنوهم بالتكرار " **نحن نفكر لكم**"! إلى أن تفرغ لمحاربة الخوارج بتونس " القاضي سحنون، فحظر عليهم ذلك، وبدد حلقاتهم، وشتت شملهم"[36].

فصالح برغواطة مفكر،لا يحتاج إلى المذهب الصفري في تامسنا، ومن الغباوة أن يزعم أحد أن الفكر الأمازيغي غير قادر على أن يصدع بالجديد، دون الاعتماد على خليط من المذاهب الشرقية لم يجن منها وطن تامازغا إلا تشتته وتمزقه. أما ظهور المتنبئين فهي ظاهرة عالمية، فكما تعدد المتنبئون في شبه الجزيرة العربية في عهد الرسول نفسه (ص) فكذلك تنبأ في المملكة البرغواطية غير واحد من ذكور وإناث من نفس العائلة، مثل صالح وابنه إلياس، ويونس وأبوغفير، وعمتهم تابعيت، ونفهم من هذا أن برغواطة لها مكانتها الفكرية والعلمية في جميع المستويات، ولكن ما الداعي إلى كل هذه الخلافات من طرف بعضهم ؟

من الجواب أن ." هذا الخلاف يعكس صورة من صور تحامل المؤرخين الأجانب على برغواطة بقصد طمس أصولها المغربية، وهدم نسبتها إلى قبائل الأمازيغ، فضلا عن تشويه أصل زعيمها برده إلى اليهود، لتستمر عداوة العرب لليهود في الشرق منذ وقعة الخندق"[37]، فما هو نوع العلم الذي أخذ من الشرق؟ إنه جدال يفرق أكثر مما يجمع. "ويحكي ابن الصغير كثيرا من محاوراته ومساجلاته مع مشايخ الإباضية في كثير من المسائل الفقهية والمذهبية دون أن يتعرض لإرهاب أو بطش ..لقرابة مذهبهم من مذهب أهل السنة ضد الشيعة، كما ظهرذلك في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد"[38].

علينا الآن أن نقتحم الماضي، ونستعرض هذا الموضوع الذي سدد إليه الكثيرون أقلامهم على اختلاف مشاربهم، منهم من كان محائدا ينقل ما وجد بلا زيادة ولا نقصان، ومنهم من اختصر إلى حد الإجحاف، وبدّل وحرّف وغيّر ما وجد، ومنهم من

---

[36] المالكي ج1 ص 409.
[37] مغربيات محمود إسماعيل ص 23.
[38] سعيد بن مقديش ص 125.

كرّس عيوب الماضي وأضاف إليها مثالب الغير، لينفّر أكثر مما يرغّب، ومنهم أقليّة استثنائية لا يخلو منها الزمان، تثير بعض الاستفهامات والتعجبات، لكنها سرعات ما ترجع عن جرأتها وتستغفر ربها وتكتفي "بقيل ويقال والله أعلم" وناذرا ما نصادف نموذجي ابن خلدون وابن الرقيق في موضوع برغواطة.

والحق أن طول العهد، ومرور كل هذه القرون على دولة برغواطة، يفرضان التأني والتدبر والاحتياط والاحتراز عند استعراض معظم ما قيل وما يقال عن برغواطة، لأن الذين أرخوا لتلك الدولة معظمهم أجانب، مرتبطون بالتقلبات التي انتابت الشرق والغرب الإسلاميين، وكل من أرخ لبرغواطة ينطلق من كفرهم أو يختم بتكريس ضلالهم وينتهي بلعنتهم، وذلك شاهد على عدم حيادهم ،ويطعن في شهادتهم، إلا من رحم ربك، وقليل ماهم.

ومن أجل احترام مبدأ التاريخ، ينبغي الرجوع إلى مقارنة النصوص الواردة في المصادر، بالتي وردت في المراجع، ثم نترك للقارئ النزيه الحكم كقاض حيٍّ حرٍّ يحكم على برغواطة وهي أمامه كمتهم بلا مدافع، ولكن ويلٌ لقاضي الأرض الحاكم إذا زاغ في حكمه من قاضي السماء ومن لعنة التاريخ.فإذا قيل الماضي لا يعاد، نعم. ولكن عليه يبنى المستقبل، فلماذا يهمل؟.

اتهامات برغواطة لغاية اقتصادية: منها أدلة الكفر المسلطة على دولتهم، فهي متوفرة عند الاتهام، لكنها ناذرة الوقوف عند الإثبات والتحقيق، فالمُتّهم فاقد المصداقية، لأنه أجنبي عن الموضوع، ومطعون في شهادته السماعية من الخصوم، وحتى كلمة الكفر هذه كانت مشاعة يرمى بها كل معارض من هو أقوى منه، وما زلنا نسمع فتاوي التكفير حتى ممن لا يميز البوع من الكوع، هذا في عصر الاتصالات والمواصلات، عصر صار فيه عالمنا قرية مشتركة لا تخفى فيه خافية، فكيف بالماضي السحيق." **وقد صرح الفقهاء بأنه لا يُكفَّر مسلم بقول يحتمل الكفر من تسع وتسعين وجهاً ويحتمل الإيمان من وجه واحد** "(باب المرتد في حاشية رد المختار لابن عابدين) فأين أنت من هذا يا من يكفر الناس مجّانا ولست عليهم بمسيطر؟ ولا لك حق احتكار الإسلام لتجعله كصكوك الغفران. ألم يان لهذا النوع أن يحاسب؟.

ومعلوم أن تهمة برغواطة وصلتنا عن كُتاب جغرافيين ليسوا بأئمة ولا فقهاء ولا شهد شاهد من أهلها، وإنما هم من الأفاقيين ينقلون ما يسمعون أو يتراءى لهم من بعيد، أو توصلوا به بواسطة مترجم من الأمازيغية لا نعرف مستواه الثقافي، ولا حياده في الموضوع، وهل كان يحفظ القرآن الكريم ويميزه عن " **قرآن برغواطة**" وغيره. وبماذا كتب النص البرغواطي؟ ولماذا سكت أولئك عن نوع الكتابة البرغواطية باستثناء ابن الرقيق؟ مع أن " الخط الزّناتي الأمازيغي كان مشاعا لدى المغاربة "، فأين ذلك الخط البرغواطي؟ كيف يصلون إلى مستوى خلق قرآنهم الخاص وهم يعجزون عن ابتكار كتابتهم؟ مع أن حرف تيفيناغ، كان عند الهوكّار قبل برغواطة، والعلاقة التجارية بين الجنوب والشمال المغربيين كانت معروفة من أقصى الشمال إلى نيجيريا.وقد يكتبون بالعبرية أو باللاتينية أو بالخط الزناتي.أو بتيفياغ أي لا دولة بدون كتابة.

ولأمر ما سكت الكتّاب عن ذكر أي كتابة لدى دولة برغواطة المستمرة 461 سنة، بينما قيل: " إن اللغة البربرية منحدرة من لغة أمٍّ عريقة في القدم، هي الليبية التي كان القوم يتكلمون بها منذ نحو من الفين من السنين أو أكثر، وهي ذات حروف صائتة منفصلة تحمل اسم تيفيناغ.اخترعوا بعضها من تلقاء أنفسهم" [39].

و في نفس الوقت أقر الكتاب الشرقيون بانتشار اليهودية بين دولة برغواطة، دون ذكر الكتابة بالعبرية أو باللاتينية ما دامت المسيحية منتشرة حسب ما سجله المؤرخون، لكن سكتوا عن ذكر الكتابة بها، وهكذا فيما كتب يه قرآن برغواطة " ثمانون سورة" ولا يكون ذلك إلا بحرف تيفيناغ التي بقيت لنا فيها عدة حروف بفضل استعمالها في نقوش، وفي **حرفة الرُّقى**، وكلها حروف مقدسة. ولعلها من بقايا الكاتب أمامالانْ من مالي في عهد أكّـيد ماسينيسّا المعروف.وهذا دليل قاطع على أن الشرق كان يخاف من استعمال حرف تيفيناغ إلى جانب اللغة الأمازيغية . ويتجلى ذلك من المجهود المبذول حتى لا ترسم في الدستور، والآن **وقد اتفق المغاربة أجمعون أكتعون أبصعون على ترسيمها لغة وحرفا في دستور سنة 2011م حقا أبديا لا رجعة فيه.**

[39] التاريخ الدبلوماسي للمغرب المجلد الثالث عبد الهادي التازي ص 87.

ومما يدل على أن غزاة برغواطة كانوا كلهم - يستهدفون احتلال موطنهم تامسنا الغنية - أنهم لم يخيروا برغواطة بين الرجوع إلى الإسلام - إن ارتدوا - أو الجزية مقابل إبقائهم على دينهم.

وإنما كانوا يهاجمونهم مباشرة من أجل موطنهم تامسنا، إذ لم ترد كلمة كفرهم إلا عن الكتاب الجغرافيين كالمبالغة في الوضوء وتعدد الزوجات ورياضة الفتيات وقتل السارق...

" وقد رحب الفرس بالعرب حبا في الخلاص من ظلم الحكام أولا، ورغبة في إعفائهم من الخدمة العسكرية ثانيا، ثم أملا في تمتعهم بالحرية الدينية آخر الأمر، وذلك لأن الإسلام كان يبيح لغير المسلمين من يهود ومسيحيين ومن زارادشتيين وصابئة وعبدة الأوثان والنار والحجارة، أن يتدينوا بما يرضون لأنفسهم من دين على أن يدفعوا الجزية للمسلمين[40]"، فلماذا لا يجوز ذلك في حق برغواطة؟

هذا فيما يخص تخيير الفرس، فما بال الأمازيغ في شمال أفريقيا؟ إنهم رحبوا كذلك بالفاتحين الأولين، كما أعلنوا إسلامهم باسم ملكهم كُسيلا، لكن الغزاة قلّبوا لهم ظهر المجنّ، فجعلوهم في مقدمة المعارك، ثم اشتطوا في نصيبهم، ثم لم يقبلوا منهم إعلان الإسلام. فسبوا أموالهم وشبابهم ناسين: "لا أبا لك ضع الجزية عن الناس، إن الله أرسل محمدا هاديا ولم يرسله جابيا" (رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عامله في وطن تامازغا) دون أن ننسى أن الجزية فرضت بالكتاب وتوضع على الرؤوس **وتسقط بالإسلام**، بينما الخراج فرض بالاجتهاد ولا يسقط.

ومن حقنا أن نتساءل عمّا اعتمد من قال: "إن برغواطة خلقوا قرآنهم" بدلا من تشريعهم الخاص بهم، فاختلط الأمر بين القرآن والحديث والتشريع والتوراة والإنجيل وما تراكم لدى برغواطة من المذاهب، فهل اختلط الأمر على الكتاب الجغرافيين أم أن ذلك وسيلة فقط،؟ والغاية محاربة دولة برغواطة والسيطرة على غنى سهول تامسنا؟ وخاصة بعد احتلال سجلماسة وتاهرت ..

إن هدف خصوم برغواة هو احتلال المحلّ تامسنا، وتكفير الحالّ برغواطة، سواء كانت التهمة بخلق القرآن أو بتهم أخرى، فكلمة الكفر دائما في مقدمة الغزاة، فكل من

[40] أبو يوسف : كتاب الخراج ص 72.

رفض الاستسلام يعد كافرا، وكلمة الكفر كافية في الشروع في تفكيك كتلة بشرية مستمرة كل تلك القرون، فإذا لم تكف تضاف وسائل أخرى كقولهم: "برغواطة بربر من زناتة، أو من مصمودة، أو من خليط لا ينتمون لأم واحدة"[41] ؟. ومما أضافته مراجع الكتاب محذرا إذ قال: "والكتابات عن برغواطة كثيرة، لكن يجب الحذر مما يكتبه بعض المغرورين المعاصرين الذين يحاولون إعطاء الردة البرغواطية أبعادا جغرافية وقومية وسياسة ليست لها"![42]. ومعنى هذا أن ذكر تاريخ دولة برغواطة ما زال يشكل خطرا ولو بعد قرون، وتكريس وصف البرغواطيين بكونهم خليطا لا ينتمون لأم واحدة معناه يسهل تفكيكهم وإبرازهم كشتات يسهل القضاء على ذكرهم، واحتلال موطنهم..

ثم أيّ منطق هذا؟ فهل جميع الشعوب الأخرى من أم وحيدة؟! فالناس كلهم من آدم وآدم من تراب ،وأم برغواطة هي أرضهم لقوله تعالى :" منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى".

اللهم إلا إذا اكتشفوا شجرة أنساب أخرى، ومن تتبع ما ألصق بتاريخ الأمازيغ سيجد سبب ذلك كلّه في جملة واحدة " **إن المغرب محسود " كما قال المغفور له جلالة الملك الحسن الثاني**، فذلك كان وما زال. وتلك وصية ملزمة للمغاربة جميعا من ملك سياسي عظيم.

أما الأحكام الجزافية على المغاربة من هذا القبيل، فلا حصر لها، ومن التهم أيضا قولهم: "إن برغواطة كانت ضد التيارات الشرقية سبقت لهم مثل التوراة والإنجيل والزبور، وذلك كفر بعينه" لذلك تجب محاربتها مع أن نصف الشرق الأوسط مسيحي وبينهم دولة يهودية عبرية.

كما "اتهموا برغواطة كذلك بقتل رسل أعدائهم، فبهذه التهمة قضي على إمارة سجلماسة، وذلك أن اليسع بن مدرار قام بالدفاع عن إمارته فسجن المدعي المهدي ثم وقف في وجه" غزو أبي عبد الله الشيعي الذي هاجم سجلماسة بمائتي ألف فارس(200000) في شهر رمضان المعظم عام 296هـ / 908م لكن هذا الشيعي

[41] القرطاس لعلي بن أبي زرع الفاسي ص 164.
[42] هامش نفس المرجع ص 164.

بدوره لما غزا سجلماسة الغنية، قبض على أميرها اليسع المذكور، واستصفى أمواله وأموال من معه وقتله وقتلهم في رمضان المعظم، ثم انصرف بالأموال إلى رقادة بالجزائر الحالية[43]. مع أن أمير سجلماسة لم يقتل مهديهم، وإنما سجنه حتى جاء مريده ففعل ما فعل.

وبمثل تهمة سجلماسة وغزوها وقتل أهلها، اتهمت برغواطة في تامسنا بقتل رسول المرابطين المشكوك في ذلك إلى حد أن سموا رسول المرابطين المقتول هو عبد الله بن ياسين نفسه، وهذا غير صحيح، وفي رواية أخرى، أنه قتل في حروب قبلية في جزولة، وهو محض كذب، بينما المؤكد أنه قتل في **معركة ڤريفلة، جهة الرباط**، تلك المعركة التي استهدفت استحلال دم برغواطة بنفس تهمة سجلماسة بدعوى مخالفتهم لسنة رسول الله الذي لا يقتل من أرسل إليه؟ وذلك ما جرت به العادات في جميع الملل من ترك العرض بالمكروه للرسل، نعم، للرسل حرمتهم، فمابال القضاء على إمارة سجلماسة من طرف هذا المذهب الإسماعيلي الغازي لشمال أفريقيا التابع للفاطميين؟[44].

والحق أن المغرب بدأ غزوه من بابه الشرقي، انطلاقا من تصفية إمارة سجلماسة الغنية بفضل التجارة الصحراوية، ومن سجلماسة انطلقت الدولة العبيدية إلى رقادة بعد إزالة إمارة بني رستم من تاهرت (تايْرْت) وفي سنة 301هـ قد فتحت مصر[45] (ص360) كما أزال عبيد الله المهدي دولة الأدارسة وأخضع قبائل كثيرة من المغرب[46]، ولم يقاوم الزحف الشرقي لمدة طويلة إلا دولة برغواطة بفضل إمكانياتها الاقتصادية والاجتماعية وتعدد هويتها.وتشريعهم بلغتهم تامازيغت.وهذا ما يخاف منه من لا يرضى بمغربيته!

فما مصير أبو عبد الله وشقيقه أبو العباس من مؤسسي الدولة الشيعية؟ وهو أمازيغي قضى على إمارة أمازيغية سجلماسة ؟كان جزاؤهم الغدر بهم[47] ومن أقوال عروبة القاتل (أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك) (المرجع نفسه ورقمه) وها نحن نرى أن المغرب

[43] القرامطة بين المد والجزر د مصطفى غالب دار الأندلس ص357.
[44] كتاب القرامطة نفسه ص 362.
[45] كتاب القرامطة نفسه ص 360.
[46] كتاب القرامطة نفسه ص 362.
[47] كتاب القرامطة نفسه ص 363.

الشرقي تم غزوه، ليبدأ غزو السهول المغربية الأطلسية، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتقسيم الأمازيغ.

اتهمت برغواطة بنبيهم أبو غفير، ودليل التهمة ما ورد من قول شاعرهم. فمتى كان الشعر دليلا على إثبات تهمة الكفر؟ لكن عند العرب كان نوعا من وسائل الحرب والدفاع كقول الرسول (ص) لشاعره حسان: **"اهجوهم وروح القدس معك، واستعن بأبي بكر، فإنه نسابة العرب"** وبالشعر حورب مسيلمة الكذاب قبل أن يحارب بالسيف، وهذ النمط يمكن الاطلاع عليه بتفصيل فيما ورد من خريدة العجائب، منقولة من كتاب البدء لأبي زيد البلخي"[48]. والعجيب أن حوار ابن سلام هذا مع الرسول (ص) قد انتشر في المغرب إذ قيل: سماه الرسول عبد الله بن سلام. وصار من أكبر الصحابة، ونقمة على اليهود، لينتشر هذا الحوار الذي فيه ما فيه![49].

الشكّ مصدر اليقين:

كثيرا ما قرأنا وشككنا بما نسب لبرغواطة، وبمرور الزمان، صارت دولة برغواطة كجمرات العقبة، يجب أن يرجمها كل من مر عليها بما هو موجود لديه ولو **بلعنة** كما ألفنا في لعنة "گسيلا والداهية وميسرة .وبرغواطة.." ألم يحن القيام بإزالة الغموض عن البورغواطيين، لأن شباب اليوم يشكون فيما سجله عنهم بعض المؤرخين الأجانب، كما أن الفكر الأمازيغي يصعب عليه أن يقبل كثيرا من التشويش على تاريخ دولة مغربية استمرت في أغنى إقليم بالمغرب لمدة 461 سنة معتمدة على اكتفائها الذاتي: فكرا ولغة وعقيدة وإنسية وقوة عسكرية واقتصاديا وحضاريا وعمرانيا وتشريعا وعلاقات خارجية مع الجيران في الشمال والجنوب والشرق، مما يدل على تفتحها،.كل هذه المواصفات لا يمكن أن تنشأ من لا شيء، كما لا يمكن أن تستمر لأكثر من أربعة قرون، إذا لم تتوفر لها إمكانات وإمكانيات. اقتصاديا وفكريا واجتماعيا وبشريا وثقافيا.

[48] خريدة العجائب ص 273.
[49] خريدة العجائب ص 273.

وبما أن دولة برغواطة مغربية، وعاصمتها أنفا حينا، وشالاّ حينا آخر، وأنها قامت على أكتاف أكبر قبيلة تسمّى مصمودة، وأن حدودها الجغرافية كانت تمتد من ماست بسوس جنوبا إلى سبتة شمالا، ويشمل حكمها جميع السهول الغربية لسلسلة الأطاليس وسجلماسة وأغمات والريف في فترة قوتها، فينبغي أن نربط خيوطه ما أمكن، كأساس لقوة هذا المغرب دون أن يفهم من ذلك أي فهم آخر يركب عليه الآفاقيون ضد برغواطة وضد من تناول تاريخهم.

وهنا طرح سؤال ما العمل؟ وخاصة أمام ما كرس في الماضي من تراكمات ضبابية لا تمت إلى الحقيقة بصلة، بسبب غياب البحث التاريخي، وبسبب ضغط إديولوجيات مستوردة، فسلطوا مجموعة من المصطلحات المنفرة على برغواطة باستمرار، كما حورب كل من فكر في ذكر جذور تاريخ المغرب في جاهليته وإسلامه، كجميع الدول في حريته واستعماره، في امتداده وتقلصه، في انكماشه وتفتحه، في تبعيته ونموذجيته، في تضامنه وتمسنكه وازدهاره.

فما العيب في بحث محترم حداثي توغل في القدم إلى ما قبل هيروضوت herodote أو سكولاكس؟ فالمغاربة دائما في وطنهم تامازغا: شمال أفريقيا، وهم أمة تتكيف مع الواقع، وتتطور عبر التاريخ. "فمن يستطيع أن ينكر ثورة أڭليد ماسينيسا؟ الذي كان يصرّح فيما يتعلق بالأجانب، سواء كانوا فينيقيين أو رومانيين" **إن إفريقيا يجب أن تكون للإفريقيين)** وهي نظرية كان من شأنها أن تسحر رعاياه البربر"[50].

ومن ينكر مقاومة دولة برغواطة واستمرارها لعدة قرون؟ ومن يقدر أن يشك في نجاح ثورة الملك والشعب في عهد محمد الخامس؟، ومن يستطيع أن ينكر تلبية المسيرة الخضراء بكلمة واحدة، من ملكنا الحسن الثاني،؟وهكذا في التمسك بمذهب مالك، ثم تطور الدستور المغربي الفريد لسنة 2011م في عهد ملكنا محمد السادس، هذا الدستور الذي صار نموذجا يحتذى، وما شئت من شذرات في تاريخ المغرب ونتمنى من " المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب " أن يرد على النعوت غير اللائقة مثل مواصفات التكفير " **والحوڭرا** وترويج إعادة أسلمة البربر" فقد أكرم الله الأمة المغربية بالإسلام فالإيمان فالإحسان، فمن المغرب انتشرت الصوفية.

[50] أندري جوليان تاريخ إفريقيا الشمالية ص 137.

ومن تلك المصطلحات: " الكفار، الزنادقة، الماروقون، الجاحدون، المنكرون المنافقون، السحرة، المبتدعون المتنبئون، الكذّابون، والخالقون لقرآنهم الخاص، ومعبودهم باسم خاص، نعم، كل ذلك كان عند برغواطة، لكن بفكرهم وبلغتهم قبل غزوهم وبنظامهم كدولة قائمة بذاتها، وهذا ما لا يستسيغه الآخرون، لذلك يصرون على محاربة الفكر المغربي الأمازيغي الذي يتحدّى غيره عبر التاريخ في **الجاهلية والإسلام**، ومن حق ماضي المغاربة أن يسجل، كما سُجّل تاريخ الأمم في عهد القوة والضعف، وفي عهد الحرية والاستعمار، وفي فترات المد والجزر، والتاريخ منه العام والخاص.ومن حقه أن يسجل خيره وشره، كما سجل القرآن **"تبّت يدا أبي لهب"**.وهو من عائلة الرسول! ومن أقرب الناس إليه، فما العيب في ذلك يا من يرفض ذكر تاريخ البربر؟.

إن الأمة المغربية قديمة قدم تعمير هذا الوطن، ولطول العهد تتعرض الدول لبعض السلبيات من ذلك ما سبب في تقلص إمراطورية المملكة المغربية لولا يقظة الوطنية المغربية بفضل عبقرية الحسن الثاني، انطلاقا من المسيرة الخضراء، ومن ثم إلى مسيرة السدود، ومن ثم إلى ثورة سلمية شاملة للهوية المغربية في البناء والتشييد والديمقراطية والتضامن ثم الانتماء إلى المغرب الكبير الذي نادى به السلطان سيدي محمد الخامس منذ بداية 1956م.

والتاريخ من أهم وسائل التبليغ، فمن حضر وسكت عن حقه ضاع حظه، ومن وصله الإصلاح فاقتنع به يكن كمن قذف الله في قلبه نوراً فيقبله، ومن كلّف الإيمان بذلك لشدته عليه يكن ردّ فعله رافضا لأسلوب التبليغ لا لقبول عين الإصلاح والعمل به.. وذلك واضح في جميع المكلفين بالتبليغ انطلاقا من الأنبياء إلى الرسل إلى الملوك إلى الزعماء إلى المصلحين، والكل يتعرض للصعوبات، وقد حبى الله هذا المغرب بشخصيات منه عبر التاريخ نحمد الله على ذلك.

وفي الرسالات السماوية نماذج ساطعة من المعاناة، كحوار إبراهيم لأبيه ولو كان منطقيا، ومبارزة موسى لفرعون ولو كان الذي رباه. وإبراهيم وعيسى لمجتمعهما ولو كانت فوق الخيال، ولما جاء محمدً (ص) بكتاب من عند الله مصدقا لما معهم كفروا

به. إلا قليل منهم، ومن الطبيعي أن يرفض الناس كل حادث يستهدف ما وجدوا عليه آباءهم، "فريقا هدى، وفريقا حق عليهم الضلالة".

وهنا يأتي دور القائد والزعيم والمصلح والمربّي،الذي اشتق اسمه من التربية ،والربّ من أسمائه تعالى، وجميع المصلحين مربّون، لكنهم يتفاوتون في نجاحهم في تربية أقوامهم وفي كيفية إقناعهم، ولنا في رسول الله (ص) إسوة حسنة، ومنها "ادفع بالتي هي أحسن "وشتان ما بين مواجهة القوم بقول:" ربّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا" وبين قول رسول الله (ص) : [اللهمّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون] .

وظاهرة القبول والرفض في البشر معروفة عبر التاريخ، وجميع الأنبياء والرسل والمصلحين اصطدموا بهذا المبدأ، لكن التباين في كيفية معالجة المعارضة، والرسالات السماوية كلها لم يسلم مبلغوها من الصعوبات،.ومن التربية مخاطبة أبناء الزمان بمقتضى عقولهم كي لا يفوهوا بإنكار، ومن ذلك ما يعرف بالديمقراطية الحقيقية لصالح الزمان والمكان ومن فيهما .وحذار من دكتاتورات الأغلبية المصطنعة.

وهذا ما بدأ به الإسلام من قدوة إلى تربية فرد إلى عائلة إلى قبيلة إلى مجتمع إلى أمة إلى شعب. وتلك منهجية ناجحة إلى حين، وهل طبق خصوم برغواطة هذه المنهجية أم إنما استصدروا فتوى من فقيه متشدد لا يقل عن حجاج بن يوسف وأمثاله؟ لكن ما العمل إذا آمن قوم ثم كفروا؟ وهل يمكن أن نناقش الأمر هكذا فيما يخص بالتحديد دولة برغواطة؟ إليك أيها القارئ الكريم هذه الإشارات من المؤرخين ممن مع وممن مع ضد:

1- إما أن برغواطة أجبروا منذ البداية بالقوة على اعتناق عقيدة الغير بدون تفسير ولا شرح ولا الإبقاء على ما هم عليه من صالح المجتمع، فإن كان الأمر كذلك فرد الفعل منتظر.

2- وإما أن القوم وجدوا في الشريعة الجديدة ما يبشر بما هو عندهم فقبلوه على نية مصلحة الجميع، كما ظن الفرس، إلى أن فعل بهم ولاة بني أمية - رغم إسلامهم - ما فعله الذئب في الغنم.

3- وإما أن القوم فهموا من التشريع الجديد ما لا طاقة لهم به، فذلك ظلم يقاوم بعدما قالوا ربنا الله، لكن الولاة قالوا لا نقبل منكم حتى النفاق إلى أن نلقنه نحن لكم.

4- وإما أن الغزاة حولوا العقيدة إلى الاحتكار والعبودية والظلم والاسترقاق بما ليس في كتاب الله أو لقن بتأويلات وتفسيرات ما أنزل الله بها من سلطان، فالرد واجب.ورحم الله عمر بن الخطاب " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

5- وإما أن مصدر القرار لم يراع ما فرضه التطور مراعاة لظروف الزمان والمكان، فطبيعة الحياة والفكر تقاوم تلقائيا.كما هو المشاع بين الغازي والمغزو عبر التاريخ.

ظهور بوادر الردة عند العرب أولا:

"وكانت ردة الأسود العنسي أول ردة في الإسلام، على عهد رسول الله (ص) حيث أخرج من اليمن خلفاء الرسول واستتب له ملك اليمن، واستطار أمره كالحريق، وتبعه في الردة خليفته عمرو بن معْديكَربَ "[51]. (الكامل في التاريخ ابن الأثير ج 2/ 213)

"وأما أخبار الردة فإنه لما مات النبيء (ص) وسير أبو بكر جيش أسامة ارتدت العرب، وتضرمت الأرض نارا، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشا وثقيفا " فتنبّأ كثير من رؤساء القبائل العربية، منهم من تزعم ذلك وأعلنه في عهد الرسول، ومنهم من ظهر بعد موته مباشرة بدعوى أنه **"لو كان نبيئا لما مات!"**!. ومثال ذلك ردة مسيلمة بن حبيب الحنفي الكذّاب في قصة منها، أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله (ص) وخلّفوا مسيلمة في رحالهم، فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا :يا رسول الله: إنّا قد خلفنا صاحباً لنا في رحالنا وفي ركابنا يحفظها لنا.

قال: فأمر له رسول الله (ص) بمثل ما أمر به للقوم من الهدايا، وقال:"أما إنه ليس بشرّكم مكانا"، أي لحفظه ضيعة أصحابه. ثم انصرفوا وجاءوه بما أعطاه، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبّأ، وتكذّب لهم وقال:

"إنّي قد أُشْرِكتُ في الأمر معه، ألم يقل لكم حين ذكرتموني له "أما إنه ليس بشركم مكانا"؟ ما ذاك إلا لما كان يعلم أني قد أشركتُ في الأمر معه، ثم جعل **يسجع لهم الأساجيع** ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : [لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج

[51] الكامل في التاريخ ابن الأثير ج 2 ص 213.

منها نَسَمَة تسعى، من بين صفاق وحَشى..] وأحل لهم الخمر والزنا، ووضع عنهم الصلاة، ومع ذلك يشهد لرسول الله (ص) بأنه نبيء[52].

وهذه الردة وقعت والرسول حي، ثم استمرت إلى حين، وأخطر ما فيها مضاهاة القرآن الكريم، محاكاة لأسلوبه البليغ بالنسبة للعرب، لكن الرواة اقتصروا على نقل القليل، إما لأنهم تحاشوا المزيد تجنبا لخلط الأمر على الدهماء، أو لأن ما كتب ألغي فيما بعد، ونفس الشيء نجده لدى الرواة في عهد الفتوحات الأولى، ومنها ما راج حول إحراق خزانة الإسكندرية بمصر، وما ابتليت به الحضارة الإنسانية شرقا وغربا من التطرف.وإحراق الثقافة الأمازيغية.

وقد استدل المؤرخون على إحراق مكتبة الإسكندرية على يد عمرو بن العاص " بأن المسلمين كانت لهم رغبة عظيمة في محو أي كتاب غير القرآن والسنة، وأنهم أحرقوا مكاتب الفرس عند فتحهم بلادهم، كما ذكر ذلك حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون، وكذلك أبو الفرج وعبد اللطيف البغدادي وابن القفطي.. وأن ذلك كان أمرا معروفا وشائعا يتشفى به كل مخالف ممن خالفه في رأيه"[53].

وقد يقول البعض: فما العمل إذا وصلت المضاهاة إلى مستوى جرأة مسيلمة بن حبيب الذي كتب إلى رسول الله (ص) هذه الرسالة:"من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون"[54].

فرد الرسول (ص) بهذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذّاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يؤرثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين"[55].

وبعد موت رسول الله ارتد عمرو بن معديكرب في قومه بعد إسلامه[56].

[52] سيرة ابن هشام ج 4 ص 223.
[53] تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 1 ص 242.
[54] سيرة ابن هشام ج4 ص 247.
[55] سيرة ابن هشام ج4 ص247.
[56] المرجع نفسه ج4 ص231.

كما ظهر القرامطة والفاطميون والكل يحتكر تفسير الإسلام، فالتيار الأول نشأ في أقصى الشرق العربي، والتيار الثاني تقوى في أقصى الغرب الأمازيغي، وفي سنة 361هـ انهزم القرامطة بباب القاهرة أمام الفاطميين،أي أمام القوة المغاربية، وفي سنة 362هـ انتقل المعز الفاطمي من المغرب الكبير إلى مصر حيث وجه من فسطاط مصر هذا الكتاب الطويل جدا إلى الناس حسب المصادر الإسماعيلية. ونورد منه باختصار ما لم نسمعه من برغواطة ولا وجدنا له قليلا من قرآتهم كما يأتي :

رسوم النطفاء:

بسم الله الرحمن الرحيم " رسوم النطفاء ومذاهب الائمة والأنبياء، ومسالك الرسل والأولياء، السالف والآنف، منا صلوات الله علينا وعلى أبنائنا أولي الأيدي والأبصار، في متقدم الدهور والأكوان، ومسالك الأزمان والأعصار، عند قيامهم بأحكام الله وانتصابهم لأمر الله، الابتداء بالأعذار، والانتهاء بالإنذار، قبل إنفاذ الأقدار، في أهل الشقاق والآصار، لتكون الحجة على من خالف وعصا، والعقوبة على من بان وغوى، حسب ما قال الله عز وجلّ: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير" " قل هذه سبيلي أدعو إلى الله، على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله، وما أنا من المشركين" " فإن آمنوا بمثل ما أمنتم به فقد اهتدوا، وإن تولوا فإنما هم في شقاق".

أيها الناس: قد جاءكم بصائر من ربكم، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها، ليذكر من يذكر، وينذر من أبصر واعتبر، أيها الناس: إن الله عز وجل إذا أراد أمرا أقضاه، وإذا قضاه أمضاه، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا، وأبرزنا أرواحا، بالقدرة مالكين، وبالقوة قادرين، حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا شمس تضيء، ولا قمر يسري، ولا كوكب يجري، ولا ليل يجنّ، ولا أفق يكنّ، ولا لسان ينطق، ولا جناح يخفق، ولا ليل ولا نهار، ولا فلك دوّار، ولا كوكب سيّار، فنحن أول الفكرة وآخر العمل، بقدَرٍ مقدور، وأمر في القدم مبرور، فعند تكامل الأمر وصحة العزم، وإنشاء جل وعز المنشآت، وإبداء الأمهات من الهبولات، طبعنا أنواراً وظُلماً، وحركة وسكونا، ..وظاهرٌ وباطنٌ، ومحسوسٌ وملموسٌ، ودانٍ وشاسعٌ، وهابطٌ وطالعٌ، كل ذلك لنا ومن أجلنا، دلالة علينا، وإشارة إلينا، يهدي به الله من كان له لبٌّ سجيحٌ، ورأي صحيحٌ.

ثم إنه جل وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم، آدم وحواء أبوين ذكرا وأنثى، سببا لإنشاء البشرية، ودلالة لإظهار القدرة القوية، وزواج بينهما فتوالد الأولاد، وتكاثرت الأعداد، ونحن ننتقل في الأصلاب الزكية، والأرحام الطاهرة المرضية، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلما وهلم جرا إلى آخر الجد الأول، والأب الأفضل سيدي المرسلين، وإمام النبيئين، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد، فحسن ألاؤه، وظهر بالأحدية، ودان بالصمدية، فعندها سقطت الأصنام، وانعقد الإسلام، وانتشر الإيمان، وبطل السحر والقربان ،وهربت الأوثان، وأتي بالقرآن شاهدا بالحق والبرهان، فيه خير ما كان وما يكون إلى يوم الوقت المعلوم، منبئا عن صحف تقدمت، في صحف قد نزلت، تبينا لكل شيء، وهدى ورحمة ونورا وسراجا منيرا،وكل ذلك دلالة لنا، ومقدمات بين أيدينا وأسباب لإظهار أمرنا، هدايات وآيات وشهادات قدسيات، إلالهيات أزليات، كائنات منشآت، مبدئات معيدات، فما من ناطق نطق، ولا في كتابه وخطابه، ومنار أعلامه، ومرموز كلامه، فما هو موجود غير معدوم، وظاهر وباطن، يعلمه من سمع النداء، وشاهد ورأى، من الملإ الأعلى، فمن أغفل منكم أو نسي، أو ضل أو غوى، فلينظر في الكتب الأولى، والصحف المنزلة وليتأمل إلى القرآن، وما فيه من البيان، وليسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم، فقد أمر الله عز وجل بالسؤال، فقال:" فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"[57].

من المعلوم أن للمؤرخين رأيا في الفاطميين من حيث الأصل والعقيدة والفكر وما كسبوه من الحسنات وما اكتسبوه من السيئات، "وليراجع السيوطي في هذا الباب" ولكل منظوره الخاص والذي يهمنا هنا هو الإشارة ،إلى ما يأتي:

1- نشأت دولة الفاطميين في وطن المغاربة، وعلى أكتاف المغاربة، وانتصروا بجيوش المغاربة وبأطرهم، وخاصة قبيلة كتامة، ثم انتقلوا إلى الشرق.بشباب المغرب، ودفعوا بهم لفتح الشام، فتعرضوا هناك للقتل والذبح من طرف القرامطة هنالك؟.

[57] كتاب القرامطة د مصطفى غالب ص 422.

2- بقوة بشرية مغربية استطاعت سلطة الفاطميين أن يردوا تيار القرامطة الجارف عن مصر ويكسرون شوكتهم، فكان من حق كتامة الانفصال عنهم لما أنكروا فضلهم وتضحياتهم وفي النهاية كان "جزاؤهم جزاء سِنمّار".

3- أنكر الفاطميون دور المغاربة بل أرسلوا إليهم أعراب بني هلال وبني سليم قائلين لهم "دونكم العبد الآبق" وعددهم ما بين عشرين إلى ثلاثين ألف، هاجروا من شبه الجزيرة إلى شرق وادي النيل، ومن هناك أرسلهم الفاطميون فخربوا شمال أفريقيا بشهادة ابن خلدون، وقولة المنصور الموحدي في إدخالهم إلى المغرب تُعربً عن أسفه لأنهم عنصر غير مستقر..

4- استعمل الفاطميون لغات الشعوب بما فيها اللغة الأمازيغية ومن أوامرهم لدعاتهم قولهم : "ويبشرون بأيامنا، بتعاريف اللغات واختلاف الألسن" لقوله عز وجل "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" لأن قبيلة كتامة أمازيغية وتعني (كُوتاما) أصحاب الجهة والحافة، لكن دعاة الشيعة فسروها بأصحاب الكِتمان!؟ ومثل ذلك مشاع في المغرب يحتاج إلى مجلد.، "وذكر ابن عذاري أن المهدي الفاطمي أظهر التشيع القبيح، وسب أصحاب النبي وأزواجه، وفرض على الفقهاء الفتوى بمذهب جعفر بن محمد، وأسقط الحنث عن الطلاق بالنية؟ وعمم إحاطة البنات بالميراث، ومدح الشاعر عبيد الله بالكفر فاستجازه"[58].

*** ما شئت لا ما شاءت الأقدار * فاحكم فأنت الواحد القهار***

والبيت لابن هانئ الأندلوسي الذي سموه فقال عنه الفاطمي: " كنا نريد أن نفاخر به أهل الشرق ولم يقدر لنا ذلك لشبهه باحمد بن الحسين المتنبئ الشاعر المشهور.

5- وحول رسالة الفاطميين كان جواب القرامطة للفاطمي حسب رد الحسن الأعصم "جوابك وصل، الذي قل تحصيله، وكثر تفصيله، ونحن حاضرون إليك على أثره والسلام"[59]. هذه حالة الشرق الإسلامي، فماذا عسى أن تكون عليه حالة الغرب الإسلامي؟ وأكبر قوة مقاومة فيه دولة برغواطة ؟

[58] محمود إسماعيل ص 221.
[59] القرامطة بين المد والجزر ص 433.

تكفير دولة برغواطة لعزلهم عن المجتمع :

1- كلمة الكفر: تعني خلاف الإيمان، ومعنى ذلك أن المتهم بالكفر أي الإنكار بعد الإيمان، أو ما يعرف بالردة، ومعنى هذا أن برغواطة قد بلّغ إليهم الإسلام؟ وإذا فرضنا ذلك فبأية وسيلة وبأية لغة؟ وعلى يد مَن من الفقهاء؟ وهل هناك من يحسن ترجمة القرآن الكريم بالأمازيغية من أولئك الدعاة والجنود ؟ وكل ما نعرف عما قيل: إن عقبة وصل إلى "آسافي" وعين المكان يسمّى تانسيفينْ (ملتقى الروافد) ولا علاقة له بكلمة التأسف بالعربية، أما خطبته فعلى محاكاتها نسجوا خطبة طارق.مع العلم أن هناك على الجرف شمال مدينة أسفي موقعا لا قبر فيه يسمى" بوزيدون "ورد في التاريخ أنه موقع يرجع إلى بوصيدون الفينيقي كما في تونس كذلك.

2- لماذا انتشرت الردة منذ بداية الإسلام: عند العرب أنفسهم؟ يظهر أن النطق بالشهادتين كان لا يكلف العرب شيئا ماديا، شأنهم شأن المنافقين" يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم" لكن لما ترتبت عن ذلك دفع الزكاة مما يملكون، صار ذلك صعبا عليهم، فاستغل العنسي الكذاب ذلك فرفض أداء الزكاة، ليعلن نبوته!.

وطبيعي أن أي نظام جديد لا بد له من الإمكانات المادية، إذ لا يقوم الواجب إلا بها، وذلك معروف، وهكذا أصر أبو بكر على ربط الزكاة بالصلاة كما ربطهما القرآن الكريم تدريجيا في حوالي ست وعشرين آية "وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون"[60].

لكن حتى الزكاة الشرعية أحيانا لا تكفي مصاريف الدولة، إلى حد الانتقال من الزكاة إلى الجزية إلى الإجحاف على الدميين، وقد يمتد ذلك إلى مناطق مسلمة، بإرادة من بعض الولاة الجائرين الأباعد عن مركز الدولة، ومثال ذلك رسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز منها، وكتب عمر إلى الجرّاح :"انظر من صلى قِبلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية" فسارع الناس إلى الإسلام، فقيل للجرّاح: إن الناس قد سارعوا إلى الإسلام، وإنما ذلك نفور من الجزية، **فامتحنهم بالختان**"[61].

[60] سورة فصلت الآية 7.
[61] الطبري ج4 ص 64.

فكتب الجرّاح بذلك إلى عمر، فكتب إليه عمر:بن عبد العزيز "إن الله بعث محمدا (ص) داعيا ولم يبعثه خاتنا" ولذلك انتشر الإسلام في شمال أفريقيا في عهده، كما كثر الخير والخصب في خلافته القصيرة جدا حيث توفي سنة 101هـ[62].

فإذا كان فرض الزكاة أدّي إلى الثورات فمن المنتظر أن يؤدي الخراج والجزية وتعسف الولاة بما لا يوجد في الكتاب ولا في السنة إلى إنكار أوامر الولاة، وينتشر العصيان، فيكون رد السلطات اتهام الجميع بالردة وبجميع توابعها، فالظلم يولد الانفجار لدى الشعب، والحاجة تفرض ارتكاب أخف الضررين وأقوى المفسدين، لذلك تنص بعض الدساتير الحديثة على "التضامن"؟.

فبماذا اتهمت برغواطة ؟ كدولة مستمرة في وطنها تامازغا أكثر من 400 سنة إننا لم نعثر بعد على أنها رفضت الصلاة ولا الزكاة ولا العشر، بل قامت هي بنفسها بذلك إلى حد المبالغة في بعض ما سجله الخصوم، الذين نزلوا عليها بالتكفير.مع اعتراف بأنهم **يسجدون ويركعون في مساجدهم** بهذه الأسماء، ولذلك سنتتبع ما نقله البعض وما سجله عنهم البعض، ومن ثم نشرع في نقد ما جمعناه، بما يستحق، من نقد بناء، وما يليق به من انتقاد،.معتمدين على ما لدينا من المصادر والمراجع :

دولة برغواطة عن البكري:

ذكر ممالك برغواطة وملوكهم قال: أخبر أبو صالح زَمّور بن موسى بن هشام بن وارْديزْن البرغواطي، وكان صاحب صِلاتهم (بكسر الصاد) حين قدم على الحكم المستنصر رسولا من قبل صاحب برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير يحْمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف، وكان وصول المترجم عنه بجميع ما أخبر به الرسول الذي قدم معه إلى قرطبة، في شوال سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة 352هـ وهوالمترجم عنه بجميع ما أخبر به الرسول الذي قدم معه، وهو أبو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاسى من أهل شالة مسلم من بيت خيرون بن خير، فأخبر زمّور أن طريفا أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق، وأنه كان من أصحاب ميسرة المطغري المعروف بالخفير (مُهاب الجانب) ومغرور بن طالوت والي طريف الذي نسبت إليه شبه جزيرة طريف، فلما قتل ميسرة

[62] الطبري ج 4 ص 64.

وافترق أصحابه احتل طريف ببلد تامسنا، وكان إذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة، فقدمه البربر على أنفسهم وولى أمرهم.

وكان على ديانة الإسلام إلى أن هلك هنالك، وتخلف من الولد أربعة فقدم البربر ابنه صالحا منهم" قال زمّور: وكان موت صالح بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، بمائة عام سوا قال وحضر مع أبيه حروب ميسرة الخَفير وهو صغير قال **وكان من أهل العلم والخير** فتنبأ فيهم، وشرع لهم الديانة التي هم عليها، إلى اليوم، وادعى أنه نزل عليه قرآنهم الذي يقرأونه إلى اليوم، قال زمور: وهو صالح المؤمنين الذي ذكره الله عز وجل في قرآن محمد عليه السلام في سورة التحريم.

وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته وعلمه شرائعه وفقّهه في دينه وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي وأمن، فإنه يدعو إلى ملّته ويقتل حينئذ من خالفه، وأمره بموالاة أمير الأندلس، وخرج صالح إلى المشرق، ووعد أنه سينصرف إليهم في دولة **السابع** من ملوكهم، وزعم أنه **المهدي الأكبر**، الذي يخرج في آخر الزمان **لقتال الدجّال، وأن عيسى بن مريم يكون من أصحابه، ويصلي خلفه**، وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وتكلم لهم في ذلك كلاما كثيرا نسبه إلى **موسى الكليم** عليه السلام،وإلى **سطيح الكاهن**، وإلى ابن عباس، وزعم أن اسمه في العربي صالح، وفي السرياني مالك، وفي الأعجمي عالم، وفي العبراني وربيا، وفي البربرية ورياوري: أي الذي ليس بعده شيء.(أي خاتم الأنبياء)؟.

فتولى إلياس الأمر من بعد خروج أبيه يظهر ديانة الإسلام، ويسر الذي عهد إليه به أبوه خوفا وتقية، **وكان طاهرا عفيفا لم يلتبس بشيء من الدنيا** إلى أن هلك بعد أن ملك خمسين سنة (50) وولد إلياس جماعة، منهم يونس فتولى الأمر بعد أبيه، فأظهر ديانتهم، ودعا إليها **وقتل من لم يدخل فيها** حتى أخلى ثلاثمائة مدينة وسبعا وثمانين مدينة **(387)** حمل جميع أهلها على السيف لمخالفتهم إياه، وقتل منهم بموضع يقال له تاملّوكاف وهو حجر نابت عاليٌّ في وسط السوق سبعة آلاف وسبع مائة وسبعين قتيلا **(7770)**.

وقتل من صنهاجة خاصة في وقعة واحدة ألف وغد، والوغد عندهم المنفرد الوحيد الذي لا أخ له ولا ابن عم، وذلك في البربر قليل، وإنما أحصوا الأقل ليستدل به على

الأعظم الأكثر، (مبالغة غير مقبولة) قال زمّور :**ورحل يونس إلى المشرق ،وحج،** ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده." وفي الشرق أخذ يونس يتعاطى لمخذر يهدف تقوية الذاكرة - والقات لم يكن مجهولا في العصر الوسيط - لأن الذاكرة كانت حينها تلعب دورا حاسما في اكتساب المعرفة، وكان يونس شرب دواء الحفظ، فاتسع أفقه واهتم بالتنجيم والكهانة ودرس علم الكلام والجدال حسب ابن خلدون عن عبد الله المعتزلي بدلا من غيلان الدمشقي الذي نكل به في عهد هشام بن عبد الملك سنة 125هـ / 743م[63]، ومات يونس بن إلياس بعد أن ملك أربعا وأربعين سنة.

وانتقل الأمر عن بنيه بقيام أبي غفير يحمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف عليهم فاستولى على الملك بدين آبائه، واشتدت شوكته، وعظم أمره، وكانت له وقائع كثيرة، في البربر مشهورة لا تنسى مع الأيام، منها وقيعة تيمغيسن (تي ـيمي ئـكّـي ئسني) [ذات باب فوق المدخل لا حظ أسني بجوار ضريح مولاي إبراهيم] وكانت مدينة عظيمة أقام القتل في أهلها ثمانية أيام، من الخميس إلى الخميس، حتى شرقت دورهم ورحابهم وسككهم بدمائهم، ومنها وقعة بموضع يقال له **بَـهْتْ** عجز الإحصاء عن عدّ من قتل فيها .هذا لا يخلو من المبالغة.

وكانت لأبي غفير من الزوجات أربع وأربعون زوجة (44) كان له منهنّ من الولد بعددهم، ومات أبو غفير بعد أن ملك تسعا وعشرين سنة (29) وذلك عند ثلاثمائة من الهجرة، وولى الأمر بعده من بعده من بنيه عبد الله أبو الأنصار ،**وكان سخيا ظريفا يفي بالعهد، ويحفظ الجار، ويكافئ على الهدية بأضعافها**، وكان أفطس شديد أدمة الوجه، ناصع بياض الجسم، طويل اللحية، وكان يلبس السراويل والملحفة، ولا يلبس القميص ولا يعتمّ (العمامة) إلا في الحرب، ولا يعتم أحد في بلده إلا الغرباء، وكان يجمع جنده وحشمه في كل عام، ويظهر أنه يغزو من حوله فتهابه القبائل **وتستالفه** فإذا استوعب هداياهم وألطافهم فرق أصحابه وسكنت حركته، فملك في دعة اثنتين وأربعين سنة، (42 سنة) ودفن **بأمْسَلاخت** وبها قبره، وولى بعده من بنيه ابنه أبو منصور عيسى بن أبي غفير، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة (341هـ /952م) فسار بسيرة أبيه، ودان بدياناتهم، واشتدت شوكته، وعظم سلطانه، وكان أبوه قد وصّاه قبل موته بموالاة صاحب الأندلس،

[63] الطالبي ص 36.

وكذلك يوصي جميعهم المرشح للملك بعده .قال زمّور: وقال له يا بني: أنت سابع الأمراء من أهل بيتك،وأرجو أن يأتيك صالح بن طريف، كما وعد. انتهى.كلام زمّور"[64].

وقال أبو العباس فضل بن مفضل بن عمرو المذحجي إن يونس القائم بدين برغواطة أصله من شدونة من وادي بربط، وكان قد رحل إلى المشرق في عام واحد مع عباس بن ناصح، وزيد بن سنان الزناتي، صاحب الواصلية، وبرغوث بن سعيد التراري وجدّ بني عبد الرزاق، ويعرفون ببني وكيل **الصفرية**،ومناد صاحب المنادية المنسوب إليه القلعة المعروفة بالمنادية قريبا من سجلماسة وآخر ذهب عني اسمه، فأربعة منهم فقهاء في الدين.

وادعى ثلاثة منهم النبوة، منهم يونس صاحب برغواطة قال: وكان يونس شرب دواء الحفظ، (ربمّا القات المعروف في الشرق) فلقن كل ما سمع وحفظه، وطلب علم النجوم والكهانة والجانّ، ونظر في الكلام والجدال، وأخذ ذلك عن **غيلان**،(مستحيل لأنه لم يعاصره) ثم انصرف يريد الأندلس، فنزل بين هؤلاء القوم من زناتة،(عند ابن خلدون مصمودة) فلما رأى جهلهم استوطن بلدهم، وكان يخبرهم بأشياء قبل كونها مما تدل عليه النجوم عندهم، فتكون على ما يقول أو قريبا منه، فعظم عندهم فلما رأى ذلك منهم وعرف ضعف حلومهم وسخافة عقولهم أظهر ديانته ودعا إلى نبوته، وسمّى من اتبعه **بربطي**. لمّا كان من بربط، ثم أخالوه بألسنتهم وردّوه إلى لغاتهم ،فقالوا برغواطي.قال فضل بن مفضّل: وقال سعيد بن هشام المصمودي في وقعة بهت قصيدة طويلة اخترنا منها أبياتا :

قفي قبل التفرق فاخبرينا * وقولي واخبري خبرا مبينا
هموم برابر خسروا وضلّوا * وخابوا لا سُقوا ماء معينا
ألانم أمة هلكت وضلّت *وزاغت عن سبيل المسلمينا
يقولون النبيّ أبو غفير *فأخزى الله أمّ الكاذبينا
ألم تسمع ولم تر يوم بهْتٍ *على آثار خيلهم رنينا
رنين الباكيات فبين ثكلى * وعاوية ومسقطة جنينا

[64] المسالك والممالك البكري ص 137.

سيعلم قوم تامسنا إذا ما * أتوا يوم النشور مهيمنينا
هناك يونس وبنو أبيه * يقودون البرابر مهطعينا
إذا وريـاورى زمّت عليه * جهنّم قايد المستكبرينا
فليس اليوم ردّتكم ولكن * ليالي كنتم متميسرينا

هذا البيت يصدق قول زمّور البرغواطي أن طريفا كان من أصحاب ميسرة ويشهد له، وأما هذا الضلال الذي شرع لهم يقومون به مع الإقرار بالنبيين الإقرار بنبوة صالح بن طريف ونبوة من تولى الأمر بعده من ولده، وأن الكلام الذي ألف لهم وحْيٌ من الله تعالى، لا يشكّون فيه. تعالى الله عن ذلك، وصوم رجب، وأكل شهر رمضان، وخمس صلوات في اليوم، وخمس صلوات في الليلة، والتضحية في اليوم الحادي عشر من المحرم.

وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين، ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفاء، وغسل الذراعين من المنكبين،ومسح الرأس ثلاث مرات ومسح الأذنين كذلك، ثم غسل الرجلين من الركبتين.

وبعض صلواتهم **إيماء** بلا سجود، وبعضها على **كيفية صلاة المسلمين**،وهم يسجدون ثلاث سجدات متصلة، ويرفعون جباههم وأيديهم عن الأرض مقدار نصف شبر، وإحرامهم أن يضع إحدى يديه على الأخرى، ويقول : بِسْمِنْ ياكوش تفسيره بسم الله، مقور ياكوش، تفسيره الكبير الله،(الله أكبر) ويضعون أيديهم مبسوطة في الأرض، طول ما يتشهدون ويقرأون نصف قرآنهم في وقوفهم، ونصفه في ركوعهم، ويقولون في تسليمهم بالبربرية الله فوقنا، لم يغب عنه شيء في الأرض ولا في السماء، ثم يقول: مقور ياكوش،خمسا وعشرين مرة (المسبحات)إيحْن ياكوش مثل ذلك ومعناه الواحد الله (الله أحد) وردام ياكش مثل ذلك، ومعناه لا أحد مثل الله ،(ليس كمثله شيء) وهم يجمعون يوم الخميس ضُحىً وصيام يوم من كل جمعة فرض من فروضهم ويصوم الجمعة الأخرى التي تليه أبدا.ويأخذون العشر في الزكاة من جميع الحبوب، ولا يأخذون من المسلمين شيئا .

ويتزوج من النساء ما استطاع على مبالغتهن والإنفاق عليهن بلا حد عدد وأن لا يتزوج من بنات عمه إلى ثلاثة جدود ولا يتسرّون ولا ينكحن للمسلمين ولا ينكحون

فيهم ويطلقون ويراجعون ما أحبوا، ويقتل السارق بالإقرار أو بالبينة، ويرجم في الزناء عندهم وينفى الكاذب ويسمونه المغيّر، والدية عندهم مائة من البقر، ورأس كل حيوان عليهم حرام. هذا ما نقل عن السودان.

والحوت لا يؤكل إلا أن يذكّى، والبيض عندهم حرام، والدجاج مكروهة، إلا أن يضطر عليها، وليس عندهم أذان ولا إقامة، وهم يكتفون في معرفة الأوقات بزقاق الديوك، ولذلك حرموها.

وكان يبصق في أيديهم فيلعقونه تبركا به،(في الأصل بصق صلحائهم وليس ديكهم) ويحملون بصاقه إلى مرضاهم يستشفون به، **وصارت برغواطة أعلم الناس بالنجوم:** وكانوا أجمل الناس رجالا ونساء وأشدهم أيْداً (قوّة)، كانت الجارية البكر منهن تثب ثلاثة حمر مصطفة ولا يمس ثوبها شيئا من الحمر، ولا تقدر على ذلك ثيب.

وقرآنهم الذي وضع لهم صالح بن طريف ثمانون سورة أكثرها منسوبة إلى أسماء النبيئين من لدن آدم أولها سورة أيوب، وآخرها سورة يونس، وفيها سورة فرعون، وسورة قارون، وسورة هامان، وسورة يأجوج ومأجوج، وسورة الدجال، وسورة العجل، وسورة هاروت وماروت، وسورة طالوت، وسورة ثمود، وما أشبه هذه من الأقاصيص، وسورة الديك، وسورة الحجل، وسورة الجراد، وسورة الجمل، وسورة الحنش وكان يمشي على ثمانية أرجل، وفيها سورة غرائب الدنيا، **وهناك العلم العظيم عندهم.**

أول سورة أيوب:لبرغواطة: ذكر كلمات مترجمة من أول سورة أيوب، وهي استفتاح كتابهم، **"بسم الله الذي أرسل به الله كتابه إلى الناس هو الذي بين لهم به أخباره قالوا علم إبليس القضية، - أبى الله - ليس يُطيق إبليس كما يعلم الله، سل أي شيء يقلب (يغلب) الألسن في الأقولة ؟ ليس يقلب (يغلب) الألسن في الأقولة إلا الله، بقضائه باللسان الذي أرسل الله بالحق إلى الناس، استقام الحق، انظر محمدا وعبارة ذلك بلسانهم،إيمني مامَتْ، فمامَتْ محمد، كان حين عاش استقام الناس كلهم الذين صحبوه حتى مات، ففسد الناس، كذب من يقول: إن الحق يستقيم، وليس ثمّ رسول الله "[65].**

[65] البكري ص 140.

ترجمة النص:[سـ وَسّاغ نـ ربّي لّي سد يوزن ربّي أدليس نس،نـ ميدّن، نثّا لّي سـ اسن نملا نتغميسن نس، نّان يسّن إبليس غيكانّ: وَهـو؟ غيكان وَر اس يـزْضار إبليس سـ زوند غيكلّي يسّن ربّي، سقّسي غ كرا لّي يثّـنرون ألسيوْن غ يواليوْن، وَر أيْـتـنرو ألسيوْن غ يواليوْن بلا ربّي سـ تايْري نس، سـ واوال لّي د يوزن ربّي سـ وَنزكّـي نـ ميدّن. نبيدّ وَنزكّي، ژر محمد د وَسكّد نسن سـ توتلايْت نسن،نلّـيغ وَر يمّوت، أشكو وَر يمّوت محمد، نلّيغ يسول أنونّ ميدّن لّي ديس يلاّن كرا كّـأن، ماشّ يلّيغ يمّوت كّـوفسان ميدّن، نـسكاركّس وانّا يثّـينين راد يبيدّ وَسكّـد واحّا وَر يلّي وَمازان نـ ربّي].

وفي سورة طويلة قال زمّور:إن بني صالح بن طريف يركبون وقت إخباره في ثلاثة آلاف ومائتي فارس (3200) وأن قبائل برغواطة الذين يدينون لهم وهم على ملتهم جراوة،وزواغة، والبرانس، وبنو أبي ناصر، ومنجصة، وبنو أبي نوح، وبنو واغمر، ومطغرة،وبنو بورغ، وبنو دمّر، ومطماطة، وبنو وزكسينت ، وعددهم ينتهي أزيد من عشرة آلاف فارس.

وممن يدين لهم من المسلمين وينضاف إلى مملكتهم زناة الجبل،وبنو يليت، وغمالتة،وبنو واوسينت، وبنو يفرن، وبنو ناغيت،وبنو النُّعمان،(جهة أيت برايم حاليا ابن خلدون) وبنو أفلّوسة، وبنو گونة، وبنو يسكر، واصّادة، ورگانة،وإيزمين،ومنادة، وماسينة، ورصانة، وترارتة، ومبلغ عددهم نحو اثني عشر ألف فارس (12000).

قال زمّور:وليس في عسكرهم طبول ولا بنود وعدّد زمّور من أنهار بلادهم الجارية أزيد من مائة نهر، أعظمها نهر ماسنات (تامسنا) (وهو يجري من القبلة إلى الجوف، وبين عنصره وموقعه مسيرة ستة أيام، ونهر وانسيفن يقع في سَلَة تحت الرباط في البحر المحيط، ولم تزل برغواطة في بلادها معلقة بدينها وبنو صالح ابن طريف ملوكها، إلى أن قام فيهم الأمير تميم اليفرني وذلك بعد عشرين وأربع مائة من الهجرة (420هـ /1029م) فغلبهم على بلادهم وسباهم وجلا من بقي منهم واستوطن ديارهم، وانقطع أمرهم، وعفا آثارهم، ولم يبق لضلالتهم باقية، ولا من أواصر كفرهم أصرة. (كل ذلك يكذبه استمرار برغواطة في تامسنا).

وتميم هذا كان ذا جدّ وإيثار للعدل، وهو الذي قتل أحد بنيه لاغتصابه جارية من التجار بوادي سلة، وجميع بلاد برغواطة اليوم على ملة الإسلام [66].

قراءة في نص أبي عبيد الله البكري:ت (487هـ/1094م) المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك (تأليف أبي عبد الله البكري الناشر دار الكتاب الإسلامي القاهرة).

أفضل ما ختم به البكري مروياته قوله: وجميع بلاد برغواطة اليوم على ملة الإسلام" ونحمد الله على استمرار ذلك حتى الآن، ونحن نُؤمّن على تأمينه، وما سوى ذلك فهو ملك للتاريخ، يخضع للتعديل والتجريح، كما يخضع للقبول والرد. ومن قارن بين نفس النصوص سيندهش!

تـنـبـيه: عندما تذكر كلمة قراءة في نص ما، يقصد بذلك إعطاء وجهة نظر أخرى، فكل ما عدا القرآن والحديث الصحيح " فهو تراث من فعل بشر مثلنا، ليسوا من الأنبياء ولا من المعصومين ولا بالموحى إليهم، وبالتالي فإن كلامهم ليس أزليا، بل هو تاريخي زماني، فما العيب إذا قمنا بتكميل ما فعله المجتهدون ممن سبقنا؟ بل سنكون أكثر احتراما وتقديرا وإخلاصا لأسلافنا كلما قمنا بتكميل وتطوير ما فعلوه، فهم جذع الشجرة ونحن فروعها، والتغير مستمر إلى الأبد"[67].

1- ينبغي ألآ ننسى أن موطن دولة برغواطة ليس مغلقا بل هو جزء من شمال أفريقيا الممتد إلى واحة سيوى بل إلى نهر النيل بمصر، فكل ما يروج في هذا المجال الجغرافي الواسع - وطن اللوبيين الأمازيغ - لا بد وأن يحرك هذا الوطن ولو تدريجيا وبدرجات مختلفة، ديانة كانت أو مذاهب أو غزوات أو اتصالات، سواء انبثقت من عين المكان،أو أتت من إحدى الجهات الأربع،لأن شمال أفريقيا مفتوح على ما سواه، فهو همزة وصل يأخذ ويعطي، كحوض تصب فيه الروافد فتذوب وتتكيف، فقد خصص ابن خلدون فصلا " فيما كان للمغاربة قديما وحديثا من الفضائل الإنسانية والخصائص الشريفة، إلى مراقي العز ومعارج السلطان والملك،..فهم جيل عزيز على الأيام، وأنهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم، كثير جمعهم، مظاهرون لأمم

---

[66] البكري ص 141.
[67] سامر إسلامبولي القرآن بين اللغة والواقع ص 10.

العالم، وأجياله من العرب والفرس ويونان والروم، ومغالبة الملوك ومزاحمة الدول عدة آلاف من السنين"[68].

2- إن كلمة التوحيد في شمال أفريقيا كانت قبل دخول عقبة ابن نافع، فقد كان هذا الوطن متشبعا بتوحيد الله الواحد الأحد، فقد انتشرت فيه توراة موسى، وشاعت فيه اليهودية كعقيدة دينية، اعتنقها السكان الأصليون الأمازيغ، وهي من الكتب السماوية التي يجب الإيمان بها "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون"[69]. ويظهر أن تسرب اليهودية إلى المغرب يرجع إلى عهد ثورة موسى على فرعون بمصر، ولما فر موسى بمن معه إلى الشرق، فر البعض منهم إلى وطن الأمازيغ، فنشروا دينهم، ومقبرة إفران بسوس أكبر شاهد على قدم ذلك في هذا المغرب منذ 3000سنة ق م.كما أورد Julien op cit 203" وكانت ببلاد المغرب أعداد غفيرة من اليهود هاجروا إليها في العصر الروماني ..فقد تعرضوا لكثير من مظالم الولاة الأمويين"[70].

3- أما الديانة المسيحية فلنستمع إلى تورتوليانوس سنة 197م إذ يقول: "إنك تلاحظ بنفسك كثرة عددنا، إن الناس يتدجّرون من احتلال المدينة ومن أن المسيحيين في كل مكان، حتى في الحقول والقرى المحصنة والجزر.. وإن كل الأسماء مهما كان الجنس والسنّ والمرتبة أصبحت مسيحية[71]. و"في متحف واليلي ظهر شاهد قبر مسيحي يحمل تاريخ 655 م كل ذلك يدل على أن المسيحية وصلت إلى واليلي ومكثت فيه أطول "[72].

"وهذا أكّليد كُوسيلا بن لمزم البرنسي ثم الأوربي من أهل المغرب الأقصى وهو من عظماء البربر، وكان نصرانيا فأسلم"[73] وقال بعضهم بقي على نصرانيته وهو بعيد، كما شوشوا على اسم والده فهو لمزم عند ابن عبد الحكم وعند ابن عذاري وعند الحلة السيراء وعند ابن خلدون، بينما عند ابن الأثير فهو كمرم وعند النويري بهرم وبمثل هذه الأخطاء نتأكد من دقة المؤرخ أو من عدمها[74].

---

[68] ابن خلدون ج 6 ص 103.
[69] سورة المائدة الآية 44.
[70] كتاب الخوارج في بلاد المغرب ص286.
[71] تاريخ أفريقيا الشمالية أندري جوليان ص 255.
[72] المغرب العتيق أكاديمية المملكة المغربية ص 13.
[73] الاستقصا ج 1 ص 80.
[74] ابن القاسم الرقيق ص 16.

وقبل ذلك كان شمال خط الليمس الروماني على الأقل من جنوب شالة إلى برقة بليبيا تنتشر فيه النصرانية، والدليل على ذلك ثورة الدوناتوس، فانتشرت الكنائس بشكل مكثف، ومنها ما حوله المسلمون الأوائل إلى مساجدهم. ومن ذلك تطور عمر كنيسة ليكسوس بالعرائش وكنيسة مسجد القيروان بتونس، ومعنى ذلك أن كلمة التوحيد منتشرة في وطن تامازغا مما سهل الإسلام أمام الفاتحين....

4- نعم لم يخل وطن الأمازيغ من المناقشات اللاهوتية ومن الكهانة واختلاط المذاهب والنحل فاشتهرت الردة عن المسيحية في عهد الرومان، لما استغل الشباب الأمازيغي في ضيعات كبار المحتلين للأراضي الخصبة إلى حد الاسترقاق " فكان عدد المرتدين عن المسيحية عظيما واندفاعهم إلى الكفر بما آمنوا"[75]، ونفس الردة تتكرر على لسان "ابن أبي زيد: إن البربر ارتدوا بإفريقية المغرب اثنتى عشرة مرة وزحفوا في كلها للمسلمين" فصارت هذه الجملة نغمة مخدرة دون أن يذكر أسباب تلك الثورة التي منها استغلال الرومان عند استعمارهم، واستغلال ولاة بني أمية عند ظلمهم.

5- ومما كفّروا به برغواطة تعدد الزوجات عندهم: دون أن ينتبهوا إلى ما سجلوه من انتشار المذهب الشيعي (الصفرية) عند برغواطة، وهذا المذهب "يجيز الجمع بين أكثر من أربع إلى تسع وقال بعضهم بلا حصر"[76]. وهناك من يفسر الآية الكريم "مثنى وثلاث ورباع" تفسيرا بمعنى معدل عن الأعداد إلى ثمانية عشر (4 + 6 + 8) وهناك نص يكتفي بأربع فقط.والقرآن يقول : "وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم"[77].

6- أما الذين كفروا برغواطة بهذا التعدد فذلك ليس خاصا بهم، فذلك شائع في المجتمعات الفلاحية، وليس في برغواطة فقط، كما عند الأنصار في المدينة المنورة، لحاجة المجتمع إلى اليد العاملة، إلى أن عالج الإسلام ذلك .فهذا عبد الله بن ياسين نفسه عندما كان يسوس قباسل الصحراء "ألفاهم يتزوجون بأكثر من أربع حرائر، فقال لهم

---

[75] اندري جوليال تاريخ أفريقيا الشمالية ص 280.
[76] ابن كثير ج 1 ص 397.
[77] سورة النساء الآية 3.

ليس هذا من السنة، وإنما سنةالإسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر فقط، وله فيما شاء من ملك اليمين سعة"؟[78].

وهذه الفتوى وقعت في بداية هجرة الرسول (ص) إلى المدينة فعولجت في الحال، وذلك هو المطلوب من فقيه جزولة فيقوم بمعالجة الخلل في برغواطة، كما فعل هو نفسه في الصحراء، وليس أن يقدم دولة برغواطة بكاملها لجيش المرابطين في سجلماسة على أنهم **"فيءٌ على يديه"** والحق أن سهول تامسنا تتلمّضُ لها الشفاه، والجميع يحاول الاستيلاء عليها، باسم الدين أو بغيره، والغاية تبرر الوسيلة .

مقارنة بين القرامطة وبرغواطة: "ذكر ابتداء القرامطة سنة 278هـ /891م" وفيها تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة، وكان ابتداء أمرهم فيما ذكر، أن رجلا منهم قدم من خوزستان إلى سواد الكوفة، فكان بموضع يقال له النهرين: يظهر الزهد والتقشف، ويسُفّ الخُوص، ويأكل منه كسبه، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمر الدين، وزهّده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة، حتى فشا ذلك منه بموضعه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول، فلم يزل على ذلك، حتى استجاب له جمع كثير[79].

وكان يقعد إلى بقال في القرية وكان بالقرب من البقال نخل اشتراه قوم من التجار واتخذوا حظيرة جمعوا فيها ما صرموا من حمل النخل، وجاؤوا إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلا يحفظ عليهم ما صرموا من النخل، فأومأ لهم إلى هذا الرجل، وقال إن أجابكم إلى حفظ تمركم، فإنه بحيث تحبون، فناظروه على ذلك، فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة، فكان يحفظ لهم، ويصلي أكثر نهاره ويصوم، ويأخذ عند إفطاره من البقال رطل تمر فيفطر عليه، ويجمع نوى ذلك التمر[80].

فلما حمل التجار ما لهم من التمر،صاروا إلى البقال، فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته، فدفعوها إليه، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر، وحط من ذلك ثمن النوى، الذي كان دفع ثمنه إلى البقال، فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال في

[78] الاستقصا ج 2 ص 7.
[79] ابن الأثير الكامل في التاريخ ج 6 ص 129.
[80] الطبري ج5 ص 601 / دار الكتاب العلمية سنة 2008م.

حق النوى، فوثبوا عليه، فضربوه، وقالوا : لم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت النوى! فقال لهم البقال: لا تفعلوا، فإنه لم يمس تمركم، وقص عليهم قصته، فندموا على ضربهم إياه، وسألوه أن يجعلهم في حل، ففعل، وازداد بذلك نبلا عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده.

ثم مرض فمكث مطروحا على الطريق، وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له، أحمر العينين شديدة حمرتهما، وكان أل القرية يسموه كرميتة لحمرة عينيه ،ـ وهو بالنبطية أحمر العينين ـ فكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل إلى منزله، ويوصي أهله بالإشراف عليه والعناية به، ففعل وأقام عنده حتى برئ، ثم كان يأوي إلى منزله، ودعا أهل القرية إلى أمره.ووصف لهم مذهبه فأجابه أهل تلك الناحية .

وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه دينارا ،(مثل بيضة في بداية السعديين ثم ريال الأولى لإحصاء العدد) ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام، فمكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه واتخذ منهم اثنى عشر نقيبا[81]. أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم.

وقال: لهم أنتم كحواري عيسى بن مريم[82]، [83]، [84]، [85]. فاشتغل أكورة تلك الناحية عن أعمالهم بما رسم لهم من الخمسين الصلاة التي ذكر أنها مفترضة عليهم ..

وكان للهَيْصَم في تلك الناحية ضياع ،فرأى تقصير أكرته في العمارة، فسأل عن ذلك، فأخبر أن افتناناً طرأ عليهم، فأظهر لهم مذهبا من الدين، وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة (حديث الإسراء) في اليوم والليلة، فقد شغلوا بها عن أعمالهم، فوجه في طلبه، فأُخِذ وجيء به إليه، فسأله عن أمره، فأخبره بقصته، فحلف أنه يقتله.

فأمر به فحبس في بيت، وأقفل عليه الباب، ووضع المفتاح تحت وسادته، وتشاغل بالشرب، وسمع بعض من في داره من الجواري بقصته, فرقت له، فلما نام الهيصم

[81] سورة المائدة الآية 12.
[82] سورة آل عمران الآية 52.
[83] سورة المائدة الآية 112.
[84] سورة الصف الآية 14.
[85] سورة المائدة الآية 111.

أخذت المفتاح من تحت وسادته، وفتحت الباب وأخرجته، وأقفلت الباب، وردت المفتاح إلى موضعه.

فلما أصبح الهيصم دعا بالمفتاح، فتح الباب، فلم يجده، وشاع بذلك الخبر، ففتن به أهل تلك الناحية، وقالوا رفع[86] . (وهذه الفكرة مأخوذة من الإنجيل) وأشار إليها القرآن الكريم بقوله: "بل رفعه الله إليه"[87].

ثم ظهر في موضع آخر، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم، فسألوه عن قصته فقال: ليس يمكن أحدا أن يبدأني بسوء، ولا يقدر على ذلك مني، فعظم في أعينهم، ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشام، فلم يعرف له خبر، وسمي باسم الرجل الذي كان في منزله كرميتة صاحب الثوار ثم خفف فقيل: قرمط، هكذا ذكره بعض أصحاب زكرويه عنه.(نفس التحريف والتقولات في باربـاط البورغواطيين) أوردنا هذا لإلصاق كثير منه ببرغواطة.

وقيل إن قرمط لقب رجل كان بسواد الكوفة، يحمل غلة السواد على أثوار له، واسمه حمدان، ثم فشا مذهب القرامطة في سواد الكوفة، ووقف الطائي أحمد بن محمد على أمرهم ،فجعل على الرجل منهم في السنة دينارَ صاحب الأثوار كرميتة ، فخفف فقالوا قرمط (نفس الافتراضات في بربط وتحويل أماكنه واختفائه مثل مفكر برغاطة).

وذكر عن محمد بن داود أنه قال: قرمط رجل من سواد الكوفة، كان يحمل غلات السواد على أثوار له، يسمّى حمدان ويلقب بقرمط، ثم فشا أمر القرامطة ومذهبهم، وكثروا بسواد الكوفة، ووقف الطائي أحمد بن محمد على أمرهم، فوظف على كل رجل منهم في كل سنة دينارا، وكان يجبي من ذلك مالا جليلا، فقدم من الكوفة، فرفعوا إلى السلطان أمر القرامطة، وأنهم أحدثوا دينا غير الإسلام، وأنهم يرون السيف على أمة محمد) إلا من بايعهم على دينهم، وأن الطائي يخفي أمرهم على السلطان،.فلم يلتفت إليهم ولم يسمع منهم فانصرفوا[88]. (الطبري في تاريخه ج5ص 602)+ وأبو الفداء في المختصر في أخبار البشر ج2 ص 55[89] + و ابن الوردي في

[86] ذكره الطبري في تاريخه ج5 ص 602.
[87] سورة النساء الآية 158.
[88] الطبري في تاريخه ج5 602
[89] أبو الفداء في المختصر في أخبار البشر ج2 ص 55.

تاريخه ج1 ص 233)[90] (والكامل لابن الأثير ج 6 ص332 ط دار المعرفة بيروت لبنان نقل بتصرف عن الطبري)[91].

[نفس ما قالوا في البورغواطيين أنهم أسلموا ثم ارتدوا، ويحتلون من خالفهم نفس المكيدة، أهمية سهل الكوفة يشبه سهل تامسنا بالمغرب والهدف هو احتلاله] وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاؤوا بكتاب فيه من قرآنهم:

"بسم الله الرحمن الرحيم :يقول الفرج بن عثمان - وهو من قرية يقال لها نصْرانة - داعية إلى المسيح، وهو عيسى، وهو الكلمة، وهو المهدي، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية، وهو جبريل، وذكر أن المسيح تصور له في جسم إنسان، وقال له: إنك الداعية، وإنك الحجة، وإنك الناقة، وإنك الدابة - [وإنك روح القدس] وإنك يحيى بن زكرياء، وإنك روح القدس. [نفس المعجزات المذكورة في الإنجيل والقرآن [عيسى كلمته"، سورة آل عمران الآية 39 +64+45. سورة هود الأية64. الدابة: سورة النمل الآية 82 يا يحيى خذ الكتاب بقوة، روح القدس].

وعرفه أن الصلاة أربع ركعات، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان بعد غروبها، وإن الآذان في كل صلاة أن يقول المؤذن الله أكبر ثلاثا أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله، أشهد أن إبراهيم رسول الله، أشهد أن موسى رسول الله، أشهد أن عيسى رسول الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، اشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله.

وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح، وهي من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفية، والقبلة إلى بيت المقدس، والحج إلى بيت المقدس، ويوم الجمعة يوم الاثنين، لا يعمل فيه شيء.

والسورة "الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المتخذ لأوليائه يأوليائه، قل إن الأهلة مواقيت للناس، ظاهرها ليُعلم عدد السنين والحساب، والشهور والأيام، وباطنها أوليائي، الذين عرّفوا عبادي ،سبيلي".

[90] ابن الوردي في تاريخه ج1 ص 233.
[91] الكامل لابن الأثير ج 6 ص332 ط دار المعرفة بيروت لبنان نقل بتصرف عن الطبري.

اتقوني يا أولي الألباب، وأنا الذي أسأل عما أفعل، وأنا العليم الحكيم، وأنا الذي أبلوا عبادي وأمتحن خلقي، فمن صبر على بلائي ومحنتي، واختباري ألقيته في جنتي، وأخلدته في نعمتي، ومن زال عن أمري، وكذّب رسلي، أخلدته مهانا في عذابي، وأتممت أجلي، وأظهرت أمري، على ألسنة رسلي، وأنا الذي لم يعل علي جبار إلا وضعته، ولا عزيز إلا أذللته، وليس الذي أصر على أمره وداوم على جهالته، وقالوا لن نبرح عليه عاكفين، وبه مؤمنين، أولئك هم الكافرون. [لاحظ محاكاة أسلوب القرآن وأخذ جملا منه لغواية الأتباع ولعياذ بالله].

ثم يركع ويقول في ركوعه: سبحان ربّي، ربّ العزة وتعالى عما يصف الظالمون،[وفي سورة الصافات 180 سبحان ربك رب العزة عما يصفون] يقولها مرتين، فإذا سجد قال: الله أعلى، مرتين، الله أعظم مرتين.

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة وهما: المهرجان والنيروز (مثل أعياد الفرس) وأن النبيذ حرام (خلافا لأهل العراق يراجع الأصول ماء التمر)، والخمر حلال،(خلافا للقرآن الكريم "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر. والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"[92]. ولا غسل من جنابة عندهم (يخالف القرآن الكريم "وإن كنتم جنبا فاطهروا"[93]، إلا الوضوء كوضوء الصلاة عندهم،والقرآن يقول :" فإن لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا"[94].

وأن من حاربه وجب قتله، (وعند برغواطة يقتل من خالفه) ومن لم يحاربه ممن يخالفه أخذ منه الجزية، (أهل الجزية) ولا يؤكل كل ذي ناب، ولا كل ذي مخلب[95]. [مثل برغواطة في الديك والرأس ورأس السمك، لاحظ رأس السمكة أبوري الذي يسكر آكل رأسها لشحمه][96]. وكان مصير قرمط إلى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج، وذلك أن بعض أصحابنا ذكر سلف زكرويه أنه قال : قال لي قرمط سرت إلى صاحب الزنج ووصلت إليه، وقلت له: إنّي على مذهب وورائي مائة ألف سيف،

[92] سورة المائدة الآية 91/90.
[93] سورة المائدة الآية 6.
[94] سورة المائدة الآية 6.
[95] الطبري ج5 ص 278.
[96] عن الطبري ج 5 / 601+ الكامل الذي نقل عنه بتصرف ج6 / 131.

فناظرني، فإن اتفقنا على المذهب مِلت بمن معي إليك، وإن تكن الأخرى انصرفت عنك، وقلت له تعطيني الأمان، ففعل. [كل هذا ألصقوه ببرغواطة قارن الاتهامات].

قال: فناظرته إلى الظهر، فتبين لي في آخر مناظرتي إياه أنه على خلاف أمري وقام إلى الصلاة، فانسللت فمضيت خارجا من مدينته وصرت إلى سواد الكوفة.

يراجع الطبري في تاريخه[97] وابن كثير في البداية والنهاية[98] ، وأبو الفداء في المختصر في أخبار البشر[99] وابن الوردي في تاريخه[100] ومعظم ما ورد من هذه المراجع هو الذي كفر به الكتاب الجغرافيون دولة برغواطة، فهل ذلك من باب الاسقاط في غير محله وهو لا يجوز؟ أم أن القرامطة أنفسهم لم يصلهم مصحف عثمان كاملا؟ وفي جميع الحالات فدولة برغواطة لم تصل إلى هذا المستوى من التحريف القرمطي.فما الداعي إذن إلى تكفير برغواطة؟ إنه احتلال موطنهم الغني "إنه **إقليم تامسنا الأفيح**".

دولة برغواطة عن ابن حوقل :"وقد بدأت بذكر حده المحيط به من قبوله، وحده من مصر الإسكندرية على النيل وأرض الصعيد، حتى يمضي على ظهر الواحات"[101] [هناك الداخلة والخارجة ابن حوقل إلى برية تنتهي إلى أرض النوبة، آخذا إلى البحر المحيط وممتدا إلى حقيقة الغرب بنواحي أرض غانة وأرض أدْغُسْت ثم يستمر عاطفا إلى الشمال مارا على بلاد **برغواطة** ومسة[102] (قبيلة من قبائل وادي نفيس وليس ماست بسوس كما في هامش كتاب الأنساب، في معرفة الأصحاب للبيدق (ص 49) إلى فوهة بحر الروم الذي يأخذ من البحر المحيط بين طنجة وأرض الأندلس[103].

"وبسلة رباط يرابط فيه المسلمون، وعليه المدينة الأزلية المعروفة بسلة القديمة (شالة) وقد خربت، والناس يسكنون ويرابطون برباطات تحف بها، وربما اجتمع في

[97] الطبري في تاريخه ج 5 ص278.
[98] ابن كثير في البداية والنهايةج 11 ص 73.
[99] المختصر في أخبار البشرج 2 ص 55.
[100] ابن الوردي في تاريخهج 1 ص 233.
[101] هناك الداخلة والخارجة ابن حوقل ص 144.
[102] قبيلة من قبائل وادي نفيس وليس ماست بسوس كما في هامش كتاب الأنساب، في معرفة الأصحاب للبيدق ص 49.
[103] ابن حوقل ص 64.

هذا المكان من المرابطين مائة ألف إنسان،" يعني المحاربين من شمال المغرب وليس من زناكة الجنوب وهذا العدد مبالغ فيه "يزيدون في وقت وينقصون لوقت، ورباطهم على برغواطة من قبائل البربر على البحر المحيط متصلين بهذه الجهة التي سُقتُ عمارة الإسلام إليها يغزون ويسبون"[104]. وهذا العدد مبالغ فيه، وغاية المتجولين هو تحريك الهجرة نحو الآفاق.

وذلك أن رجلا كان يعرف **بصالح بن عبد الله** (لاحظ الفرق صالح بن طريف) دخل العراق ودرس شيئا من النجوم وصلحت منزلته في علمها، إلى أن قوّم الكواكب وعمل التقويم والمواليد وأصاب في أكثر أحكامه. وكان له **حظٌّ حسنٌ وفهْمٌ بأطراف من العلم** وعاد فنزل بينهم، وكان بربريّ الأصل، مغربيّ المولد، مضطلعا بلغة البربر، يفهم غير لسان من ألسنتهم فدعاهم إلى الإيمان به وذكر أنه نبيٌّ ورسولٌ مبعوثٌ إليهم بلغتهم واحتج بقوله تعالى: " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"[105].

وأن محمدا (صلعم) نبيٌّ حقٌّ عربي اللسان، مبعوث إلي قومه وإلى العرب خاصة، وأنه صادق فيما أتى به من القرآن والأحكام، وإيّاه أراد الله عزّ وجل بقوله : "وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير" ووعدهم غير كسوف فوجدوه، وأنذرهم غير شيء فأدركوه وأصابوه على حكايته.

فأفسد عقولهم، وبدّل معارفهم، وافترض عليهم طاعته في سنين ابتدعها، وأحوال فرضها واخترعها، وأوجب عليهم **صوم شعبان** وإفطار شهر **رمضان**،وعمل لهم **كلاما** رتله بلغتهم، وشرّع فيه محابّه على نحلتهم، فهم يتدارسونه ويعظمونه ويصلّون به، (يراجع أبو حنيفة في المذاهب الفقهية فيما يتعلق بالترجمة في العبادة) لاحظ من قال يصومون رجب.

وهلك فخلفه وصيٌّ كان له أقامه يُكْنى أبا العفير (بالعين المهملة) فزاد فيما رسمه أشياء ذكر أن له فيها الزيادة والنقصان والحل والعقد فيما قدمه صالح لهم من الأحوال، فدعاهم إلى النسك وترك الدنيا، والإقبال على التقلل والزهد خُمسا من الدهر

[104] ابن حوقل نفسه ص 82.
[105] سورة إبراهيم الآية 4.

وسُبعا وتّسعا، وهو في جميع ذلك يذكر أنه يوحى إليه، وأن الملائكة تأتيه بما يأمرهم به وينهاهم عنه .وكان صالح يُحلُّ لهم الطيبات ويبيح لهم اللذات ولا تعني الحرام (مامعنى هذا؟) ويسوسهم في المحظورات، وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السُّورَ ويتأول آياته على موافقته لكتابهم وقرآنهم.

وكان أهل البصرة (مدينة بالمغرب جهة سهل الغرب) ومدينة فاس يغزونهم في بعض الأوقات ويسالمونهم ويتاجرونهم، ويجلبون إليهم التجارات على ما يرونه ولاتهم .وفي برغواطة أمانة وبذل للطعام وتجنب للكبائر من الحرام والمحظورات من الآثام، وقد يصل إليهم أهل أغمات والسوس أيضا بالتجارة، وكذلك قوم من سجلماسة، وبلدهم بلد مستقل بنفسه عن الحاجة إلى ما في غيره، (هذا هو السبب في غزوهم) وفيهم جمال بارع وشدة وبأس وصبر على القلاء والمراس. وكنت ألفيتُ محمد بن الفتح المعروف بالشاكر لله بسجلماسة يدعو إلى غزوهم في سنة أربعين وثلاثمائة، وأظنه هلك ولم يبلغ منهم محابّه لقلة إجابة من كان يدعوه إلى غزوهم من البربر، وخوفهم من اطراد حيلة لمحمد بن الفتح الشاكر لله عليهم في ذلك"[106]. وها نحن نرى في هذا النص أعظم صفات الإسلام فكيف تكفر برغواطة!؟.

أيها القارئ الكريم: تمعّن جيداً في قراءة هذا النص واحكم على مذهب دولة برغواطة التي كفرها خصومهم من أجل "الإفراط في الصيام، والنسك، وترك الدنيا، والإقبال على التقلل والزهد، وأن محمدا (ص) نبي حق، وكان صالحهم من أهل العلم والخير فيهم، يحل لهم الطيبات، ويسوسهم في المحظورات، وفيهم الآن من يقرأ القرآن بغاية الاحترام ويحفظ منه السُّور، وفي برغواطة أمانة وبذل للطعام وتجنب للكبائر من الحرام والمحظورات من الآثام، وفيهم جمال بارع وشدة وبأس وصبر على القلاء والمراس، وصالحهم بربريّ الأصل، مغربيّ المولد، مضطلعا بلغة البربر، وعمل لهم **كلاما** رتله بلغتهم، وشرّع فيه محابّه.."ألا يمكن إعادة كتابة تاريخ تاكْلديت برغواطة وما ألحق بها ؟ أليست الإسلام هو هذه المواصفات ؟ لكن الهدف هو احتلال تامسنا.

[106] ابن حوقل ص 83.

همسات في أذن ابن حوقل :

1- كتاب المسالك والممالك، والمفاوز والمهالك، أو صورة الأرض لابن حوقل. التاجر الرحالة المثقف، عاش في القرن العاشر الهجري إذ قال: "لأن الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم التي زارها ولم يذكرها أحد علمتُه"[107].

2- يلاحظ أنه سلك طريق التجار من مصر عبر النيل إلى السودان الغربي إلى المحيط عاطفا إلى الشمال، مارا على بلاد برغواطة ومسة قبيلة من قبائل وادي نفيس وليس ماست بسوس.وهو جغرافي وإن كان لا يفرق بين المحيط والبحر.

3- ولعله يقصد بسلة هذه هي شالاّ التي تحتوي على حضارات من مر فيها ابتداء من الأمازيغ إلى الفنيقيين القرطاجيين إلى الرومان إلى البرغواطيين، والمقصود بمن ربط فيها ضد برغواطة في تامسنا هم من الموالين لحكام فاس، تارة ومدينة البصرة في عهد آخر الأدارسة.قصد الاستيلاء على هذه السهول الغربية الخصبة بتامسنا.

4- أرجع ابن حوقل معرفة الشخصية المتنبئ البرغواطي هذا إلى ما تعلمه من العراق، نفهم من ذلك أن لا علم في المغرب! لكنه نص على أنه بربريّ الأصل، مغربيّ المولد، مضطلعا بلغة البربر، يفهم غير لسان من ألسنتهم - هذه العبارة تعني تعدد اللهجات كلما استولى الغزاة على غيرهم، فيبالغون في التعدد إلى مائات، والهدف هو الإيحاء بعدم الأمل في الاتحاد، وهل كانت العربية نفسها موحدة وحيدة في جزيرة العرب -؟ ثم قال: فدعاهم إلى الإيمان به، وذكر أنه نبيٌّ ورسولٌ مبعوثٌ إليهم بلغتهم واحتج بقوله تعالى: " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه" وورود هذه الآية دليل على أنه اطلع على القرآن الكريم، كليا أو جزئيا حسب قدمه، وفيما يخص أصالة هذه الشخصية فقد رد ابن خلدون على من يقول ليس من الأمازيغ، إذ يصعب أن يخضع القوم لأجنبي طارئ بهذه السهولة.يقصد بهذا المستوى الذي يحتاج إلى عمل طويل مبني على موروث ثقافي متكامل مشاع بين القوم.

5- أقر صالح هذا بأن محمدا (صلعم) نبيٌّ حقٌّ عربي اللسان، مبعوث إلي قومه وإلى العرب خاصة، وأنه صادق فيما أتى به من القرآن والأحكام، وإيّاه أراد الله عزّ وجل

[107] ابن حوقل ص 11.

بقوله: "وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير"[108]. ومن هذا النص نفهم أن جزءا من تاريخ الإسلام السياسي انتشر في عهد هذا المتنبئ، لكن سمي بصالح بن عبد الله، وهذا النوع من الأسماء المنسوبة إلى الله بدأت في بداية الإسلام، فحلت محل الأسماء في الجاهلية، مثل عبد العزى بإذن من الرسول (ص) ونفس الشيء أوغل فيه المهدي بن تومارت الموحدي، إذ غير أسماء معظم أصحابه .من المصامدة، اقتداء بما فعله الرسول كذلك .أما كلمة "صالح المؤمنين " فقد ادعاها غير واحد في تاريخ الإسلام، وقد حار المفسرون في البت فيها والله أعلم.

6- ماهي معارف برغواطة التي بدّلها؟ وما السنون والشهور والأيام التي ابتدعها واخترعها وأوجب عليهم صوم شعبان وإفطار شهر رمضان؟ وعمل لهم كلاما رتله بلغتهم، وشرع فيه محابّه على نحلتهم، فهم يتدارسونه ويعظمونه ويصلّون به.فهل ترجم لهم القرآن بلغتهم ؟هذا غير بعيد؟ إذ استدل لهم بالآية "وما أرسلنا من رسول إلاّ بلسان قومه ليبين لهم" ولا شك أن لبرغواطة تقويمهم بلسانهم ومن شهورهم "أنْقاسْ" ومن أرقامهم المغربية الزناتية أصلا التي كانت مستعملة عندهم، وإلا فبماذا يكون إحصاء السكان والجيوش والضرائب والمبادلات التجارية بين كل الجهات، وأين أسماء الهندسة التي صنعوا بها سفنهم، وقطعوا بها البحار لغزو غرب أروبا، عن مارمول كارباخال البورتغالي.

7- العجيب أن ابن حوقل قال "وعمل لهم كلاما رتله بلغتهم" ولم يقل قرآنا لأن ابن حوقل كان فقيها عالما بثقافة الإسلام، نادرا ما يخطئ في المصطلحات .فهو إذن ينزه القرآن الكريم عما سواه من النثر البليغ، والقول الفصيح، وهذا هو الفرق بين من فقُه الشيء ومن لا يفقهه.

8- **ما بين دفتي المصحف كلام الله**: وهذا ما روي عن عائشة أم المؤمنين. وكلمة المصحف غير خاصة بالقرآن وحده، كما يظن البعض، فقد ورد في الحوار الذي دار بين المهاجرين والنجاشي:في بداية الإسلام " فلما جاءوا، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله " أي كتب إنجيلهم، وهو من جملة الكتب السماوية.

[108] سورة التحريم الآية 4.

دولة برغواطة عن ابن خلدون:

"الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم .وهم الجيل الأول منهم كان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة وكانوا شِيخاً وشِيعا مفترقين، وكانت مواطنهم خصوصا من بين المصامدة في بسائط تامسنا وريف البحر المحيط من سلا وأزمّور وأنـفا.وأسفي وكان كبيرهم لأول المائة الثانية من الهجرة **طريف أبو صبيح** وكان من قواد ميسرة الخفير (مُهاب الجانب) طريف المضغري القائم بدعوة الصفرية ومعها معزوز بن طالوت،ثم انقرض أمر ميسرة والصفرية، وبقي طريف قائما بأمرهم بتامسنا.

ويقال أيضا: إنه تنبأ وشرع لهم الشرائع، ثم هلك وولي مكانه ولده ابنه صالح وقد كان حضر مع أبيه حروب ميسرة، **وكان من أهل العلم والخير فيهم**، ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي **معروفة في كتب المؤرخين ؟**

وادعى أنه نزل عليه قرآن كان يتلو عليهم سورا منه يُسمّي منها سورة الديك، وسورة الحُمر، وسورة الفيل، وسورة آدم، وسورة نوح، وكثير من الأنبياء، وسورة هاروت وماروت وإبليس، وسورة غرائب الدنيا، **وفيها العلم العظيم** بزعمهم.

حرّم فيها وحلّل، وشرّع وقصّر، وكانوا يقرأونه في صلواتهم، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين، كما حكاه البكري عن زمّور بن صالح،بن هاشم، بن ورد الوافد منهم على الحاكم المستنصر الخليفة بقرطبة من قبل ملكهم أبي عيسى بن أبي الأنصاري سنة تنثين وخمسين وثلاثمائة (352هـ /963م) ،وكان يترجم عنه (معناه يتكلم بالأمازيغية كسفير) بجميع خبره داود بن عمر المسطاسي[109].

قال: وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك من سنة سبع وعشرين من المائة الثانية من الهجرة، وقد قيل **إن ظهوره كان لأول الهجرة**. وأنه إنما انتحل ذلك عنادا ومحاكاة لما بلغه شأن النبي صلى الله عليه وسلم، والأول أصحّ؟!.

[109] ابن خلدون ج6 ص 207.

ثم زعم أنه **المهدي الأكبر** الذي يخرج في آخر الزمان، وأن عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه، وأن اسمه في العرب صالح، وفي السريان مالك، وفي الأعجمي عالم، وفي العبراني روبيا ،وفي البربري وربا، "بابا ربّي" ومعناه الذي ليس بعده نبيٌّ،وخرج إلى المشرق بعد أن ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم أنه يرجع إليهم في دولة السابع منهم وأوصى بدينه إلى ابنه،إلياس، وعهد إليه بموالاة صاحب الأندلس، من بني أمية، وبإظهار دينهم إذا قوي أمرهم وقام بأمره بعده ابنه إلياس، ولم يزل مظهرا للإسلام مُسراً لما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم.

وكان **طاهرا عفيفا زاهدا**، وهلك لخمسين سنة من ملكه، وولى أمرهم من بعده ابنه يونس، فأظهر دينهم، ودعا إلى كفرهم، وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدائن تامسنا،وما والاها.!؟!

يقال: إنه حرّق ثلاثمائة وثمانين مدينة؟ (لاحظ كلمة **يقال للشك** عند ابن خلدون) واستلحم أهلها بالسيف لمخالفتهم إياه، وقتل منهم بموضع يقال له: **تامالوكاف** (تاما نـ لو أكّ أفا : حافةُ مُطلّ الجُرف) وهو حجر عال نابت وسط الطريق، فقتل سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين (7770) (قال زمّون) ورحل يونس إلى المشرق **وحجّ**، ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده، وهلك لأربع وأربعين سنة من ملكه، وانتقل الأمر عن بنيه وولى أمرهم أبو غفير محمد بن معاد بن إليسع بن صالح بن طريف، فاستولى على ملك برغواطة، وأخذ بدين آبائه، واشتدت شوكته، وعظم أمره، وكانت له في البربر وقائع مشهورة، وأيام مذكورة، أشار إليها سعيد بن هشام المصمودي في القصيدة المسجلة سابقا.وفيها التشفي من مذبحة قومه إن صحت المعركة.

ولوحظ لحن في طباعة ابن خلدون[110] ثم قال "واتخذ أبو غفير من الزوجات أربعا واربعين، (راجع مثنى وثلاث ورباع) وكان له من الولد مثلها وأكثر، وهلك أخريات المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه وولي بعده ابن، أبو الأنصار عبد الله، اقتفى سننه، وكان كثير الدعوة مهاباعند ملوك عصره، يهادونه ويدافعونه بالمواصلة وكان يلبس الملحفة والسراويل ويلبس المخيط، ولا يعتم أحد في بلاده إلا الغرباء، **وكان حافظا للجار وفيا بالعهد**، وتوفي سنة احدى وأربعين من المائة الرابعة لأربع وأربعين

[110] طباعة ابن خلدون الجزء 6 ص 208.

سنة من ملكه ودفن **بأسلاخت** وبها قبره وولي بعده ابنه (أبومسرورعيسى ابن اثنتين وعشرين سنة) فسار سير آبائه وادعى النبوة والكهانة، واشتد أمره، وعلا سلطانه، ودانت له **قبائل المغرب**.

(قال رمّون) وكان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطة وعشرة آلاف من سواهم مثل جراوة وزواغة والبرانس ومجاصة ومضغرة (و مر؟)، ومطماطة وبنو وارنكيت، وكان أيضا بنو يفرَى وآحدة وركامة وإزمنّ ورصافة ورغصرارة على دمهم، ولم تسجد ملوكهم إلا له منذ كانوا. (انتهى) كلام رمون. وكان لملوك العدوتين في غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم أسلسوا بعده آثار عظيمة من **الأدارسة والأموية والشيعة**، ولما أجاز جعفر بن علي من الأندلس إلى المغرب وقلده المنصور بن أبي عامر عمله سنة ست وستين وثلاثمائة، فنزل البصرة ثم اختلف ذات بينه وبين أخيه يحيى، واستمال عليه وجوه الهند وأمره أن يأتيه فيما قاله جعفر عن العمل وصرف وجهه إلى جهاد برغواطة معتدّه من صالح عمله وزحف إليهم في **أهل المغرب وكافة الجند الأندلسيين**، فلقوه ببسيط بلادهم وكانت عليه الدبرة ونجا بنفسه في فل من جنده ولحق بأخيه بالبصرة ،ثم أجاز بعدها إلى المنصور باستدعائه، وترك أخاه يحيى على عمل المغرب. ثم **حاربتهم أيضا صنهاجة** لما غزا بولوگّين بن زيري المغرب سنة ثمان وستّين بعدها وأجفلت زناتة أمامه وانزووا إلى حائط سبتة، وامتنعوا منه **بأعوادها** (الزوارق) فانصرف منهم إلى جهاد برغواطة وزحف إليهم فلقيه أبو منصور عيسى بن أبي الأنصار في قومه، وكانت عليهم الهزيمة وقتل أبو منصور، وأثخن فيهم بولوگّين (الأمازيغي) بالقتل، وبعث سبيهم إلى القيروان. ولم أقف على من ملك أمرهم بعد أبي منصور، ثم **حاربتهم أيضا جنود المنصور بن أبي عامر**، لما عقد عبد الملك بن المنصور لمولاه واضح إمرة برغواطة هؤلاء فيمن قبله من الأجناد وأمراء النواحي وأهل الولاية، فعظم الأثر فيهم بالقتل والسبي، ثم **حاربهم أيضا بنو يفرن**، لما استقل أبو يعلى بن محمد اليفرني من بعد ذلك ناحية سلا. من بلاد المغرب، وأقطعوهم من عمل زيري بن عطية المغراوي بعدما كان بينهما من الحروب وانتساب أولاد يعلى هؤلاء إلى تميم بن زيري بن يعلى في أول المائة الخامسة، وكان موطنا بمدينة سلا ومجاورا لبرغواطة، فكان له أثر كبير في جهادهم؟ وذلك في سني عشرين وأربعمائة فغلبهم على تامسنا وولّى عليها من قبله بعد أن أثخن

فيهم سبيا وقتلا، ثم تراجعوا من بعده إلى أن ساءت (تأسست) دولة لمتونة وخرجوا من مواطنهم بالصحراء إلى بلاد المغرب، واقتحموا الكثير من معاقل السوس الأقصى وجبال المصامدة ثم بدا لهم **جهاد برغواطة** بتامسنا وما إليها من الريف الغربي. فزحف إليهم أبو بكربن عمر أمير لمتونة في المرابطين من قومه، وكانت له فيهم وقائع، استشهد في بعضها صاحب الدعوة عبد الله بن ياسين **الكبروي**؟ (البكروي) سنة خمسين وأربعمائة، واستمر أبو بكر وقومه من بعده على جهادهم حتى استأصلوا شأفتهم ومحوا من الأرض آثارهم، وكان صاحب أمرهم لعهد انقراض دولتهم أبو حفص عبد الله من أعقاب أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير محمد بن معاد بن إليسع بن صالح بن طريف فهلك في حروبهم وعليه كان انقراض أمرهم وقطع دابرهم على يد هؤلاء المرابطين، والحمد لله رب العالمين. هذا غير صحيح وإلا ألغي كل ما ذكره غيره. وقد **نقل بعض الناس** ؟ في نسب برغواطة، فبعضهم يعدُّه من قبائل زناتة، وآخرون يقولون؟ وصالح أنه يهودي من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق نشأ ببرباط، ورحل إلى المشرق، وقرأ على **عبد الله المغربي**، (وفي القرطاس **المعتزلي**) واشتغل بالسحر، وجمع فنونا وقدم المغرب، ونزل تامسنا، فوجد بها **قبائل جهالا من البربر** (كل من لا يعرف العربية يعدونه جاهلا!) فأظهر لهم الزهد وسحرهم بلسانه، وموّه عليهم فقصدوه واتبعوه، فادّعى النبوة وقيل له برباطي نسبة إلى الموطن الذي نشأ به وهو بَرْباط ، واد بحصن شريش، من بلاد الأندلس ورد عليه ابن خلدون.

فعربت العرب هذا الاسم وقالوا برغواط، ذكر ذلك كله صاحب **كتاب الجوهروشي من بساتين البر، وهو من الأغاليط البينة** وليس القوم من زناتة ويشهد لذلك موطنهم وجوارهم لإخوانهم المصامدة.

وأما صالح بن طريف فمعروف منهم وليس من غيرهم، ولا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل لمنقطع جذمَه دخيلٌ في نسبه (لاحظ شهادة أبو سفيان على رسول الله ص أمام قيصر) سنة الله في عباده وإنما نسب الرجل برغواطة ولهم في شعوب المصامدة شعب معروف كما ذكرناه والله ولي المتقين[111].

[111] ابن خلدون ج 6 ص 210.

"ثم ارتحل بلوگّين إلى المغرب وفرت أمامه زناتة، فملك فاس وسجلماسة وأرض الهبط، وطرد منها عمال بني أمية، ثم غزا جموع زناتة بسجلماسة، وأوقع بهم وتقبض على ابن خزر أمير مغراوة فقتله، وجعل ملوكهم أمامه .وبرزوا جميعا بقياطينهم إلى سبتة وبعثوا الصريخ إلى المنصور بن إبي عامر، فخرج بعساكره إلى الجزيرة الخضراء، واجتمعت منهم وراء البحر أمم مع من انضم إليهم من العساكر والحشود، وأجازهم البحر لقصر جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة، وعقد لعلى حرب بولوگّين وأمده بمائة حمل من المال، فتعاقد ملوك زناتة واجتمعوا إليه وضربوا مصاف القتال، بظاهر سبتة، وهرع إليهم المدد من الجزيرة من عساكر المنصور، وكادوا يخوضون البحر من فرائض الزقاق إلى مظاهرة أوليائهم من زناتة، ووصل بولوگّين إلى تيطاوين. حتى أطل على معسكرهم بظاهر سبتة، فرأى ما هاله واستيقن امتناعهم ويقال إنه لما عاين سبتة من سنسرمة، (قيل ما يسمى اليوم بجبل أحرضان) ورأى اتصال المدد من العدوة إلى معسكرهم بها قال: "هذه أفعى فغرت إلينا فاها" وكرّ راجعا على عقبه وكان موقفه ذلك أقصى أثره ورجع إلى البصرة فهدمها وكانت دار تلك ابن الأندلس وبها عمارة عظيمة ثم **انفتح له باب في جهاد برغواطة** فارتحل إليهم وشغل بجهادهم، وقتل ملكهم عيسى بن أبي الأنصار، كما نذكره، وأرسل بالسبي إلى القيروان، وأذهب دعوة بني أمية من نواحي المغرب. وزناتة مشردون بالصحراء إلى أن هلك سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة بواكش ما بين سجلماسة وتلمسان[112]. هذا ملك أمازيغي أثخن في قومه وزف سبيهم إلى الشرقيين بالقيروان!

أورد ابن خلدون عددا من قادة الجيوش من البرغواطيين مثل حمّو بن مليل البرغواطي صاحب صفاقس ضد تميم، ومن أولئك القادة يوليان ملك غمارة صاحب سبتة الذي صانع موسى بن نصير بالهدايا وأذعن للجزية فأقره عليها، واسترهن ابنه وأبناء قومه وأنزل طارق بن زياد النفزي بطنجة للجزية، وضرب عليهم العسكر للنزول معه ثم كانت إجازة طارق إلى الأندلس.

ولما هلك يوليان (يستعمل هلك في غير المسلم) استولى العرب على مدينة سبتة صلحا من أيدي قومه، فعمروها ثم كانت فتنة ميسرة الخفير، وما دعا إليه من ضلالة الخارجية، وأخذ بها الكثير من البربر من غمارة وغيرهم، فزحفوا من إمرة طنجة إلى

[112] ابن خلدون ج 6 ص 156.

سبتة وأخرجوا العرب منها وسبوها وخربوها فبقيت خلاء ثم نزل بها ماحكس من رجالاتهم (برغواطة) ووجوه قبائلهم وبه سميت محكسة، فبناها ورجع إليها الناس، وأسلم وسمع من أهل زمانه إلى أن مات، وتولاها ابنه عصام ثم حفيده مجير، ثم أخوه ثم تدخل الناصر حاكم الأندلس سنة (319هـ/931م)[113].

وخلاصة القول أن من تتبع ما ذكر من الروايات المتشابكة بسبب تصادم أطماع عرب الشرق وعرب الأندلس في شمال أفريقيا، سيخرج بنتيجة عامة وهي أن الفريقين جعلوا وطن الأمازيغ ميدانا لمعاركهم المستمرة بعدما غرسوا فيه جرثومة النزاع بين الأمازيغ أنفسهم، وذلك بضرب بعضهم ببعض لأكثر من قرن بكامله، "وكان الملك في صنهاجة في طبقتين الطبقة الأولى لمكانة ملوك أفريقية والأندلس، والثانية مسوفة ولمتونة من لمتيين ملوك المغرب المسمون بالمرابطين"[114].

وكانت صنهاجة المذكورة هي المسؤولة عن سد الباب الشرقي لشمال أفريقيا، وقد بدأ ذلك الهرم في التداعي "بتأسيس إمارة الأغالبة الصنهاجية بزعامة مناد من طرف العباسيين ضد ظهور الإمارة الإدريسية الرمزية في مدينة واليلي بالمغرب،حيث بايعته إمارة أوربا، وبذلك نجح الخصوم في إشعال الفتنة بين الأغالبة ومغراوة في المغرب الأوسط ، فانتمت الأولى للشيعة وانحرفت مغراوة وسائر زناة عن الشيعة، وتحيزوا عن المروانيين ملوك العدوة بالأندلس، فأقاموا دعوتهم بالمغرب الأوسط والأقصى"[115].

فبدأ المد والجزر بين الطرفين، من طرف المغاربة أنفسهم، وهم ينفذون أوامر غيرهم، ويفتخرون بتحقيق انتصارات على إخوانهم، ويقدمون أسراهم للقيروان، وهم يخربون وطنهم بأيديهم لعدة قرون، وكانت فتوى التكفير هي النغمة المخدرة باسم الجهاد؟! والجميع يدّعي الإسلام ويحارب غيره باسمه.

الخبر عن حاميم المتنبئ : هذه ثورة شعبية ضد ظلم الولاة، سواء اتحدت باسم الدين أو باسم الوطن أو بإعلان هوية خاصة أو بالجميع، وذلك لتضارب الروايات واختلاطها، فهذا ابن حوقل يرجع بداية دعوة الخوارج إلى معركة النهروان، سنة 38

[113] ابن خلدون ج 6 ص 211.
[114] نفسه ج 6 ص 153.
[115] نفسه ج 6 ص 153..

هـ إذ لجأ كل من عبد الله بن وهب الراسبي، وعبد الله بن أباض، إلى جبل نفوسة، منذ انصرافهم عن علي بن أبي طالب بمن سلم معهم من أهل النهروان، واتخذوا جبلهم دار هجرة .والعجيب أن اللغة الإباضية هي اللغة الأمازيغية المحافظة في كتبهم على مفردات أمازيغية أصيلة.

وقد نبه الأستاذ محمود إسماعيل إلى بعض الشكوك في بداية الخوارج. ويعد هذا الأستاذ ملما بالموضوع، وجريئا بطرح الشك في معظم ما نسب لبرغواطة، وقد أعلن ذلك بشجاعة يصعب على غيره أن يصدر مثل كتابه "مغربيات" في ظروف سنة 1977م وقد نبه فيه إلى أغلاط تاريخية في حق الدولة البرغواطية، كما أشار في ظروف خاصة إلى عبقرية ابن خلدون في استعمال عقله ونقده في الدولة البرغواطية، وكذلك لابن عذاري في إيجازه وأمانته في الموضوع نفسه، وسجل على ابن الخطيب تعصّبه الأعمى، وتحامله الشديد، لاعتباره برغواطة منتحلة الإمارة، وزاد فشنّع وكفّر، ثم قوّل وزوّر، كما عزَف عما سُطّر وزاد وقصّر، ولم ينتبه إلى ما سجله ابن خلدون على المؤرخين من الأغاليط البينة.

والحق أن المؤرخ قد فتح بابا من أبواب تاريخ الأمازيغ العريق في القدم، وليته فعل ذلك بالنسبة للحضارة الفرعونية الهيرغليفية المصرية كمِلكٍ للقارة الإفريقية، ليقرأ المصريون حضارتهم لفظا وحرفا بدلا من انتظار من يقرأ لهم اسم علم مصري بالهيروغليفية من اختصاصي انجليزي أو غيره من الأجانب، وما ذلك على عبقرية المصريين بعزيز، وقد زرت متحف مصر العظيمة فوجدت طلبة الرسم يرسمون ولا يقرأون ما كتب بالهرغليفية فعلمت أن ما وراء الأكمة ما وراءها، وأن كلمة " أرض كنانة العربية " حلت محل أرض النيل.

والحق أن تاريخ برغواطة له تأثيره ومكانته، لكن تسلّط عليه أعداؤه وحسّاده، كما ابتلي تاريخ الأمازيغ في معظمه بأقلام الآفاقيين فحوّروه واستلحقوه، ومنهم من كرّس نكرانه وسعى في وأده وهو حي في وطنه تامازغا منذ فجر التاريخ.

نحن لا نغمط لأقلام نزيهة حقها من الفضل بما ساهموا به في إبراز الحق وإزهاق الباطل، ولا ننكر الاتجاه الرسمي وغير الرسمي في التاريخ، إذ لا يمكن أن يكون للمغرب تاريخان لكن كل موكل لما خلق له، وقد تظهر الحقائق أحيانا مما كمُن

وتوارى من بين عبارات التدليس والتكذيب والتزوير، مهما حرص كاتبه لإخفائه، كما أن هناك دائما أقلاما حرة وضمائر نقية، وشهودا لا يخلو منهم زمان ولا مكان، هم أشبه بقوله تعالى " كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون".وويل لمن يقال : "اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" كيف لا ! وكلمة أرشيف لم تفهم بعد عندنا.

ومما يعاب على بعض المؤرخين محاولة إسناد ما ليس لهم لأنفسهم أو لأوطانهم، مع العلم أنهم يعلمون أن الشرق شرق، وأن الغرب غرب، ولكل مواصفاته ومميزاته ومؤهلاته، إن لم نقل عقلياته وديداناته وخصوصياته، وللبيئة سلطانها يفرضه الواقع، ويتميز به الموقع، ويفرض نفسه ويكيف أهله عبر التاريخ، ومع ذلك يعاني تاريخ المغرب الكبير من تهافت أقلام أنكروا أصله وفصله ورصوخه وتاريخه ومجده.فكم من مخطوطات صدرت ولم يذكر مصيرها حتى الآن.

وقد سهل عليهم ذلك كون اللغة الأمازيغية طردت طردا من الميدان، فأحرقت كتبهم وتاريخهم، (مارمول + الوزان) وبمرور الزمان ألحقوا الفكر الأمازيغي وحضارته، بل حتى سلالته وأقدميته وسمعته، فجعلوا وطن تامازغا خلاء عمروه، وسموا اللغة الأمازيغية بعبعة التيس وبربرة الأسد، وجردوا هذا الإنسان من الحضارة وألحقوه بالكهوف، وزعموا مجيئه من اليمن أو من الشام، فخير الباحث الأمازيغي في الانتماء لكي لا يكون أمازيغيا أصيلا إفريقيا في وطنه تامازغا، ثم جاء الغرب وحاول مثل ذلك،فكم سبَى الغزاة من البنين والبنات الأمازيغيين بلا حساب.

وبعيدا عن كل صفة إنسانية أعلنوا على رؤوس الأشهاد، "أنهم أثخنوا في هذه الأمة وتبجحوا بقتل الرجال وسبي النساء، وفرقوا بين المرء وزوجه، كل هذا وغيره وأكثر منه ما سجله المنصفون وتبرأ من ظلمه التاريخ".

كيف يفلح قوم ديدنهم سفك دماء إخوانهم الإنسان؟ فإذا بحثنا عن فلاسفة الأمازيغ نجد جلهم ملحقين بغيرهم، نعم، لا عيب في ضم الفضلاء من الأمازيغ، ولا الانتماء إلي الصدارة لأرباب الصدور، ولكن العيب في من أخذ غصبا ما لغيره من الحسنات، ثم لا يتورع في إلصاق ما به هو من السيئات بغيره، إذ كثيرا ما سجل التاريخ على الشرقيين سيئات يندى لها الجبين، ثم أسندت بأقلامهم حرفيا إلى غيرهم.، ومن قارن النصوص التي أوردناها يقبل أو يرد بمثلها.

وقد أورد الدكتور محمود إسماعيل المصري "أن عقيدة برغواطة (الأمازيغ) لا يمكن فصلها عن الحركة الخارجية في المغرب الأقصى، وأن المذهب الصفري كان إديولوجية هذه الدولة منذ قيامها، واعترف المؤرخون القدامى والمحدثون بصفرية مذهب مؤسس الدولة برغم إجماعهم على زندقته هو ومن جاء بعده من أمراء برغواطة".

وهكذا أقر صاحب كتاب "مغربيات" بنفس الاتجاه الشرقي وأثبته بقراءة جديدة لكتّاب ليسوا كلهم من برغواطة ولا من أقاربهم، وحتى ما وصلنا من الآخرين كان مُغربلاً من الحقيقة حتى في أسماء الأعلام الجغرافية والبشرية، فما بالك بالعقدية ونصوص دينية وأدبية وحضارية، مع العلم أن أولئك الكتّاب لم يوردوا لنا من العادات والتقاليد التي هي مرآة مجتمع الدولة البرغواطية المستمرة لمدة أربع مائة واحدى وستين سنة .وإنما يقفزون مباشرة إلى ضم كل فكر مغربي إلى شرقي، ثم خيروا القارئ بين الانتماء إلى صفري أو أزرقي أو خوارجي أو شيعي أو معتزلي كما فعلوا في الأنساب.والسلالات والبطولات حتى إن **شجرة أركّان** سموها شجرة إبليس.وعللوا ذلك بأنها لا يعرف غارسها !؟ كأن الحالة المدنية للنباتات عند صاحب كتاب الاستبصار !؟.

فأين الأدلة المادية المحلية المكتشفة لبرغواطة قبل أن نستعمل كاف التشبيه؟ فلو فعلوا ذلك لأمكن لنا أن نستشف من خلاله حياة الإنسان الطبيعية بدون لفّ ولا دوران، وبالتالي كيف استمرت هذه الدولة الأمازيغية كل هذه القرون؟ والغريب أن هؤلاء الآفاقيين حتى إذا أوردوا جملة أو فكرة يختارون منها ما ينفّر، وبكل عنصرية من أجل إبراز الدولة البرغواطية في جاهليتها وإسلامها بوصف يوجب القضاء عليها، لا لشيء إلا لتقدمها ولمقوماتها الفكرية، ولموقعها الاقتصادي، وبكل بساطة اجتهد البعض فاكتشف خمسة عشر اكتشافا ليقنع به المغاربة بالتبعية الشرقية المزعومة سواء قبل برغواطة أو بعدها ومن ذلك :

1- الرؤية الأسطورية القائلة بأن صالح بن طريف غاب ليرجع في عهد الإمام السابع ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، ولا غرو، فقد وظفه البرغواطيون الصفرية" مع العلم أن هذه الفكرة قديمة جدّاً وليست في العربية وحدها، فقد انفصل الخضر عن موسى عليه السلام، وإلى ذلك أشار القرآن [قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل

ما لم تستطع عليه صبرا] وبعد قرون أخبر عيسى عليه السلام تلاميذه برجوعه، وذلك كله قبل أن تكون الخوارج ولا الشيعة ولا المرجئة، ولا الدولة البرغواطية القائمة على الأقل منذ سنة 121هـ /738م أو منذ ظهور الرسول محمد (ص) في مكة، فكيف نهمل كل تلك النصوص من أجل البداية من الخوارج، وهم أفراد اتهموا بالكفر "وهم من الكفر فرّوا كما قيل" ؟ وهم عبارة عن دعاة انتهزوا الصراع بين القيسية واليمنية العربيتين وما ارتكبه موسى بن نصير من مظالم في شمال أفريقيا .

والعجيب أن هذه الشخصية الكبيرة موسى نفسه تعرض لنكبة الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك إذ قال له" "يا يهودي كتبت إليك فلم تنظر في كتابي همَّ ثلاثة آلاف وأمر بتعذيبه وعزم على قتله"[116]. كما بعث في قتل ابنيه في الأندلس والمغرب، ومعظم ما أسند إليه كان بمجهود الأمازيغ وبدمائهم وبفكرهم ضد ظلم الولاة، بل حتى مجرد التفكير في الثورة أسند لدعاة شرقيين من الصفرية أو الخوارج، مما جعل الأمة المغربية عبارة عن ثكنة عسكرية تساق للمعارك بأمر من دعاة يرجع إليهم الفعل كله، وتلك فكرة خطيرة، غرست بدقة وبتكرار في صلب تاريخ شمال أفريقيا، وبتكريس من المستلبين المتحمسين لتبعية المغرب للشرق رغم استقلاله المستمر، عكس الشرق العثماني إلى أن تشتت بالحرب العالمية الأولى، بينما ظل المغرب خارج تلك الكتلة.

2- وصية صالح لولده إلياس:بعدم بوح بالدعوة: فهل التفكير في بناء مشروع في مستوى الدولة يحتاج إلى التقية من الخوارج الصفرية ؟ فهل الفكر الأمازيغي بليد إلى هذا الحد ليأخذ بفكرة عجز أصحابها (الصفرية) حتى على أمن أرواحهم في جزيرتهم.؟ كأن الأمازيغ في وطنهم تامازغا في شمال أفريقيا لم يتعظوا بما جنى عليهم ترحيبهم بأفراد قرطاجيين لاجئين فارين من الرعب من مديتة صور بلبنان، فآووهم الأمازيغ ونصروهم حتى تكونت منهم قرطاجة في تونس، فكان جزاء شباب الأمازيغ أن جعلوهم وقود حروب قرطاجة مع روما، فكان ذلك أول فكرة لدى الأمازيغ من أن يحذروا من تصدير مشاكل الشرق إلى المغرب.فكان أكّليد الأمازيغي ماسينيسا نص على "أن إفريقيا للإيفريقيين" وهذه ملزمة لجميع الأفارقة.

---

[116] الرقيق ص 57.

3- القول بأن أمراء برغواطة يأخذون العشر في الزكاة من جميع الحبوب، ولا يأخذون من المسلمين شيئا، والخوارج الصفرية اعتبروا أنفسهم مسلمين، وما عداهم كفرة تسقط عنهم الزكاة فاستدل المؤلف بالرازي في هذه الفتوى ؟ ليدمج برغواطة في الخوارج الصفرية؟ فما دخل الرازي المولود في(سنة 544هـ / 1149م) وأبو عبيد البكري الراوي توفي 460هـ وما نقله زمّور البرغواطي وكان صاحب صِلاتهم (بكسر الصاد) أي كان مبعوثا أو سفيرا في مهمة رسمية إلى بلاط الحكم المستنصر بقرطبة في سنة 352هـ، والدولة البرغواطية أسست على الأقل سنة 121هـ فلماذا كل هذا التغاضي عن كل هذه القرون المعدودة بالسنوات ؟ ثم كيف نثق فيما سجلته سلطة حاكم الأندلس المستنصر وهو يهاجم أرض المغرب ويخرب بصرته؟

وينبغي التعمق في الفكر الرابط بين ضفتي بوغاز جبل طارق إذا كان هذا "العقد الفريد قد حمل أول مظاهر الخصومة الفكرية بين الأندلس والمشرق العربي، وأن الأندلوسيين بدأوا من القرن الثالث الهجري ينبهون إلى شخصيتهم الفكرية المميزة، ثم أكد ابن حزم هذه الشخصية الأندلوسية "[117]. لكن استقلال الشخصية المغربية في دولة برغواطة سبقت ذلك كله، ومع ذلك يهمل المؤرخون أسبقية برغواطة في جميع المستويات لأنها مغربية محضة.

4- وبنفس التعليل المذكور في إلحاقهم بالخوارج يستدل بما ذكره البكري عن أنهم لا ينكحن للمسلمين ولا ينكحون منهم، وهذا ما برر به كفر برغواطة، وأنهم ليسوا من المسلمين، مع العلم أن بعض القبائل حتى الآن في المغرب لم تخرج بعد عن هذه العادة، ثم ألم يرغم عمر بن الخطاب الذين تزوجوا من النصرانيات الشاميات على الطلاق لمصلحة العربيات؟ عجيب ممن ترك هذا الاستدلال، ولنستمع إلى ما أخبر به زمّور البرغواطي وما ذكره من صالح المؤمنين في القرآن. كما سياتي.

5- وأما خمس صلوات في اليوم ومثلها في الليل لكي يلحق برغواطة بالصفرية فقد نسي المؤلف فرض خمسين صلاة على النبيء في حديث المعراج، فخففت إلى خمس فقط رحمة بالمؤمنين بالإضافة إلى استمرار الأشفاع والوتر والنوافل وتحية المسجد وسجود الشكر والسجدات في القرآن والتراويح المشهورة في رمضان منذ عهد عمر،

[117] ابن القوطية ص 47.

والعاكفين في المساجد، فأي نوع من هذه الصلوات المفروضة منها والسنية والمندوبة عدت من إسراف الصفرية كما يقول المؤلف؟ أليست الصلاة عريقة لدى الشعوب القديمة قبل الإسلام؟.

6- وأما ما يتعلق بالصيام فهناك الفرض والسنة والمباح والنذر والحمية والمكروه والحرام، وهناك صيام داود وصيام الهنود والرهبان والمشاع لدى الأمم قبل الإسلام كما أشار إليه القرآن :"كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات" أليس هذا الإخبار القرآني كان قبل الخوارج والصفرية وبرغواطة بل قبل القرآن والإنجيل والزبور والتوراة.؟ فإذ لوحظ غير معهود في صيام برغواطة، فالعهدة على تقصير فقهاء الفاتحين إن كان هناك فقهاء فعلا؟ إلاعدة أفراد في عهد عمر بن عبد العزيز وهم لايعرفون الأمازيغية.

7- وأما الالتزام بالزهد فقد سبق إليه الكهّان من الهند والبودية والزرادشت وأصحاب التصوف، نحن لا ننكر أن البربرالأمازيغ كانوا مشغوفين بمعرفة الغيب دون الماديات، وشتان ما بين من يتفكر في ملكوت السموات ومن يسجد للأوثان.فلما ظهر الحق زهق الباطل.

والمجتمعات البدوية لها طقوسها الخاصة، وبفوائد الصيام أدرك الصوفيون ما عجز عن إدراك جله علماء الطب حاليا، "أليس أبو غفير الملك البرغواطي أحد أنبيائهم ضرب رقما قياسيا في الصيام"؟ ألم تشتهر الهند والصين ومريدو زرادشت وبودا بالصلاة والصيام؟ ألم تنتشر التوراة والانجيل لدى برغواطة منذ أمد بعيد؟ ولديهم عادات موساوية والرسول يقول لليهود "نحن أولى بموسى منكم"؟ يهمل كل هذا لتكفير برغواطة لغزو تامسنا الاقتصادية.

8- وأما ما أُثِـرَ عن البرغواطيين من الوفاء بالعهد واحترام الجار فذلك من مميزات الأمة المغربية قديما وحديثا وحاليا ومستقبلا إن شاء الله، ما لم تخدش كرامتهم، أو تهان حرمتهم، أو يغزى وطنهم،أو تهان مقدساتهم. "فرؤية محمد الخامس في القمر تعبر عن توحيد المغاربة، والمسيرة الخضراء عبرة لمن يعتبر، ودستور المغرب لسنة 2011م نموذج من عبقرية المغرب...".

أما حروب الخوارج واغتيالات خصومهم من طرفهم فلا تخفى على المؤرخين، لذلك لا يجوز إسقاط ذلك في غير محله، أو إلحاق مميزات الخوارج الدموية بالمغاربة، فالأمازيغ لم يشاركوا في وقعة صفين، ولا شاركوا في قتل علي، ولا في قتل خارجة، ولا في جرح معاوية، ولا في قتل عمر قبلهم، كما أنهم حاليا ليسوا من صنع القنابل البشرية، ولا من يساهم فيما لا يعنيهم، فالمغاربة أمة عظيمة ولها تاريخ مجيد.

9- وفيما يخص العقوبات عند الأمازيغ كما هو منصوص عليه في عرفهم **(أزرف)** إنهم لا يستسيغون الإعدام في كثير من الجرائم، وغالبا ما يكتفون بالدية والنفي، نعم ينصُّ العرف على قتل السارق المستمر في تعدد الجرائم إلى حد تهديد المجتمع، ومع ذلك لا ينفذ فيه الإعدام إلا بعد ما يعجز سبعة كوانين من أداء ما أفسده السارق، وإذ ذاك فقط يعلن أهله أنهم يتبرأون من جرائمه، معلنين أنهم عاجزون عن أداء ما ارتكبه من الماديات، فيبدأون هم مع الجماعة في رجم صاحبهم، وذلك منصوص عليه في عرف الأمازيغ، إذ لكل جريمة نصها مع امتياز العرف الأمازيغي بالمرونة والتكيف، وذلك لا يوجد في الفكر الشرقي ألبتة.

10- أما حرق المدن وتخريب العمران فقد ألصق ذلك بالأمازيغ ظلما وعدوانا، منذ دفاع الداهية (تيهيا) الأمازيغية عن وطنها تامازغا (شمال أفريقيا) ثم ما هو مبرر لما فعله الغزاة الفاتحون بأمراء ليبيا المسلمين منذ البداية؟ لماذا أهمل مؤرخو الشرق تلك الأفاعيل، من قطع الأذن، وجزّ الأنف لأمراء الأمازيغ رغم إسلامهم وخضوعهم للفاتح عقبة بن نافع في غزوته الثانية؟ وكلما قال له أحد أولئك الأمراء لماذا فعلت بي هذه الإهانة وأنا مسلم فتحت لك بلادي؟ فيرد عليهم بقوله: "لتتذكر ذلك كلما ذكرتك نفسك لتقوم ضد العرب" وكذلك فعل بالأمير كوسيلا رغم إسلامه ومساهمته في فتح مملكته للمسلمين بلا قتال، وكان رد الفعل من جنس العمل مع الأسف.

ومبالغة الاتهام بالتخريب تكذب نفسها، والغاية منها هو إسناد الفساد فقالوا إن الداهية خربت العمران المتصل من طنجة إلى القيروان، فأي منطق يمكن أن يقبل ذلك والفاتحون لا يعرفون حتى عدد الكلمترات بين المدينين، من حق الفاتحين الشرقيين أن يثيروا كراهية الداهية ليعزلوها عن المجتمع، لكن العيب لبعض المؤرخين الذين يسجلون ما لا يقبله العقل وبدون علامة التعجب وخاصة من المغاربة أنفسهم، ومنهم من يختم باللعنة عليهم كأنه ليس منهم .والقرأن يقول : "ولا تسبوا الذين يدعون من

دون الله فيسبوا الله عَدْواً بغير علم"[118]. وما الرأي الآن في خراب الشام؟ وطمس مصدر التاريخ بين الرافدين؟.

وما سجله ابن خلدون على بني هلال وبني سُلَيْم لا يمت إلى أخلاق المغاربة بصلة، والدليل على ذلك إطلاق أسرى العرب من طرف الداهية وعددهم ثمانون عربيا وأبقت غلاما واحدا وهو خالد بن يزيد بن عبد الحكم الذي غدر بها وتجسس عليها رغم أنها ألحقته بولديها وآخت بينهم برضاع شكلي كعادة الأمازيغ ولو قتلتهم جميعا لما أعادوا الكرة من جديد.

وفيما يخص معركة واد نيني (أو نهر البلاء) بين حسان والداهية " فلما أصبحوا زحف بعضهم إلى بعض، فالتقوا فتقاتلوا قتالا شديدا ما سمع به قط. فعظم البلاء، وظن الناس أنه الفناء، فانهزم حسان بن النعمان، وقُتلت العرب قتلا ذريعا، وأسرت من أصحابه ثمانين رجلا منهم خالد بن يزيد القيسي على اختلاف الروايات[119]، وإطلاق هذا العدد من أبطال العرب يدل على أن الأمازيغ ليسوا من فصيلة الذئاب، بل من أصحاب العفو عند المقدرة، وها هي عبقرية أكْليد الحسن الثاني وعفوه وحكمته تتجلى في معالجة رد المغيرين على المغرب الشرقي إلى أهلهم في لباس أنيق، بعد هجومهم على حدود المغرب الشرقي سنة 1963م.

وهذا يوسف بن تاشفين عندما افتتح فاس سنة 464هـ "عفا على أمرائها حمامة ودوناس فخيرهما حيث شاءا"[120]. كما "عفا على أمير تلمسان العباس بن يحيى أمير زناتة فأنعم عليه بكل خير وبظهائر كريمة"[121].

ونفس الشيء فعلته إنسانية يعقوب المنصور الموحدي بأسرى الإسبان بالأندلس، ولو قتلهم جميعا لتأخر رد فعلهم قرونا أكثر مما وقع، لكن الأمازيغ لا يفتخرون بسفك الدماء، وذلك دليل آخر على أنهم رحماء، ومن أخلاق الرسول (ص) (اذهبوا فأنتم الطلقاء" إذ لو قتلهم جميعا لما بقي من عنصر بني أمية من له تاريخ، والعفو عند

---

[118] سورة الأنعام الآية 108.
[119] الرقيق ص 25.
[120] ابن عذاري ص 28.
[121] نفسه ص 29.

المقدرة من أبلغ الفضائل، فأين هذه الأخلاق اليوم أيها الناس فيما بينكم؟ في تصفية العراق بفتاوي مختلفة وكل حزب بما لديهم فرحون.

11- سجل المؤرخون أن برغواطة أعلم الناس بالنجوم، وليس الطبقة الشعبية الفقيرة منهم فقط، بل اعترف المؤرخون بذلك لبعض أمرائهم، لكن سرعان ما قيل: "نتيجة تلقيهم العلم في مدارس العراق؟! وذلك ينم عن اعتناقهم المذهب الخارجي".

لماذا استبعد البعض علاقة برغواطة بمصر وبحضارة الفراعنة وبهندسة الأهرام وبالكهنة فيها وما شئت من علوم كانت للمغاربة يد فيها ابتداء من السلالة الفرعونية الاثنتين والعشرين حتى ستة وعشرين، وهم الذين وحدوا إمارات مصر؟ ألم يفتح القائد الأمازيغي شيشونـگ مصر منذ سنة 2961 ق. م من تاريخ الأمازيغ؟ لكن كل ذلك يهمله من كتب عن المغاربة.!

ألم يسجل التاريخ أن من معبودات سكان شمال أفريقيا قبل الرسالات السماوية عبادة النجوم والشجر والدواب؟ بل قدسوا كل ما له منافع وفوائد مادية كانت أو روحية أو له تأثير على الحياة العامة، ألم ينص البحث التاريخي على أن تانيت الأمازيغية في شمال أفريقيا هي أصل ما انتشر لدى اليونان ثم انتشرت على كل من يطل على البحر الأبيض المتوسط؟ وذلك قبل أن تعرف صابئة حرّان، ولا اللاة ولا العزّى ولا مناة، وقبل أن يعرف هُبَـل العاكف بجوار الكعبة حتى طـهّر الإسلام جوار "أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا" فصار موسما عالميا للسلم بلا تمييز، وركنا خامسا للإسلام تهوي إليه أفئدة الناس وتدعو إلى كلمة التوحيد ووحدة الكلمة وهي غاية العالم.اليوم لضرورة التعاون والتضامن في السراء والضراء ولا مجال للاحتكار.

كيف أصبحت "صابئة حرّان" العربية مؤثرة في برغواطة؟ وهم على ضفاف بحر الظلمات على حد مبلغ علم العرب، وقديما استعان فرعون موسى بكهنة شمال أفريقيا وخاصة واحات ليبيا وأخبر بذلك القرآن الكريم بغاية من الاختصار في سورتي الأعراف والشعراء: (فأرسل في المدائن حاشرين). وبما أن موسى عليه السلام جاء بعصاه (المعجزة) من الشرق ،فإن فرعون عارضه بمعجزات الغرب بأن أرسل إلى "خمسة عشر ألف ساحر - على حد رواية محمد بن إسحاق"(15000) وهم من الأفارقة ولا يمكن أن يستثني من هذا العدد مهرة الأمازيغ المنصوص على تقدمهم في

هذا الفن، ولابن خلدون استشهاد في الموضوع، وفي كتاب البوني ما يغني الباحثين في الموضوع أيضا (ألبوني نسبة إلى مدينة في ليبيا).

وعلاقة الأمازيغ مع مصر قديمة، وأصل بداية الأهرام من الصحراء الكبرى، ومن أقدمها ضريح مّيدراس بالجزائر حتى الآن، وكذلك قبر عاهل أمازيغي بمدينة توكا بتونس[122] وأن موسى عليه السلام لما هرّب عددا من العبرانيين من مصر نحو سيناء أو نحو اليمن حسب البحث الحديث ؟ فإن الباقين منهم لا يجدون ملجأ إلا في شمال أفريقيا.

وخاصة أصحاب التوحيد منهم مثل الأحبار .لكن الشرقيين ينكرون علاقة ألأمازيغ بمصر، بقدر ما يكرسون تفسيرات قوله تعالى: "فلما قتل داود جالوت" في فلسطين فهرب الباقون إلى شمال أفريقيا، نعم لا ينكر أحد انتشار المبادئ الرائجة لدى الأمازيغ بفضل المبشرين في عهد موسى وفي عهد عيسى وفي عهد عمر بن عبد العزيز، وكلها إسلامية لصدورها من مشكاة واحدة وهدفها الهداية والسلم.

12- لماذا تهمل مبادرة "سبعة الرجال الرگـراگـة الأمازيغ بأحواز تانسيفت" الذين قاموا بزيارة الرسول (ص) بمكة أو في المدينة منذ بداية ظهوره. ومما ورد في كتاب قبائل المغرب "رگـراگـة أشرف قبائل مصمودة لسبقهم إلى الإسلام وجهادهم في سبيله حتى ليقال إن قدماءهم شدوا الرحلة إلى النبي محمد (ص) بمكة في أول ظهوره وكلموه باللغة البربرية فأجابهم بها وأسلموا ورجعوا للمغرب، كانت مواطنهم على عدوتي وادي نسيفة (تانسيفت) عند مصبه في البحر ثم تلاشوا في القبائل فبعضهم بسوس، وبعضهم بالسراغنة، وبعض آخر في جهات أخرى، ولم يبق منهم في مواطنهم الأولى إلا قبيلة صغيرة مندمجة في شعب الشياظمة"[123].

ومن سبعة الرجال الرگـراگـة الصحابة سيدي واسمين وكان هدفهم هو ما موقف الرسول محمد (ص) من عيسى بن مريم، لأنهم علماء أمازيغ مسيحيون، وقد خاطبوا الرسول بلغتهم تامازيغت،عندما وجدوه في مجلس بين أصحابه بدون تمييز، فقالوا " ماد يگـان گـيگـون أرقاس نـ ربّي؟ فقال لهم نگي أشكادّ" وهم يؤمنون برسالة عيسى

[122] لمحة عن تاريخ ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغ محمد شفيق ص 23.
[123] عبد الوهاب بن منصور ج 1 ص 324.

كما يفرض الإسلام.الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.فإذا أنكرت أقلام الشرقيين كل هذا، فإنه من السهل إنكار الهرم بكامله، والمهم لماذا لا يناقش البعض رحلة الزّكراكة؟.بالقبول أو بالرفض !؟!.

13- ولما كان من الصعب إنكار ما سجله المحدثون في نبوّة برغواطة فمن الممكن خلخلة ذلك بإلحاقه إلى الغير، حتى لا يعطى أي بعد للفكر الأمازيغي ولو كان في ظلمات المحاكاة والبهتان، المهم هو عدم ترك المجال للفكر الأمازيغي ليظهر ولو كان في مجال الكفر ولعياذ بالله، لكن لما تبين للشرقيين ما لم يستطيعوا إلحاقه بهم أو أن يردوا بما يمكن إلحاقه بغيرهم، جعلوا الأمازيغ "وزيعة":

"فالمؤرخ دوسلان كان أول من أثار المسألة، فذهب إلى أن إله البربر المدعو باكوش (بالباء) هو بعينه :Baccgus إله اليونان، لأن النطق العربي لباخوس هو :Yacchus وذلك على رأيه بأن طقوس عبادة إله الخمر والمجون عند اليونان باخوس كانت منتشرة في وسط مراكش ؟.وما المانع من أخذ الاسم من الأمازيغ في وطنهم تامازغا، مع العلم أنه سبق لليونان أن أخذوا منهم "إلهة تانيت" أما الاستدلال بالخمر ، فلا يرقى إلى المطلوب.

صحيح أن الخمر كانت منتشرة في شمال أفريقيا، لانتشار العنب بفضل مناخ البحر الأبيض المتوسط، حتى إن الجغرافيين يعرّفون هذا المناخ بوجود الكرمة والعنب والفلين في مواطنها الخمسة في القارات، والخمر كانت منتشرة حتى في عهد الموحدين، وأكبر دليل على انتشارها، ووجودها في اللغة الأمازيغية القديمة وهي "أنزير : Anzer" واليونان عبارة عن عشرة آلاف جزيرة لا تكفيهم لزرع الحبوب المتناوبة كل سنة، فكيف بغرس أشجار العنب التي تحتل الحقول وحدها؟ وهنا نلاحظ مرة أخرى أن الأمازيغ إذا لم يقبوا إلحاقهم بصحراء جزيرة التوابل (العربية) عليهم أن يقبلوا إلحاقهم كطيور ينتقلون بين الجزر في بحر اليونان!؟. وذلك جزاء من لم يهتم بتاريخه ويسجل ماله وما عليه.

ألم يستدل اليونان بكلمة "أسْنوسْ" الجحش عندهم أنها يونانية من أجل ربط صلتهم بنفس الأسم عند الأمازيغ، نحن لا ننازع في أصل بلاد الجحش ولا أصل أمه الحمارة، وعلاقات الأمازيغ باليونان ثبتت تاريخيا، ولكن بحكم الجغرافية نعرف أن اليونان

تتكون من عشرة آلاف جزيرة على الأقل، فهل كان أسنوسهم غرابا يطير من جُزيْرة إلى جزيرة ؟ ألم يكن شمال أفريقيا مرتعا خصبا لجميع أنواع الماشية ؟ أم أن كلمة أسنوس الأمازيغية هذه انتقلت إلى لغة اليونان بواسطة كتاب "الجحش الذهبي أو المسوخ للمؤلف المغربي المعروف أبّولي" ؟ أو أن أبو التاريخ هيرودوت سجل ذلك؟.

وكالعادة فقد ابتلي تاريخ الأمازيغ بأقلام الأفاقيين يزكي بعضهم بعضا، بحيث يصبح ما ظنه أحدهم أو اقترحه أو زعمه بالأمس دليلا موثقا يبني عليه اللاحق فيصير الشك بالأمس عين الحقيقة في اليوم بعده، وهذا ما نجده لدى المستشرق الهولندي الشهير "دوزي" الذي أضاف أن إله اليونان Baccgus هو نفس إله البربر حتى من حيث النطق اللغوي، ينطق بالباء "باكوس" واستدل على ابن عذاري الذي كتبه هكذا بالباء وليس ياكوش بالياء.

وفيما يخص ما ذكره المؤرخ "دوزي" في كلمة إله برغواطة "ياكوش" وليس باخوس اليوناني ولا باكوش الهولندي، فإن استدلاله بنقطة واحدة فيما وجد عند ابن عذاري، لا يكفي، فكيف يستبعد "دوزي" مشاكل النقط في الحرف العربي، فكلمة "زُحَلّ" بإسقاط النقطة أو بزيادتها تصبح "رحل أو رجْل أو رَجُلٌ أو زَجَلٌ أو رَخَلٌ" وقس على ذلك، وهذا التعقيد لا يناسب الأمازيغية رغم محاولات علماء سوس، بينما الكتابة بالحرف اللاتيني أو بالحرف الأمازيغي "تيفيناغ" ينتفي كل ما ذكر. وبالمثال تتضح الأشياء خذ كلمة تامازيغت مثلا [**تمزغت** + tamazeght + **ⵜⴰⵎⴰⵣⵖⵜ**] حاول الآن أن تقرأ الكلمة نفسها وأنت لا تفهم معناها، فبالعربية معرضة للخطأ لأنها تحتاج إلى إضافات أخرى وهي النقط والشكر بالحركات، بينما المكتوبة باللاتينية وبالأمازيغية فلا مجال فيهما للخطأ، فما بالك إذا سقطت نقطة أو أضافتها ذبابة أو بسبق القلم.؟ أو ألحق بها لحن من لا يميز.

وهنا نقول للمؤرخ "دوزي" ألا يمكن أن يقع ما ذكر لابن عذاري بإسقاط النقطة ؟ وفي جميع الاحتمالات فبرغواطة سمت مقدسها أو ربّها أو إلهها "**ياكوش**" وسجلوه وحفّظوه بمدينتهم مراكوش [وطن الله أو أرض ياكوش] ومازال الأمازيغ يستعملون في سؤالهم "مايگان أمور نك" ؟ **ⵎⴰⵢⴳⴰⵏ ⴰⵎⵓⵔ ⵏⴽ** ما هو وطنك ؟ وقد فطن البعض لدلالة هذا المعنى فكتبوا وأشاعوا أن كلمة مراكش مركبة من [مُـرّ + كـوش] مرّ مُسْرعاً لكثرة اللصوص في مكانها.

كل ما ذهب إليه هؤلاء وأولئك من فرضيات أنا لا ألومهم، ولكنني ألوم المؤرخين الأمازيغ العارفين بالحقيقة فيسكتون، بل هناك من يساهم في سلخ الحضارة الأمازيغية وينقلها مجانا بلغة أخرى وبحرف آخر إلى غيره، أنا لست ضد من يبلغ حضارة الأمازيغ إلى أمم أخرى، لكن بشرط أن يحافظ على الأمانة ويوثق مصدر ما أخذ منه، وفي نفس الوقت يستورد من الآخر ما يناسب ما صدره من الأمازيغية. لأن الحضارة ملك للجميع، فما رأي المحتكرين ؟.

14- ثم إن قصة الركراكة المغاربة وحوارهم مع الرسول (ص) تشبه تماما حوار ملك الحبشة النجاشي مع الجماعة اللاجئة من المسلمين;الأولين إلى حمايته هربا من كفار قريش بإذن من الرسول (ص) والتمييز بين الحالتين أن الحوار في الحبشة مع المهاجرين،بالعربية والأمازيغ مع الرسول بلغتهم، إلا أن الشرقيين ينكرون أشد الإنكار أن يكون الصحابة من الأمازيغ (البربر)

وبعد ما حوّل البعض مواصفات برغواطة الأمازيغية من غرب الدنيا القديمة إلى شرقها، ختم بما كرسه أقلام الآفاقيين السابقين من إلحاق المغرب بجزيرة التوابل، كما كانت تسمى في التاريخ القديم فقال:

مما سبق يتضح أن عقيدة برغواطة خارجية الأصول، فلم تكن إلا المذهب الصفري الذي وفد من الشرق منذ بداية القرن الثاني للهجرة، وانتشر في بلاد المغرب الأقصى بوجه خاص" فصدق عليه المثل **"كرا يكرز وَرام نبّوجْط"** كل ما حرثه الجمل دكّه بأخفافه أي أفسده.على قول المثل.

وهكذا يعطي بعضهم بجرة قلم - حضارة برغواطة الأمازيغية - لدعاة فروا بأرواحهم من فتن الشرق، وقد لا تكوت لهم صلة بها فكرا ولغة وأسلوبا ووطنا، وقدموا ذلك بأسلوب غيور في عهد التيار البعثي - الذي يحلم في رابعة النهار- بإمبراطورية أموية تُعيد من جديد مصادرة الأطفال الأمازيغ من بنين وبنات، كما فُعِل بطارق بن زياد النفزي، وعكرمة الأمازيغي (البربري) والمنيذر الإفريقي، وهذا الأخير هو أصغر صحابي أمازيغي وحيد اعترف بدخوله الأندلس، وهو راوي هذا الحديث: "من قال

رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، فأنا زعيم له، فلأخذنّ بيده فلأدخلنّه الجنة"[124].

والعجيب أن هذا الحديث متداول ومشاع بين المغاربة، فهل يرجع ذلك إلى ثقتهم في هذا الصحابي الأمازيغي الوحيد؟ أو كوسيط للأمازيغ الراوي المباشر عن رسول الله فتعلقوا بحبه؟.

العنصرية من أخطر أساليب البشر: كان أصل هذه الكلمة هو تكريم العنصر الإنساني وتفضيله، فعيد العنصر عند اليهود هو" تذكار نزول الشريعة في طُور سينا" وعند المسيحية هو "تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ بعد عيد الفصح" وفي القرآن الكريم:[ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا][125].

فتكريم الإنسان وتفضيله عنصره على غيره ممن خلق الله من غير بني آدم اتفقت عليه الديانات المذكورة، لكن من حول هذا التكريم إلى الميز العنصري بين الإنسان وبين أخيه الإنسان.؟ إنه التوسع، إنه الاستعمار، إنه الاستغلال، إنه الغزو، إنه الحاجة الاقتصادية، إنه فتاوي التحريم والتحليل، وذلك واضح في كل عهود الغزو والتوسع، فالضعيف دائما تحت رحمة القوي، بأسماء مختلفة أقبحها استعمال الميز العنصري .

ومن أين يصنف التاريخ ما فعله ولاة بني أمية في شمال أفريقيا؟ بما فيه ما سلبه موسى بن نصير من حوريات أمازيغية لتلبية رغبات قصور بني أمية؟ فما محله من الإسلام؟ فهل من العنصرية والقوم وحدوا الله منذ دخول عقبة بل قبله بكثير، وهذاالسبي لا يكاد يصدق لولا ما سجله التاريخ: فقد "كان ورود موسى بن نصير أولا إلى إفريقية (تونس). فأصاب سبيا عظيما بعث إلى خليفة المؤمنين عبد الملك بن مروان بخُمسه منهم، فكان ذلك عشرين ألفا،(من عدد خمسمائة ألف) ثم غزاهم غزوة ثانية، فحصل منهم في خُمُس أمير المؤمنين ألفا أيضا، فأعجب عبد الملك بذلك! فكان يكتب إليه يؤكد عليه في ذلك، وفيما ولاّهُ غزوهم"[126]. وهذه ملايين من البشر ومن

---

[124] ابن القوطية ص 188.
[125] سورة الإسراء الآية 70.
[126] تاريخ افتتاح الأندلس ابن القوطية ص 188.

سبي الأمازيغ، فكم عدد القتى إذن من الأمازيغ ؟ فإن صح ذلك فهو إعدام الأمة في وطنها تامازغا شمال أفريقيا.

يصعب أن نصدق ذلك، لولا الوثائق الرسمية التي مصدرها من أعلى المراتب ومن الخليفة عبد الملك إلى وليه موسى بن نصير يؤكد عليه في المزيد.ومع الأكل تأتي الشهية.

من هو موسى بن نصير؟ إنه بطل في زمنه: ولد في عام 19هـ والده ممن سباهم خالد بن الوليد في موقعة عين شمس، عام 12هـ اتهمه الحجاج بن يوس باختلاس أموال مدينة البصرة بالعراق، فهرب إلى حماية صديقه عبد الملك بن مروان، ثم إلى ابنه الوليد فتولى إفريقيا عام 89هـ "فمزق جموع الثوار البربر بيد من حديد، ودوخ هوارة وزنانة وكتامة وصنهاجة وغيرها، وأحرز من الغنائم والسبي ما لا يحصى"[127].

"فلما وقف على فوز طارق وتقدمه (في الأندلس) تحول إعجابه به إلى حسد وغيرة، فقدم موسى أعمال طارق بن زياد ومحشراً من البشر إلى الوليد في آخر أيامه، فغضب عليه سليمان المتولى بعد موت أخيه بثلاثة أيام فنكّبه، ولبث على تلك الحالة حتى توفي في منتهى البؤس والذلة عام 97هـ"[128]. هذه نهاية هذا الجندي الذي قُدَّ من صخر، وقلبه من الحديد، ومجهوده في التاريخ لا يجحد، لكن مصيره كما ترى، غفر الله للجميع.

كان ولاة بني أمية يحلون مشاكلهم بغزو شمال أفريقيا، وكذلك بني العباس، ولا عجب إذا سمعنا من يردد حاليا الجهاد في شمال أفريقيا والأندلس لإعادة الكرة مرة أخرى؟.ولماذا لا؟ ألا يوجد أحفاد لأولئك ليستغلوا المغاربة مرة أخرى بواسطة أحفاد آخرين ينتسبون لطارق بن زياد من جديد، فيسوقهم غيرهم وقوداً ليعيد التاريخ نفسه ولو في كلياته لا قدر الله ؟ فإلى أين يتجه العالم من جديد؟ لو نجح مد إمبراطورية حزب البعث من الخليج إلى أسفي حسب الطموح العسكري لبعض البعثيين؟ وها نحن نسمع بلاجئين باسم القاعدة يطرقون حدود دول الساحل والصحراء، ومنهم من ينتسب إلى دول أنكرت حق المغرب في صحرائه، وسببوا للمغرب في مشاكل أدّى من أجلها

[127] عبد الله عنان ج 1 ص 25.
[128] المرجع نفسه ص 57.

الكثير، فرجع كيدهم في نحورهم، بينما المغرب باق يتمتع بنعمة الاستقرار بعيدا عن "الربيع العربي"؟ إن المغاربة ليسوا ضد الشعوب شرقا وغربا، جنوبا وشمالا، سنيين وشيعيين، ومع ذلك، فالمغرب محسود، ولا يحسد أحدا لكن من الحزم سوء الظنّ.

أما ما نسج من روايات حول "قرآن برغواطة" فلا بدّ من تفسير لهذا المصطلح، فهل كلمة القرآن الكريم من قرأ أو من قـرَن؟ والأمر مختلف فيه حتى بالنسبة للفسرين، وفيما يخص ما نسب لبرغواطة فالبعض يسمي ذلك ترجمة القرآن الكريم إلى لغة البربر، إذ كان ذلك أمرا ضروريا "لأن بربر تامسنا لم يتم تعريبهم نهائيا" إلا في عصر الموحدين، بل حتى ذلك لم يقع بتاتا لأن الدعوة الموحدية نفسها قامت على استمرار الأصل وتكريس تمزيغ المحيط، كما في الآذان والصلاة وقراءة القرآن بلغة البربر وفرض الأمازيغية في خطب الجمعة بفاس . والفاطميون لم تقم دولتهم إلا بالأمازيغية والأمازيغيين، ويوسف بن تاشفين لا يعرف إلا الأمازيغية، لكن بقدر ما تتمكن السلطة المركزية بقدر ما يتبدل اللسان، فيعيد التاريخ شكاوي الأمة الأمازيغية؟.

1- كلمة القرآن أو القران هل هي من قرأ أو من قرن؟ هذا يهم اللسان العربي، لأن القرآن نزل مقروءا ولم ينزل مكتوبا، والمسلم يؤمن بكتاب الله العزيز الحكيم، والذي يهمنا هنا أنّ الشرقيين أطلقوا على جزء من حضارة الدولة البرغواطية كلمة "القرآن" وسجلوا ذلك بأقلامهم بكل بساطة، مع أن ابن خلدون قال: **"وشرّع لهم** الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في كتب المؤرخين.."

2- الأمر هنا لا يخلو من اثنين: إما أن الشرقيين اطلعوا على شريعة برغواطة (وهي أزْرْفْ) فوجدوها في مستوى فصاحة القرآن من حيث البلاغة والحكمة والتشريع والمساهمة في التنمية والتكوين والتنظيم والأخلاق، "وتسجيل القوانين، ودقة التنفيذ، والعدالة والمساواة مما كان القرآن الكريم يدعو إليه، فبهرهم ذلك وأطلقوا عليه "قرآن برغاوطة البربرية. " وذلك يستلزم أنهم قرأوا ذلك وقارنوه بالقرآن الكريم وفهموه من اللغة الأمازيغية وذلك بعيد جدا.

3- وإما أنهم أطلقوا على تلك الشريعة البرغواطية المستمرة أربعة قرون كلمة "قرآن" لإثبات كفر برغواطة، لأن ما بين دفتي المصحف كلام الله (كما قالت عائشة أم المؤمنين) وكل من أنكر أو زاد أو نقص أو حرّف حرفا من القرآن فهو كافر، كما

يقوله "القاضي عياض اليحصبي الثائر بدوره في سبتة ضد الموحدين" فما بالك بدولة برغواطة (البربرية) التي جعلت للمغاربة "قرآنهم الخاص" ومعنى ذلك أنه يجب على المسؤولين في الشرق أن يرسلوا من جديد جيوشهم لإعادة الفتح، للقضاء على قرآن برغواطي كما قضي على ثورة مسيلمة وقرآنه في الجزيرة العربية، ويفهم من إطلاق كلمة القرآن على مضاهاة مسيلمة أنه مجرد أسجاع كما سجله الرواة ومنه [لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نَسَمَةً تسعى، من بين صفاق وحَشى...].

4- وإما أن غزو برغواطة كان ضروريا لتصدير مشاكل الشرق، وتجييش الغزاة لأن بربر تامسنا لم يتم تعريبهم نهائيا أما فتوى التكفير فهناك من يتحمل وزْرها.
وهذا هو بيت القصيد، أي تعريب الأمازيغ وهو الذي يشغل الشرق قديما وحديثا، ولو كانوا طرائق قِدداً، يحاربون الأمازيغية بوسائل ما أنزل الله بها من سلطان، تارة باسم الدين، وتارة ضد لغة قريش، وطورا أنها عنصرية يجب القضاء عليها، وحينا أن السنة ضد الشيعة، والغاية تكفيرهم لغزوهم، وهم ينكرون ما قدمته الأمة الأمازيغية لحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط في عدة مستويات كالمساهمة في بناء اللغة العربية مثل أجْرّوم وابن معطي والزواوي، وحفظ القرآن والعمل به، فقد أنكروا كذلك مساهمة الفرس في بناء العربية، والدافع إلى ذلك هو فهم الشعبين معاني القرآن مباشرة بدون واسطة، وهذا ما فعلته دولة برغواطة.

5- جاء في منظومة أمازيغية قديمة تُحفَّظ عن ظهر قلب للأطفال في الكتاتيب القرآنية بسوس بكامله، وكانت باللغة الأمازيغية، وبمرور الزمان، داخلتها كلمات عربية فحلت محل الأمازيغية في رواية البعض هكذا :

مايگان يان؟: ربّي سبحانه، مايگان سين؟ بابا تنغ آدم د مّا تنغ حواء مايگان كراض؟ : أيت ئسمضال: مانّن يگان؟ سيدنا محمد د بوباكر د عمر. مايگان گوژ؟: گوژ ئدليسن (لكوتوب) ليد يزوگز ربّي ف ئمازانن نس، مانّن يگأن ؟: تاورات ئموسى ، لينجيل ئعيسى ، زّابور ئداود، **لفورقان** ئسيدنا محمد. تاژاليت نـ ربّي فلاّس، ونلاحظ أن الأمازيغ يستعملون الفرقان بدلا من القرآن.كما ورد في تلك المنظومة التي منها مايگان سمّوس؟ :سمّوست تيژيلاّ لي ئسبزّيزّ ربّي گر ئض د واسّ، مانّنت ئگان؟ :تيزْوارنين ، تاگّوزين، تيوْتشي، تييْطص، تايْلگي (صبح) مّاو ئسقويْما أد لانت تزوارنين ؟ولا تاگّوژين وْلا تييطس گوژ: سين انّ زوارنين

لحامدو د السّورت:سـ لجاهر ئوْتمان ئـ سين انّ گّورانين لحامدو وْكان، تكّ تّاحيات گر اتسن، تگرو يـ اسن تايّاض.تيويتشي كراض تايلگي سين سـ لجاهر.ئوْتمان لحمدو د سّورت ئـ سين انّ زوارنين لحمدو وْكان ئـ غوانّ ئگّوران تژاليت نـ توتمين كرا تگا سـ سّيرّ.

مايْگان سضيس؟ سضيس وسّان ليغ يسكر ربّي دّونيت، مايْگان سا ؟ سا ئگنوان، سا ئكالن، سا ئگْروْالن (لبحور) سا لجاواريح ، سا ئماوْن نـ لعذاب أداغ گيسن ياري ربّي.نگني وْلا يايگان أموسلم، مايْگان تّام؟:تامت لجنّات اد اغ تنت يورك ربّي (يرزق) نگني وْلا يايگان أموسلم

مايْگان طّژا؟ تيسعة رهظ .يفسدون في الأرض ولا يصلحون.مايْگان مراو؟ " يمدّوكّال نـ النبي.مايْگان يان د مراو؟: أيتماس نـ يوسف.
مايْگان سين د مراو؟ :سين د مراو نـ وايّور لّي يلاّن غ وسوگّاس نـ واضان.وهذه المنظومة تجمع بين تعليم أسماء الأعداد والمعلومات الضرورية في الدين، ولم أورد تفاصيلها لأن الهدف عندي هو الاستدلال بذكر **الفرقان** بدلا من كلمة القرآن، ثم هل برغواطة سمت تشريعهم **قرآنا** هكذا أم **فرقانا** كما احتفظت لنا به هذه المنظومة الأمازيغية؟.ثم هل ما ذكر فيها من مصطلحات برغواطية مصمودية ؟ والتي مازالت متداولة حتى الآن في فرع اللغة الأمازيغية المكونة من ثلاثة فروع مصمودة وژناگة وزناتة على الترتيب (تاسوسيت، تاژايانت، تاريفيت).

ملاحظة هامة "سمّوست تيژيلاّ لّي ئسبزّيزّ ربّي گـــر ئض د واسّ"يظهر لي أن هذه الجملة الأمازيغية هي التي أوقعت مؤرخي الشرق في الخطإ وهي فرض الله خمس صلوات بين الليل والنهار ففهموا من ذلك خمس صلوات في الليل وخمس في النهار، ولم ينتبهوا إلى كلمة " گـر" أي بين التي تعني خمسا فقط بين الليل والنهار.ومصدر هذا الخطأ من الترجمة.

تعريب هذه المحفوظة : من هو الواحد؟ الجواب الله وحده، ومن هما اثنان: آدم وحواء، ومن هم ثلاثة؟ أصحاب الروضة، ومن هم أربعة؟ الكتب السماوية: التوراة لموسى، الإنجيل لعيسى، والزبور لداود، والفرقان لسيدنا محمد (ص)، ومن هم خمسة؟ الصلوات الخمس المفروضة بين الليل والنهاروهي الظهر، والعصر،

والمغرب، والعشاء، والصبح، فكم عدد الركعات ؟ للظهر أربع ركعات، الأوليان بالفاتحة والسورة، وبينهما التحية وكذلك في النهاية، وهكذا في العصر، والكل بالسر، وفي المغرب ثلاث ركعات الأوليان بالفاتحة والسورة بالجهر للذكور وحدهم، والركعة الثالثة بالفاتحة فقط بالسر وبينهما التحية وكذلك في النهاية، وللعشاء أربع ركعات، الأوليان بالفاتحة والسورة، وبينهما التحية وكذلك في النهاية بالجهر للذكور فقط، وفي الصبح ركعتان بالفاتحة والسورة بالجهر للذكور فقط.والتحية سرا في جميع الصلوات الخمس.

من هم ستة؟ ستة أيام الأسبوع التي خلق الله فيها الدنيا (الكون) وهي الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة، وأما السبت إنما هي زيادة .في الأسبوع، ومن هم سبعة ؟ هم سبع سماوات وسبعة أراض وسبعة بحور وسبعة جوارح وسبعة أبواب جهنم أعادنا الله منها.نحن ووالدينا وجميع المسلمين.

ومن هم ثمانية؟ الجنّاتْ الثمانية اللهم ارزقناها نحن ووالدينا وجميع المسلمين، ومن هم تسعة؟ هم تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون،.ومن هم العشرة؟ هم أصحاب النبييء .ومن هم الحادي عشر؟ هم إخوة يوسف، ومن هم اثنى عشر؟ هم عدد شهور السنة.

6- يعترف المؤلف "بالأذان والصلاة وقراءة القرآن بلغة البربر" لا أدري ماذا يقصد الراوي بقراءة القرآن بلغة البربر، هل يقصد قرآنهم البرغواطي؟ فذلك طبيعي إذا كان لهم قرآنهم، أم يقصد ترجمة القرآن الكريم ؟ وحسب هذه الشهادة فذلك انفصال تام عن الشريعة المحمدية! وبالتالي فما الفائدة في المحافظة على المصطلحات الواردة في الفقرة أعلاه؟ (وابن خلدون يسمي ذلك شريعتهم) أم أنه يقصد المذهب الحنفي الذي يجيز الصلاة بترجمة القرآن خلافا لبعض المذاهب، مع العلم أن المؤرخين نصوا على وصول المذهب الحنفي إلى المغرب إلى أن عم مذهب مالك شمال أفريقيا منذ أن نقله يحيى بن يحيى الأمازيغي فتمسك به المغاربة.

والعجيب أن المؤلف أصر على تكرار كلمة كفر برغواطة، بقدر ما غض الطرف عن حوار عبد الله بن ياسين عندما خاطب برغواطة فقال لبعضهم " ألا تعرفون الله ربكم؟ ومحمدا رسولكم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام؟ " فقالوا له: "بلى؟ عرفنا الله

ربنا، ومحمدا نبينا"[129]. هل بعد هذا الإقرار من كفر؟ لكن بني أمية يهمهم الاستغلال، ولذلك أعادوا الجزية بعد الإسلام، إلى أن استنكرها الخليفة عمر بن عبد العزيز، ومن رسالته: "إن الله أرسل محمدا هاديا ولم يرسله جابيا ".

لكن هناك منقولات غامضة منها أن لبرغواطة إلها خاصا بها واسمه ياكوش، لكن اختلف الرواة حتى في ضبط هذا الاسم، فرواه البعض هكذا باكوش بالباء بدلا من الياء، ومن هنا ألحق بإله اليونان باكوش لأن النطق العربي لباخوس هو ياكوش، لكن لا حظ تغيير الخرفين (الياء والشين): باخوس نلاحظ أن الكتابة بالعربية هي التي سببت المشكل.

7- بقي أن نعرف بماذا كتب قرآن برغواطة؟ فهل بالحرف الآرامي (الذي سمي بالعربي فيما بعد؟ لأن العرب أمة أمية قال تعالى "هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم" أم كانت لبرغواطة حروفهم الخاصة المعروفة في شمال أفريقيا منذ أگليد "ماسينيسا" (سنة 203 ق م)، وهي حروف تيفيناغ المعيارية حاليا بفضل مجهودات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية؟ والتي كانت تحتوي على أحد عشرا حرفا مقدسا مازالت منتشرة ومستعملة في حرفة الرقى، كما عرفها الناس حاليا في الوشم والزخرفة والحلي والزرابي والخزف والقلعات والصوامع. ولأمر ما ذكر ابن حوقل الأندلسي أو نسب إليه غالبا أن صالح برغواطة "له خطٌ حسن"؟ ولا يكون إلا حَظٌ حسن كما مرّ. وإلا فعلى أي حرف يقصد؟[130]. وذلك لنفي السؤال عن الكتابة الأمازيغية التي لا شك أنها باقية.ولأمر ما نقلت نقطة الظاء إلى الحاء (خط ـ حظ) لاستبعاد وجود الخط الأمازيغي نهائيا .وهو عقدة المستلبين.

فإذا كانت الدولة البرغواطية بلغت ذلك المستوى الحضاري فإننا نعرف عنهم الأرقام الزناتية الأمازيغية وكلها زوايا هندسية، والتي سميت بالأرقام العربية بعدما نقلها راهب من فاس إلى الأندلس، ثم انتشرت في أوربا، وهي المستعملة حاليا في العالم، بينما تستعمل الأرقام الهندية في الشرق الأوسط حتى الآن.؟!

---

[129] البيان المغرب ص 10.
[130] ابن حوقل ص 82.

8- الخلاصة: يقول البعض: "إن تاريخ برغواطة أمكن صياغته في إطار تاريخ المغرب الإسلامي، وأن عقيدتهم تمثلت في المذهب الخارجي الصفري تلك إذن حقيقة المسألة البرغواطية" هكذا لخص المؤلف الدولة البرغواطية في إيديولوجية عربية شرقانية خوارجية صفرية، فكان كل من قرأ هذه التوجيهات في غياب الردود يسكت على مضض،وأدهى وأمرّ، أن المؤلف مازال يستعمل مصطلح **"المسألة الأمازيغية"** والتي يكرسها الخصوم منذ مؤتمر الخزرات سنة 1906م إلى الآن، ولو رسمت في الدستور.

ولا أدري هل كان صاحبنا يعرف ماذا تعني هذه الكلمة (المسألة) إنها مصطلح استعماري اتفقت عليه جميع دول أوربا في مؤتمر (الخوزيرات) حول تقسيم الإمبراطورية المغربية، ثم شاعت هكذا "المسالة المغربية والمسألة البربرية وحاليا المسألة الأمازيغية" ولما فقدت مدلولها حلت محلها **"القضية الأمازيغية"**

9- ومن قراءة صاحب مغربيات[131] قال : "فرواية ابن حوقل أقدم الروايات وأكثرها بعدا عن التطرف والتحامل، لكنها لا تخلوا من مبالغات، وتفتقر كثيرا إلى الدقة والتحديد، فضلا عن عدم تنزهها عن الهوى.

وكان شاهد عيان لكثير من الأحداث، لكن معلوماته عن برغواطة يجب أن تؤخذ بحذر وحيطة شديدين، لأنه وهو الشيعي الذي زار المغرب إبّان سلطة الدولة الفاطمية الشيعية الإسماعيلية - عدو برغواطة اللدود- ما كان بوسعه أن يتحرر من عامل التعصب المذهبي.

يضاف إلى ذلك، أنه لم يكن شاهد عيان لأحداث العقد الثالث من القرن الثاني الهجري التي تشكل خلالها مذهب البرغواطيين، بل المؤكد أنه استمد معلوماته من هذا الصدد سماعا وإن كان قدر له زيارة ديار برغواطة، فقد زارها خلال العقد الخامس من القرن الرابع، يفهم ذلك من قوله عن وجوده بسجلماسة عام (340هـ /951م) لذلك فمعلومات ابن حوقل عن عقيدة البرغواطيين تنقسم إلى قسمين، ما سمعه من أخبار البرغواطيين الأوائل وادعائهم النبوة، ويؤخذ بتحفظ شديد، ثم ما رآه وعاينه من حياة

[131] مغربيات ص 43.

البرغواطيين وتقاليدهم وشمائلهم وأخلاقهم والثقة فيه أكثر[132]. وهذه الفقرة تؤكد كلمة **الحظ بالحاء المهملة** وليس بالمعجمة.

ياحبذا لو سار المؤلف على منوال الفقرتين المذكورتين، فقد أبرز في نقده ما ينبغي أن يبرز، ومن ذلك (صالح بن عبد الله) بدلا من صالح بن طريف، ومن تبعه من التّرك والتقديم والتأخير وما ألصقه ابن حوقل ببرغواطة من تناقضات تارة إباحة اللذات، وطورا تجنب الكثير من الحرام والمحظورات من الآثام، وهناك أبوغفير بالغين المعجمة وليس بالمهملة، وكذلك الخفير بالخاء المعجمة وليس بالمهملة ليقرأ بالحقير مما يجعل كتابة الأمازيغية بالحرف العربي (الأرامي) غير مقبول.مع العلم أنه استعمله بعض الفقهاء لكنهم لم يستطيعوا أن يميزوا بين الحرف والفعل والاسم في الأمازيغية، فكانوا يدمجون كل شيء في سلسة من الحروف تنفر القارئ.

والحق أن الأستاذ الدكتور محمود إسماعيل يستحق كل تقدير، سواء قصد أو لم يقصد، فيجب الاعتراف بتفتح فكره وبشجاعته في ظروف سكت فيها كثير من أقلام المؤرخين المغاربة وهم يعرفون الحقيقة، وكاتم الشهادة جزاؤه آثم قلبه.

ولا بأس باستعراض وبشكل مختصر الموافقات والمفارقات الواردة فيما لا حظناه من كتابات من تعرض لبرغواطة من ألسنة حداد أشحة على الخير إلا من رحم ربك "والحي قد يغلب ألف ميت كما قال ابن معطي الأمازيغي "لابن مالك الأندلسي".

"وفي آخر دولة الأدارسة بفاس ظهر في غمارة حاميم المتنبئ (ما بين 313- 315هـ / 925- 927م) وهو شخص بربري (أمازيغي) أنشأ دينا وقرآنا، وشرع صوم يومي **الأربعاء والخميس**، (مثل القرامطة في عيدين للفرس) وأبطل الحج مثل القرامطة كذلك،(قرمط يحجّ القدس) وسن صلاتين في اليوم (قرمط نفس العدد)، وكانت الطقوس على ما رواه البكري تؤدّى باسمه وباسم أخيه ووالده وعمته الكاهنة، كما كانت له أخت تدعى بدبُّو، وهي أيضا ساحرة وكاهنة، وحتى بعد وفاة حاميم سنة 315هـ /830 م استمر انتحال السحر في أسرته وقد استقبل الناصر ولده عيسى في قرطبة"[133].

[132] مغربيات ص 44.
[133] د إبراهيم حركات ص 121.

وعند ابن خلدون[134] "وقد عجز الأدارسة عن إخضاع البورغواطيين الذين استمرت دولتهم حوالي أربعة قرون، وامتد نفوذهم من أبي رقراق إلى أسفي، وحتى جيوش المنصور بن أبي عامر لم تستطع اقتحام بلادهم، ولا إخضاعهم لنفوذ الأمويين، واستمروا يؤدون طقوسهم الغريبة في حرية تامة.

يمتنعون عن أكل البيض ولا يتناولون رأس السمك، ولا لحم الديك، ويصومون يوم **الخميس** من كل أسبوع، ويصلون عشر صلوات في اليوم، وعاملوا بقسوة قطاع الطرق، واللصوص، كما أخضعوا لسلطتهم القبائل الإسلامية المجاورة لهم"[135].

سعيد بن هشام المصمودي يخاطب البورغواطيين في وقعة بهت (واد بجهة مكناسة الزيتون) التي قتل فيها عدد كبير من البربر، أورد هذه القصيدة ابن عذاري وهي تقليد لمعلقة عمرو بن كلثوم ،وزنا وقافية :وفي رواية أخرى أن قتلهم في وادي أبي رقراق عندما لجؤوا إلى حكام فاس هربا من هجوم المرابطين، لكن أولئك انتهزوا الفرصة فقضوا عليهم، لكن كل ذلك لا يخلو من المبالغة. ومن إسناد الأفعال إلى غير أهلها، كما سجلنا، ونكتفي بنص القصيدة المسجل سابقا.دون إعادتها هنا.

ملاحظات حول ما رواه البكري في عدد أبيات هذه القصيدة وهي عشرة (البكري ص 138) وما رواه ابن خلدون تسعة[136]، وما نقله حركات إبراهيم سبعة[137]. هذا فيما يخص عدد الأبيات فقط، أما غير ذلك فهناك الكثير، فكلمة " فلوْمُ بيْتٍ" صار يوم بهْت، "وهنّ الباكيات" صار فبين ثكلى، وهكذا في أبيات تكفي مراجعتها كشاهد على أن كل ما أورده المؤلفون لا يخلو من الخلاف والخطأ والشك. ويقول شاعر سكن بين البربر في وادي ورغة سماهم أعاجم ويتنقصهم لجهلهم العربية ! وكان عليه أن يهجو نفسه كلاجئ عند قوم لا يعرف لغتهم فصار ينادي أهل المدينة ليعربوهم.

ألا هل أتى أهل المدينة أنني * بورغة بين الأعجمين غريب

إذا قلت شيئا قيل ماذا تريده * لهم بين أحرار الوجوه قطوب

[134] ابن خلدون ج 6 ص 313.
[135] د إبراهيم حركات ص 119.
[136] ابن خلدون ج 6 ص 207.
[137] حركات ص 140.

وبمثل هذه الأبيات يتهم الأمازيغ بالجهل في وطنهم، دون أن يقلب هذا الشاعر الآية، فيفرض نفسه أمازيغيا طوحت به طوائح الزمان، إلى نجد أو تهامة، وهو يلتمس **تاڭميمْت نـ وامان** أي شربة ماء، فهل يستغيث بدوره بأهل مراكش ليمزّغوا الثلث الخالي في جزيرة العرب؟ وقديما قيل:

"وإن النار بالعودين تذكى* وإن الحرب أولها الكلام"

وقعت حروب عنيفة بين المرابطين والبورغواطيين هلك فيها خلق كثير، ومن بينهم عبد الله بن ياسين الجزولي سنة 451هـ /1049م ودفن بگريفلة (بين الرماني وابن سليمان) وأثخن أبو بكر في البورغواطيين قتلا وتشريدا حتى أعادهم إلى الإسلام[138]، وهذا ما سجلوه لمولى إدريس الأكبر؟ وفي ذلك كله نظر؟ ولاحظ ما يأتي :

وقد حارب البورغواطيين - بعد القضاء المزعوم - عبدُ المؤمن من الموحدين فاستنصر هؤلاء بيحيى بن أبي بكر الصحراوي عامل المرابطين في سبتة، فهزموا عبد المؤمن ثم حاربهم بعد أن جيش المغرب كله من جديد وأخضعهم، بينما فر الصحراوي إلى سوس، "وفي عرف أيت باعمران المسجل انتماؤهم إليه".

"أخبر أبو صالح زمّور بن موسى بن هشام بن واردیزن البورغواطي، وكان صاحب صِلاتهم حين قدم على الحكم المستنصر رسولا من قبل صاحب بورغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن صالح بن طريف، وكان وصوله إلى قرطبة في شوال سنة 352هـ / 963 م وأوصى ألا يظهر ذلك.

وكان المترجم عنه بجميع ما أخبر به الرسول الذي قدم معه وهو أبو موسى عيسى بن داود بن عشرين السطاسي من أهل شالة مسلم من بيت خيرون بن خير فأخبر زمّور: أن طريف أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق، وأنه كان من أصحاب ميسرة المطغري (المدغري أو المضغري) المعروف بالخفير (المجير والحامي) ومغروز بن طالوت والي طريف (جزيرة طريفة) بالأندلس.

[138] د إبراهيم حركات ص 171.

فلما قتل ميسرة وافترق أصحابه احتل طريف ببلد تامسنا، وكان إذ ذاك ملكا لزناتة وزواغة، فقدمه البربر على أنفسهم، وولي أمرهم، وكان على ديانة الإسلام، إلى أن هلك هنالك، وتخلف من الولد أربعة، فقدم البربر ابنه صالح منهم.

قال زمّور: وكان موت صالح بعد موت النبييء (ص) بمائة عام سواء، قال: وحضر مع أبيه حروب ميسرة الخفير، وهو صغير، قال: وكان من أهل العلم والخير فتنبأ فيهم وشرع لهم الديانة التي هم عليها إلى اليوم، وادعى أنه نزل عليه قرآنهم الذي يقرأونه إلى اليوم.(وفكرة النزول هذه عادية عند الكهّان والسحرة والمتمهديين والمستكشفين والمنجمين حتى قالوا إن لكل شاعر شيطانه يوحي إليه) وكلمة النزول يقصد بها الهبوط إذ ليس في الكون أعلى ولا أسفل.

قال زمّور: وهو صالح المؤمنين الذي ذكره الله في قرآن محمد عليه السلام في سورة التحريم، وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته وعلمه شرائعه وفقهه في دينه وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي وأمن فإنه يدعو إلى ملّته ويقتل حينئذ من خالفه وأمره بموالاة أمير الأندلس، (فتحت الأندلس عام 92هـ /710م وكان طريف من البعثة التي أرسلت لاستكشاف أمر القوط، ونلاحظ هنا الفرق الزمني بين الأحداث عبر قرون برغواطة، لذلك تتكرر الروايات.

وخرج صالح إلى المشرق ووعد أنه ينصرف إليهم في دولة السابع في ملوكهم وزعم أنه المهدي الأكبر، الذي يخرج في آخر الزمان، ليقاتل الدجال، وأن عيسى بن مريم يكون من أصحابه ويصلّي خلفه، وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، وقد تكرر هذا الوعد بلا إنجاز.

وأن اسمه في العربي صالح، وفي السرياني مالك، وفي العجمي عالم، وفي العبراني وَرْيـا، وفي البربرية وَرْياوْرى: أي الذي ليس بعده شيء.(خاتم الأنبياء)؟! فهل العجمي هو الفرس؟.

فتولّى الحكم إلياس بن صالح بعد خروج ابنه وهو يخفي هذه الديانات، مظهرا الإسلام لمدة خمسين سنة (50) وذلك شبه تقليد " حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة" ثم تولّى ابنه يونس الذي أظهر هذا الدين وقتل من خالفه حتى أخلى (387) مدينة (قال

الكانوني (300) ما بين شالة وماسة ويقصد بها في جنوب أگادير, وليست جهة تانسيفت لا حظ هذا الامتداد ؟).

قال زمّور: ورحل يونس إلى المشرق وحج ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده، ومات يونس بن إلياس بعد أن ملك أربعا وأربعين سنة (عن ليفي بروفنسال بتصرف في كتاب نخب تاريخية وعن البكري في المسالك والممالك).

قال الكانوني: "رأيْت بخط صاحبنا مؤرخ العدوتين ابن عبد الله محمد بن علي الدكالي السلاوي حفظه الله أن عمارة ذلك الثغر، يعني آسفي (أصلا تاسيفيوين ج تاسيفت كما كتبها البرتغال) كانت معروفة في عهد الفتح الإسلامي ولما طرأت الطائفة الضالة البورغواطية على النواحي الحوزية، وكان رئيسها صالح بن طريف اليهودي الأصل، كان من الفساد الذي طرأ على المغرب على أيديهم، أن خربوا ثلاثة مائة مدينة من مدنه من جملتها ثغر آسفي، وذلك في المائة الثالثة من الهجرة، ثم أدال الله الدولة للإسلام، واستخلصوا ما كان بأيديهم على يد ملوك مغراوة ولمتونة، وذلك صدر المائة الخامسة من الهجرة، فرجع الثغر إلى حوزة الإسلام..ثم استرجع المرابطون آسفي واستخلصوه من البرغواطيين فعمروه وانتعشت به العمارة شيئا فشيئا حتى إنه كان لا تقام به جمعة ولا سور له في دولتهم[139].

ثم قال: وكان ظهور برغواطة سنة 124هـ /741م في دولة هشام بن عبد الملك، وقيل قبل ذلك محاكاة للنبيء (ص)وكان انقراضهم بغرة صدر المائة الخامسة من الهجرة، ودامت دولتهم (454 سنة) خلافة لمن سجل إلى سنة 461هـ.

وفيما يخص ميسرة المدغري: قال ابن عذاري: في البيان المغرب: "وفي سنة 122هـ /739م كانت ثورة البربر بالمغرب، فخرج ميسرة المدغري وقام على عمر بن عبد الله (عبيد) المرادي بطنجة فقتله، وثارت البربر كلها مع أميرهم ميسرة الخفير، ثم زحف إلى سوس، وقتل إسماعيل بن عبد الله الحبحابي، وكان في المغرب حينئذ قوم ظهرت فيهم دعوة للخوارج، ولهم عدد كبير وشوكة وهم بورغواطية إلى أن قال: وسبب ثورة البربر أن كان الخلفاء بالمشرق يستحبون طرائف المغرب، ويبعثون فيها إلى عامل أفريقية (تونس) فيبعثون لهم البربريات المسبيات، فلما أفضى الأمر إلى ابن

[139] كتاب آسفي وما إليه للكانوني ص 78.

الحبحاب منّاهم بالكثير، وتكلف لهم أو كلفوه أكثر مما كان، فاضطر إلى التعسف وسوء السيرة".

كانت ثورة ميسرة المدغري شاملة وذلك سنة 121هـ فاقتدى به ثوار المغرب الأوسط والأدنى. فعمت سائر شمال أفريقيا[140]. وكانت انتصارات ميسرة نتيجة إعداد وتخطيط، فكانت جيوشه تهاجم معاقل العرب في وقت واحد، كما نجح خلفه خالد بن حميد الزناتي في تطويق الجيش العربي رغم ضخامته وإيقاعه في كمين البربر[141]. ومن زعماء الأمازيغ الثوار الزعيم ميسرة من قبيلة مدغرة، وخالد بن حميد من زناتة، وعكاشة بن أيوب من نفزاوة، وعبد الواحد من هوارة، وعاصم بن جميل من ورفجومة، وأبو قرة من مغيلة[142].

ومن الثورات التي اجتثت جيوش الشرق من وطن الأمازيغ، الثورة الأولى في طنجة فامتدت إلى الأندلس، ثم انتشرت على طول الطريق من طنجة إلى القيروان، ثم معركة الأشراف على وادي شلف بالجزائر، ثم معركة وادي سبو بسهل الغرب، ثم معركةعلى مشارف القيروان، وختمت بمعركة بنواحي طرابلس بليبيا. وكلها ما بين سنة 125إلى 135هـ[143].

دولة برغواطة عن ابن الرقيق[144]: "وكان ميسرة قد تسمّى بالخلافة وبويع عليها.." ومن نخب تاريخية ليفي بروفنسال عن ابن عذاري.(كثيرا ما آخذ الشرقيون على الأمازيغ عدم تسمية ملوكهم بأمير المؤمنين واكتفوا بأمير المسلمين مثل يوسف بن تاشفين، مع أن ما أخذ به أعم، كما أن ميسرة تسمى بالخليفة ولم تظهر إمارة المؤمنين إلا على يد عمر بن الخطاب، فكيف يتهمون من تسمى بالخليفة بالكفر؟ "ولم يكن لدى الأمازيغ مشكل مع الإسلام، ولكن وقعت لهم مشاكل مع الأشخاص والصراع المفتعل بين اللغة العربية واللغة الأمازيغية، فإذا كان الخط الأمازيغي حل محله الخط الأرامي فإن اللغة الأمازيغية تفوقت في المجتمع شفويا، وبمرور الزمان استعملت اللغة الأمازيغية بحرف عربي لا يساهم في تطورها، ومع ذلك استمرت إلى

[140] ابن عذاري ج 1 ص 88.
[141] ابن الأثير ج 5 ص 69.
[142] الخوارج في بلاد المغرب محمود إسماعيل ص 102.
[143] الخوارج في بلاد المغرب محمود إسماعيل ص 104.
[144] دولة برغواطة عن ابن الرقيق ص16.

أن كتب الدكتور عابد الجبري **"يجب قتل البربرية"** ومعنى ذلك قتل البربر المتكلمين بلغتهم، مرت صراعات بين العرب والأمازيغ، حسب فترات تاريخية، فكم من دول أو ولاية أمازيغية قامت على الإسلام ودافعت عنه، ومنها ما وقع بينها وبين العرب من حروب منها مثلا الدولة البورغواطية التي كانت إسلامية متبنية المذهب الخارجي، ورفضت بشدة التبعية للشرق وللفكر الأموي، ولم ترفض الإسلام. وليس هناك أي دليل على أنها تعربت.

الإسلام غير مرتبط بالعروبة، الإسلام دين العالمين، والعربية لغة أهلها، وكون القرآن نزل على العرب وبلغتهم لا يعني أن لهم ميزة على غيرهم، بل بالعكس هم الذين حاربوه، إذ تقوى الله هي المقياس"[145].

"وبجوار بلد نكور بلد غمارة، فمنه مجكسة بذلك الصقع، أبو محمد حاميم بن منّ الله بن حَريز عمرو بن وجفوال بن وازروال الملقب بالمفتري، وببلد مجكسة جبل حاميم المنسوب إليه، وهو على مقربة من مدينة تيطاوان (عام 313هـ / 925م) وأجابه بشر كثير أقروا بنبوته، وجعل لهم الصلاة صلاتين عند طلوع الشمس وعند غروبها يسجدون على بطون أكفهم، وشرّع لهم الشرائع والديانات من العبادات والأحكام، ووضع لهم قرآنا بلسانهم، فمما ترجم منه بعد تهليل يهللونه: **"يا من يخلّي البصر ينظر في الدنيا، خلّني من الذنوب، يا من أخرج موسى من البحر ومنه، آمنت بحاميم وبأبي أبي خلف،منّ الله - يريدون أبا حاميم وكذلك كان يكنّى - وآمن رأسي وعقلي وما يكنّه صدري وأحاط به دمي ولحمي، وآمنت بتابعيت،عمة حاميم أخت أبي خلف منّ الله"** وكانت كاهنة ساحرة، إلى غير هذا، وكانت لحميم الملقب بالمفتري أيضا أخت تسمّى دجّو، وكانت ساحرة كاهنة من أجمل الناس، وكانوا يستغيثون إليها في الحرب والضيق والقحوط - قتل في حرب مصمودة بأحواز طنجة سنة 315هـ - ويزعمون أنهم يجدون نفعها وفرض عليهم صوم يوم الخميس كله وصوم يوم الأربعاء إلى الظهر، فمن أكل فيهما غرم خمسة أثوار لحاميم ووضع لجميعهم صوم سبعة وعشرين يوما من رمضان وأبقى فرض صوم ثلاثة أيام والفطر الرابع وجعل عيدهم في الثاني من الفطر، وفرض زكاتهم العشر من كل شيء، وأسقط عنهم **الحج، والطهر والوضوء**، وأحل لهم أكل لحم الخنزير وقال: إنما حُرّم ذكورها

[145] خالد العثماني جريدة التجديد 31 أكتوبر 2009م.

وذلك في قرآن محمد (ص) وحرم عليهم الحوت حتى يذكى، وحرم عليهم البيض من جميع الطير "[146]، وقد تعرض النص أعلاه لكثير من الخلط أضفنا إليه ما صح في غيره.

ويوضح النص المذكور عند البكري الذي نقلوا عنه أن الصوم عند برغواطة في شهر رمضان، وليس في رجب،وأن عدد أيامه سبعة وعشرون يوما وبعد الفطر ثلاثة أيام، ورفع الزكاة إلى العشر، وعند البعض أسقط الطهارة والوضوء بينما يتهمهم الآخرون بالمبالغة في الوضوء في غسل السرة والذراعين إلى الركبتين، فما هذه الاختلافات؟ فما احتمل واحتمل، سقط به الاستدلال.والغاية هي تكفير برغواطة بجميع الأدلة .وهذا المدحجي يهجوا حاميم ويذكر فسقه:

وقالوا افتراء إن حاميم مرسل * إليهم بدين واضح الحق باهر

فقلت كذبتم بدد الله شملكم * فما هو إلا عاهر وابن عاهر

فإن كا حاميم رسولا فإنني * بإرسال حاميم لإول كافر

رووا عن عجوز ذات إفك فهيمة * تفاوق في أسحارها كل ساحر

أحاديث إفك حاك إبليس نسجها* يسرونها والله مبدي السرائر

وقتل حاميم المفتري بمصمودة الساحل من أحواز طنجة سنة خمس عشرة وثلاث مائة[147] ترجمة النص المذكور: **[وا غوالّي يفسّين غ نبكّاضن أر يتّجّا يژري أر يتمناد غ دّونيت، أيوا فسيّ غ نبكّاضن أغوالّي د يسّوفغن موسا غ وگرّوال، سول د گيس، هانّ نگّي فولسغ سـ حاميم د باباس أبي خالاف لّي يگان مانّا اللاّه، هانّ يفولس يخف ينو، د ونلّي نو، د كرا يحضا وّل ينو، د كرا نتّوسكارن غ يدامّن ينو د تفيّ نو، غيكلّي فلسغ سـ تابعيت تانتّايْت نـ حاميم وّلتماس نـ أبي خالاف مانّا الاّه].**

نستفيد من ابن خلدون أن معظم المغرب كان في عهد قوة برغواطة خاضعا لهم، وأنهم من قبيلة مصمودة، وأنها كانت في عهد مدها تمتد من أقصى شمال المغرب إلى أقصى جنوبه، وأنها معروفة بعدد من تنبأ فيها من ذكور وإناث، وأشار إلى تضلعهم في السحر والكهانة وخاصة نساءهم، وأن ما روي من قرآنهم دالّ لا يخلو من بلاغة

[146] البكري ص 100.
[147] البكري ص 101.

رغم أن ما وصلنا منه ما هو إلا ترجمة بالعربية لا نعرف ما مدى صحة مطابقتها بالأصل الأمازيغي. والدليل على ذلك الاختلافات الواردة فيما أوردناه مما ذكرناه من الاختلافات في الروايات إلى حد تشويه لا مبرر له.

"وكذلك تنبأ منهم بعد ذلك عاصم بن جميل البُرذعوي المذكور، وله أخبار مأثورة، وما زالوا يفعلون السحر لهذا العهد .وأن أكثر منتحلي السحر منهم النساء العواتق، قال ولهم علم استجلاب روحانية ما يشاءونه من الكواكب، فإذا استولوا عليه وتكنفوا بتلك الروحانية تصرفوا منها في الأكوان بما شاءوا والله أعلم"[148].

دولة برغواطة عن ابن عذاري:

"كان عبد الله بن ياسين (الجزولي) قد دخل بلاد الأندلس في دولة ملوك الطوائف،فأقام بها سبعة أعوام، وحصل فيها على علوم كثيرة، ثم رجع إلى المغرب الأقصى، فمر بتامسنا فوجد فيها أمما لا تحصى، أكثرهم تحت أمراء البرغواطية، وكان عسكر أمراء برغواطة أكثر من ثلاثة آلاف، وانضاف إليهم من سائر القبائل، ما بين فارس وراجل، أزيد من عشرين ألفا، من جراوة وزغاوة (وزواغة) ومطغرة والبرانس ورگونة وغيرها.

وكان أهل المغرب يتولون أمور بلادهم، وأمراؤهم يتولون الإمارة بينهم، إلى أن تغلب كل شخص منهم على موضعه، كما فعل ملوك طوائف الأندلس، وذلك لتدخل القيسية والبكرية في الأندلس، كما تسربت الأحزاب الشرقية الشيعية والخوارج إلى المغرب، ولذلك لما مرّ عبد الله بن ياسين ببلاد المصامدة بعد منصرفه من الأندلس، وجدهم يغير بعضهم على بعض، يغنمون الأموال، ويقتلون الرجال، ويسبون الحريم، ولا يرجعون إلى طاعة إمام، فكان من عبد الله بن ياسين،بعض الإلهام أن قال لبعضهم: "ألا تعرفون الله ربكم؟ ومحمدا رسولكم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام؟" فقالوا له: " بلى، عرفنا الله ربنا، ومحمدا نبينا" ـ صلى الله عليه وسلم، ـ فقال لهم عبد الله: "فما لكم بدلتم وغيرتم؟ هلاّ قدمتم عليكم إماما يحكم بينكم بشريعة الإسلام وبسنة النبي عليه السلام؟" وهذا النص يدل على إسلامهم وإنما عاب عليهم التقاتل.

[148] ابن خلدون ج 6 ص 216.

فقال له بعض أشياخ المصامدة: " لا يرضى أحد منا ينقاد إلى حكم أحد من غير قبيله، "فتركهم ورحل عنهم إلى بلاد جزولة، فكان من أمره **مع يحيى** بن إبراهيم، وجدالة (گودالة) ما تقدم ذكره...[149]. لاحظ غياب علاقته بواكّاكّ.

وعندما استولى الأمير أبوبكر اللمتوني على سجلماسة ودرعة "**انصرف** أبو محمد عبد الله بن ياسين عنه إلى بلاد المصامدة وغيرها حيث تذكر ما عاينه من تلك القبائل وأحوالهم، فخرج من سجلماسة قاصدا إلى أغمات، فاجتمع مع وريكة وهيلانة وهزميرة، وطاف على قبائل المصامدة وقبائل بلاد تامسنا، فوجدهم على ما كان تركهم من الفتنة آنفاً (سابقا)".

فقال لهم: "ألا تعرفون أنه من مات منكم في هذه الحروب الجاهلية فإنه من أهل النار؟" فوعظهم وقال لهم:اتقوا الله وارتدعوا عما أنتم عليه، من فتنتكم وقدموا على أنفسكم من يؤلفكم " فقالوا له : "ما هو فينا ...ولا في قبائلنا إلا كل قبيلة منا ترى أن يكون الأمير منها " فقال لهم: "إن أنتم سمعتم مني أدلكم على رأي صالح يصلح الله به أحوالكم: هذا أمير لمتونة الصحراء أهل الزهد والورع - و قد كانوا سمعوا به - وما أصلح الله من البلاد على يديه "فانعموا له [وأخذ] عليهم العهد والمواثيق بذلك.ولكن لماذا جعلهم فيئا للمرابطين؟ وهذا ينافي العهد والميثاق بين برغواطة وبين الفقيه عبد الله هذا !.

ثم رحل عنهم ورجع إلى سجلماسة فتلقاه الأمير أبو بكر بن عمر على مسيرة يوم منها وسر بقدومه عليه .فبشره عبد الله بن ياسين ،بما أفاء الله له على يديه، فشكره الأمير أبو بكر على ذلك ودعا له بامتداد عمره، فقال له أبو محمدعبد الله :تأهب للحركة إليهم وقدومك المبارك إليهم، فأخذ في غد ذلك اليوم في حركته، وولى على سجلماسة أحد إخوانه مع جمع وافر من لمتونة، وخرج من سجلماسة في السابع عشر لربيع الآخر من السنة خمسين المذكورة (450هـ / 1058م).

[149] البيان المغرب ج 4 ص 10.

وذلك في عسكر فيه أربع مائة فارس، وثمان مائة راكب على النجب (الجمال) وألف راجل، وكان وصولهم إلى أغمات وريكة في الثاني لجمادى الأولى من السنة (450هـ / 1058م) فتلقتهم بعض أشياخ قبائل المصامدة على مرحلتين من أغمات، فاحتل الأمير أبو بكر أغمات، واستوكن مع إمامه عبد الله بن ياسين، فبايعه بعض القبائل بها.

ثم وفدت عليه وفودها فبايعوه، وأقام بأغمات مع إمامه مدة من ستة أشهر، فلما كان أول شهر ذي القعدة من العام المؤرخ (450هـ / 1058م) انصرف عنه إمامه أبو محمد إلى بلاد تامسنا ،فقتله برغواطة في أوائل سنة إحدى وخمسين وأربع مائة (451هـ / 1059م) (وهذا غير صحيح ألبتة) وقد اختلط مسار التاريخ ما بين إمير يحيى وأبي عمران إلى واكّاكّ إلى برغواطة.

وقال بعض المؤرخين : لدولتهم أنه توجه إلى بلاد السوس (سوس) ليصلح بين إخوته جدولة في فتنة فأصابه مرض فقضى نحبه، ووصل نعيه إلى أغمات، وأما ما صح عنه فإنه قتله برغواطة كما تقدم ذكره .ولم يقتل عبد الله بن ياسين حتى استولى على سجلماسة وأعمالها وأغمات وبلاد السوس وغيرها.

ولما مات ابن ياسين، وقتله برغواطة كان الأمير أبو بكر بن عمر قد تولى أمر صنهاجة وغيرها وطاعت له قبائل المصامدة بأسرها، فقام معهم لقتال برغواطة على أخذ الثأر منهم[150]، ثم ذكر الملثمين. وأول من جمعهم وحرضهم على القتال وأطمعهم في تلك البلاد عبد الله بن ياسين الفقيه، وقتل في حرب جرت مع برغواطة[151].

ويفهم من الرواية السابقة انطلاقة المرابطين من سجلماسة إلى أغمات مباشرة، فكيف يمر هذا الجيش كله دون معارضة مجتمع سوس بكامله والبجلية بتارودانت ؟ فما أورده الناصري أقرب إلى المقبول في تقدم المرابطين إذ قال: "ثم انتهى أبو بكر إلى بلاد السوس، فغزا جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة وتارودانت قاعدة بلاد السوس ..ففتحوا معاقل السوس ففتح جبل درن وبلاد رودنة ومدينة شفشاوة ومدينة نفيس وسائر بلاد كُدميوة ووفدت عليه قبائل رگراگة وحاحة فبايعوه ثم ارتحل إلى مدينة أغمات[152].

[150] البيان المغرب ج 4 ص 16.
[151] البيان ج4 ص 128.
[152] الاستقصا ج 2 ص 14.

ومن حقنا أن نشك في انطلاقة المرابطين مباشرة إلى أغمات إلا بعد أن آمنوا من خط الرجعة، كما نشك في تحقيق كل هذه الانتصارات، وخاصة إخضاع جبال الجزولة ودرن وحاحة ومن ثم ننبه إلى ما ورد في نص ابن عذاري في النقط الآتية :

1- قدمت قوة المرابطين من سجلماسة على نية محاربة برغواطة، وعدد قوتها 2200 محارب أربع مائة فارس وثمانمائة جمّال وألف راجل، بينما قوة برغواطة 23 ألف محارب وثلاثة آلاف فارس وعشرون ألف راجل، كيف يمكن لهذه العدة المرابطية أن تقضي على قوة برغواطة في هذا المجال الشاسع مما يدل على مبالغة خصوم برغواطة المستمرة في الوجود حتى بعد المرابطين وحروبهم مع الموحدين.

2- برغواطة كانوا مسلمين بشهادة عبد الله بن ياسين نفسه الذي قال لهم : "ألا تعرفون ربكم ومحمدا رسولكم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام؟" فقالوا له: "بلى عرفنا الله ربنا، ومحمدا نبينا" وهذه شهادة بأن برغواطة في هذا العهد مسلمة، فكيف يصح للفقيه السوسي عبد الله بن ياسين أن يفتي بأنهم **فيء** للمرابطين مع ما عقد معهم من الميثاق والعهود؟.

3- ورحل ابن ياسين عن برغواطة إلى بلاد جدولة، فكان من أمره مع يحيى. نعم هناك مرور عبد الله بن ياسين على برغواطة عند رجوعه من الأندلس، ثم التحق بجزولة (جدولة) فمرض ومات؟ وهناك ثم ذكر رجوعه إلى برغواطة مرة أخرى ودلهم على أهل الزهد والورع، مع أن برغواطة تبالغ في الزهد والورع والصوم وعدد الصلوات، ثم فارقهم واتصل بالأمير أبوبكر في سجلماسة وشجعه على غزو برغواطة "بما أفاء الله له على يده" !؟ وفي رواية أخرى على يديه[153]

4- ولما احتل أبو بكر أغمات انصرف عنه إمامه أبو محمد إلى بلاد تامسنا ،فقتله برغواطة وهذا خلط لا نعرف أسبابه من ابن عذاري."والمعتمد المنطقي أن ابن ياسين لم يفارق قوة المرابطين انطلاقا من الصحراء إلى سجلماسة إلى أغمات إلى أن قتل في معركة كُريفلة" وهذا هو المعتمد وقبره شاهد هناك على ذلك.

[153] البيان المغرب ج 4 ص15.

5- وهناك اختلاف في موت عبد الله بن ياسين منه أنه أرسل من أغمات كأنه من بين رسل المرابطين إلى برغواطة في مدينة أنفا فقتلوهم. والصحيح أنه مقتول في معركة كُريفلة بين الرماني وابن سليمان. وقبره المتواضع هناك إذا صحت هذه الرواية.

6- وأخيرا نفهم من كل ما ذكر إنكار دور كل من الأمير الصحراوي يحيى بن إبراهيم الكُودالي وتوجيهات أبي عمران الفاسي، ومكانة الشيخ واكّاك بن زالو اللمطي والمراسلة بين الشيخين، وبالتالي دور عبد الله بن ياسين في تكوين النواة الأساسية لدولة المرابطين في عهد لا يقل فيه المغرب انفصاما عن أندلس ملوك الطوائف، وقد لخص ابن خلدون أولية برغواطة بقوله : "كان لهم في صدر الإسلام التقدم والكثرة وكانوا شيخا وشيعا مفترقين"[154].

دولة برغواطة عن كتاب القرطاس : قال صاحب القرطاس[155] "الخبر عن دولة الأمير تميم اليفرني بمدينة فاس وأعمالها وهي الدولة الأولى له بها:

هو الأمير أبو الكمال تميم بن زيري بن **يعلا** الزناتي ثم اليفرني أمير بني يفرن كلها في وقته، ملك مدينة فاس بعد هروب حمامة عنها وهزيمته، وذلك في شهر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وأربعمائة (424هـ /1033م) فأوقع فيها باليهود،فقتل منهم خلقا كثيرا يزيد على الستة آلاف يهودي! (6000) وأخذ أموالهم وسبى نساءهم، وكان تميم اليفرني رجلا مُصَمِّماً في دينه الغالب عليه الجهل، وكان مولعا بجهاد برغواطة، وكان يغزوهم في كل سنة مرتين، فيقتل منهم ويسبي، فلم يزل على ذلك إلى أن مات في سنة (448هـ /1036م).

فلما كانت سنة اثنتين وستين وأربعمائة (462هـ / 1069م) وقتل ولدُه في حرب لمتونة أتوا به ليدفنوه إلى جانب قبر أبيه (أبي) تميم ،**فسمعوا من قبره تكبيرا عظيما وتشهدا**، فنبشوا قبره فوجدوه لم يتغير منه شيء، فرآه بعض **قرابته في النوم** تلك الليلة وقال له: ما ذلك التسبيح والتكبير والتشهد الذي سمعنا من قبرك؟

قال: ملائكة وكّلهم الله تعالى بقبري يكبّرون ويهلّلون ويسبّحون ويكون أجر ذلك لي فلا يُقطع لي عمل إلى يوم القيامة، قال له: وبم نلت ذلك ؟ وبلغت من الله تعالى هذه

[154] ابن خلدون ج 6 ص 207.
[155] صاحب القرطاس ص 138.

المنزلة حتى أكرمك هذه الكرامة؟ قال: **بجهادي في الكفرة برغواطة** وفِعْلي فيهم في كل سنة[156].

لاحظ هنا شدة العداوة لدولة برغواطة، ولاحظ خرافة تهليل وتسبيح الملائكة في القبر، ولاحظ رؤية الميت في القبر وبقاء جثته بعد عدة شهور أو سنة، ونفس القصة ذكرت فيما بعد في عهد المرينيين عند البحث عن قبر مولاي إدريس الثاني، وأصل ذلك كله مأخوذ من أن الأنبياء لا يأكل الدود لحومهم، ويستدلون على ذلك **بمِنْسأة سليمان** وبقراءتي ابن عباس وابن مسعود، وبما أن الأمير تميم اليفراني اشتط في قتل اليهود بفاس وبغزو برغواطة أسقطوا عليه ما ذكر، وكم نبهنا إلى نشر هذا النوع من ثقافة الشرق وفي المغرب.

ويكفينا أن نفهم ونُفهِّم من هذا كيف كان الساسة يلعبون بعقول الدهماء، ولا عجب فذلك مستوى الشعب في زناتة، فلا لوم إذن بما سيفعله المهدي بن تومرت بالمصامدة في قضية التمييز و في دفن الأحياء في القبور أحياء ليشهدوا أمام الشهود بأنه المهدي المنتظر!.

ثم أضاف صاحب القرطاس: "وفي سنة إحدى وخمسين وأربعمائة (451هـ / 1049م) قتل الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي مهدي لمتونة، قتله مجوس برغواطة فمات شهيدا"[157]. هذا إذا كان يقصد قتله في معركة كُريفلة وليس كمرسول إلى أنفا.

ثم قال: "ودخل المرابطون مدينة أغمات، وذلك في سنة تسع وأربعين وأربعمائة(449 / 1057م) فأقام عبد الله بن ياسين بمدينة أغمات نحو الشهرين، وفي البيان نحو ستة أشهر[158]، حتى استراح المرابطون، ثم خرج بهم إلى غزو تادلة ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ملوكها، وظفر بلقوط المغراوي "أمير أغمات وهو زوج زينب النفزاوية" فقتله، ثم سار إلى بلاد تامسنا ففتحها، فأخبر أن بساحلها قبائل برغواطة في عدد عظيم، وأنهم مجوس كفار[159]. كيف تأخر هذا الخبر الذي يلغي كل ما ذكره عبد الله بن ياسين قبل ذلك؟.

---

[156] القرطاس ص 138.
[157] القرطاس ص 150.
[158] القرطاس ص 128.
[159] القرطاس ص 164.

ثم قال: "وأخبر بديانتهم الخسيسة التي تمسكوا بها، وقيل له: إن برغواطة قبائل كثيرة، ليس لهم أب واحد وأمٌ واحدة، وإنما هم أخلاط من قبائل شتى، من البربر، اجتمعوا إلى صالح بن طريف، القائم بتامسنا، حين ادعى النبوة، في أيام هشام بن عبد الملك بن مروان.وكان أصله ـ لعنه الله ـ من بربط !؟ (في بعض النسخ برناط) حصن من عمل شذونة من بلاد الأندلس، فكان يقال لمن تبعه ودخل في ديانته برباطي، فعربته العرب وقالوا برغواطي، فسموا برغواطة، وكان صالح بن طريف الذي ادعى فيهم النبوة رجلا خبيثا يهودي الأصل، من ولد شمعون بن يعقوب عليه السلام، نشأ ببرباط من بلاد الأندلس." فأين رواية مروره ببرغواطة المذكورة"؟.

ثم رحل إلى المشرق، فقرأ على عبيد الله المعتزلي القدري، (هذا مستحيل للبعد الزمني بينهما) واشتغل بالسحر، فجمع منه فنونا كثيرة، وقدم المغرب، فنزل بلاد تامسنا، فوجد بها قبائل من البربر جهالا، فأظهر لهم الإسلام والزهد والورع، وأخذ بعقولهم واستمالهم بسحره ولسانه، من نيْرجه (كالسحر وليس به) وتمويهاته، فاستغواهم بذلك، وأقروا بفضله واعترفوا بولايته، فقدموه على أنفسهم، وصدروا عن رأيه في جميع أمورهم، ووقفوا عند أمره ونهيه، فادعى النبوة وتسمى بصالح المؤمنين.

وقال لهم: "أنا صالح المؤمنين الذي ذكره الله في كتابه العزيز الذي أنزله على محمد عليه السلام، وشرع لهم **الديانات** التي أخذوها عنه، وذلك سنة خمس وعشرين ومائة 125هـ /742م) وكان الضلال الذي شرع لهم أنهم يقرون بنبوته، وأنهم يصومون شهر رجب، ويأكلون شهر رمضان، وفرض عليهم عشر صلوات، خمس في الليل وخمس في النهار، وأن الأضحية واجبة، على كل من تبعه، في الحادي والعشرين من المحرم (وعند البكري في 11 منه)".

وشرع لهم في الوضوء غسل السرة والخاصرتين، وصلاتهم إيماء ،لا سجود فيها "وعند البكري بعض صلاتهم إيماء" ويسجدون في آخر ركعة خمس سجدات، ويقولون عند الطعام والشراب **باسْمْ ياكوش** وزعم أن تفسيره باسم الله، وأمرهم أن يخرجوا العشر من جميع الثمار، وأباح لهم أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء، ولا يتزوج من بنات عمه "بينما الرسول تزوج بنت عمه بعدما طلقها زيد بن حارثة" ويطلقون ويراجعون ألف مرة في اليوم (مبالغة غير مقبولة) فلا تحرم المرأة بشيء من ذلك، وأمرهم بقتل السارق حيث وجد، وزعم أنه لا يطهره من ذنبه إلا السيف،

وأمرهم بالدية من البقر، وحرم عليهم رأس كل حيوان، والدجاجة مكروه أكلها، وقُدوتُهم في الأوقات الديكة، وحرم عليهم ذبحها وأكلها.

ومن ذبح ديكا وأكله أعتق رقبة، وأمرهم أن يلحسوا بصاق وُلاتهم "وليس **بصاق ديكهم** عند البعض"تبركا به، (كما عند المشعوذين، وذكر مشاعا عن أحد الصوفيين مع تلميذه إذ قال له ضع هذا القيئ في مكان غير نظيف ولا نجس؟ فشربه التلميذ فتبحر علما، هل ذلك من بقايا البرغواطيين؟) فكان يبصق في أكفهم فيلحسونه تبركا، ويحملونه إلى مرضاهم يستشفون به"[160]. وفيما يخص احترام نوع من الديوك المشهورة التي هي مجربة بصياحها وقت صلاة الفجر كان مشاعا في البادية المغربية كمؤذن يعتمد عليها لقلة المساجد وقبل انتشار الساعات بين الناس، وهذه الديوك مازالت تقوم بذلك الصياح في وقتها المعلوم، لكن من ليس منها موقتا يذبح، وذلك لمن بعد منزله عن آذان المسجد، لذلك ألزم السلطان مولاي إسماعيل كل جماعة ببناء مسجدهم في البادية.فهل يرجع احترام برغواطة إلى توقيت الديك الذي له سورة من قرآنهم؟.

ثم قال: ووضع لهم قرآنا يقرؤونه في صلاتهم، ويتلونه في مساجدهم، (لاحظ كلمة مساجد لا تستقيم مع الكفر؟!) وزعم أنه نزل عليه، وأنه وحي من الله تعالى إليه، ومن شك في شيء من ذلك منهم فهو كافر.والقرآن الذي شرع لهم ثمانون سورة، (80) سماها لهم بأسماء النبيئين وغيرهم، منها سورة آدم، وسورة نوح، وسورة أيوب، وسورة يونس، وسورة موسى، وسورة هارون، وسورة الأسباط، وسورة فرعون، وسورة بني إسرائيل، **وسورة الديك**، وسورة الحجل، وسورة الجراد، وسورة الجَمَل، وسورة هاروت وماروت، وسورة إبليس، وسورة الحشر(وبعضهم كتب **الحنش** ذو ثمانية أرجل) وسورة غرائب الدنيا، **وفيها العلم العظيم عندهم**. وأمرهم ألا غسل عليهم من الجنابة إلا من الحرام، وقد ذكرنا أخبار برغواطة وملوكهم مستوفاة في كتابنا الكبير المسمّى [**بأزهار البستان، في أخبار الزمان، وذكر الموجود، مما وقع في الوجود**]"[161]. وهناك زيادة ونقص في أسماء سور قرآن برغواطة فليراجع ذلك في الروايات الأخرى. وعندي (**نسخة من مخطوطة القرطاس استفدت منها كثيرا**).

[160] القرطاس ص 166.
[161] القرطاس ص166.

ملاحظة عامة منها:لماذا فقد كتاب ابن أبي زرع المسمّى بأزهار البستان؟ لا تفسير لذلك إلا لسبب ما سجل فيه من قرآن برغواطة، وشريعتهم، وقد جرت عادة الخصوم على إحراق كل ما يتعلق بماضي من سبقهم ابتداء بالعمران، وهكذا مع ثقافة الأمازيغ من طرف غزاة وطنهم شمال أفريقيا،(من المؤرخين من يسند إحراق كتبهم إلى الوندال، ومنهم من أسنده إلى الرومان، ومنهم من رجح العرب) ويقول ابن الرقيق "إن الرومان طمسوا العناوين والحروف القديمة التي وجدوها في أفريقيا عندما احتلوها، ووضعوا مكانها عناوينهم وحروفهم حتى يخلدوا وحدهم، الأمر الذي هو معهود عند الفاتحين، ومن ثم لم يبق أي أثر للحرف الإفريقي؟ (وهذا ما وقع لقرآن برغواطة).ثم قال:.. لكن سكان مراكش وجميع أقاليم هذه المملكة يتكلمون اللغة الأفريقية الصافية المسماة الشلحة وتامازيغت وهما اسمان قديمان جدا"[162].

فإذا عرفنا كل هذا وغيره تجاه الثقافة البرغواطية، نقول بلا شك: إن كتاب "أزهار البستان لصاحب القرطاس أعدم لاحتوائه على "قرآن" برغواطة وشريعتهم، وهل يجود الزمان بنسخة من ذلك؟ ما دام إسلام المغاربة الآن لا خوف عليه في جميع الاتجاهات، كما أراد الله لهذه الأمة التي رحبت بالديانات السماوية كلها من التوراة والإنجيل والزبور وختمت بالقرآن والمغاربة أكثر الناس حفظا للقرآن الكريم.، وذلك بفضل ترسيم قراءة جماعية لحزبي الراتب برواية ورش بعد صلاتي المغرب والصبح منذ عهد الدولة الموحدية.

وبما أن الشعب المغربي من الأمم القديمة المستوطن لشمال أفريقيا ـ حسب البحث العلمي ـ فإنه من الطبيعي أن يمر ويساير ويتكيف مع جميع تطورات الإنسان البدائية قال تعالى:"كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيئين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه، من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم [163]. وما دمنا لم نعثر على كتاب "أزهار البستان، في أخبار الزمان، وذكر الموجود، مما وقع في الوجود" الذي فيه ما يسمّى بقرآن برغواطة فإننا لا نملك أدلة كافية لمستوى ذلك التشريع البرغواطي، ونكتفي هنا

[162] مارمول كاربخال ج 1 ص 118.
[163] سورة البقرة الآية 213.

بالتأسف على ضياع جزء من تطور الفكر البشري في مغربنا القديم، كما يعد ذلك مما ضاع من ماضي قارة إفريقيا مهد الإنسان القديم، وموطن نشأته ومسار هجرته إلى باقي القارات، ثم هل كانت لتيفيناغ الهوكّار علاقة بثقافة برغواطة؟ وعسى أن يظهر البحث ما كان خفيا مثل مخطوط أنساب البربر، وبُرادة الذهب، في لثام العرب، كما ظهر مؤخرا كتاب مفاخر البربر الطبعة الأولى 2005م بعد إخفائه كل تلك القرون.

شهادة الحسن الوزان عن كتابة الأفارقة: وفي الوقت الذي كان حكم أفريقيا بيد المبتدعة الفارين من خلفاء بغداد، أمروا بإحراق جميع كتب الأفارقة المتعلقة بالتاريخ والعلوم، متوهمين أن الإبقاء على هذه الكتب من شأنه أن يترك الأفارقة على نخوتهم القديمة، ويدعوهم إلى الثورة والارتداد عن الإسلام"[164]. لهذا السبب عارض البعض من أفراد وأحزاب مغربنا ترسيم الهوية الأمازيغية في دستور سنة 2011م رغم الخطاب الملكي السامي بأجدير. ورغم إحداث المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، ورغم مضامين المادة الخامسة التي تنص على اعتماد الأمازيغية لغة رسمية للدولة، فإن المستلبين أصروا على ضد أصالة المغرب "ويذهب فريق آخر من مؤرخينا إلى أنه كانت للأفارقة لغة مكتوبة خاصة بهم، وتحدث الكاتب الإفريقي ابن الرقيق في تاريخه طويلا عما إذا كانت للأفارقة كتابة خاصة أم لا؟. وانتهى إلى القول بأنه كانت لهم كتابة، وأن من أنكر ذلك يمكنه أن ينكر أيضا وجود لغة خاصة بهم، وأضاف أنه من المستحيل على شعب ذي لغة خاصة أن يستعمل في كتابته حروفا أجنبية "[165]. وقد ابتلي تاريخ المغرب بتشويه أقلام غيرهم، ونكران الاعتراف لمن رحب بهم.

وفي رواية أخرى: "فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة، وما هم عليه من الضلالة، رأى أن الواجب تقديم جهادهم على غيرهم، فسار إلى غزوهم في جيوش المرابطين،- والأمير على برغواطة يومئذ أبو حفص عبد الله بن أبي الأنصاري، بن أبي عُبيد مُحمد بن مُقلد بن اليسع بن صالح بن طريف البرغواطي المتنبئ[166]. - فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين حروب عظيمة، وملاحم شديدة، مات فيها من الفريقين خلق كثير، واستشهد فيها عبد الله بن ياسين الجزولي مهدي المرابطين ورئيسهم ؟، -

[164] الحسن الوزان ج 1 ص 56.
[165] الرقيق ص 57.
[166] الرقيق ص 167.

(فأين نصيحة هذا الفقيه وهي ألا يدخل الرؤساء في المعارك، كما فعل مع صاحبه الأمير إبراهيم في الصحراء؟) - فلما ثقل بالجراح في الحرب وحمل إلى عسكره، وبه رمقٌ جمع أشياخ المرابطين ورؤساءهم فقال :

"يا معشر المرابطين، إنكم في بلاد أعدائكم، وإني ميت في يومي هذا لا محالة، فإياكم أن تجبنوا وتفشلوا فتذهب ريحكم، وكونوا ألفة وأعوانا على الحق وإخوانا في ذات الله تعالى، وإياكم والمخالفة والتحاسد على طلب الرئاسة، فإن الله يؤتي ملكه من يشاء، ويستخلف في أرضه من أحب من عباده، ولقد ذهبت عنكم، فانظروا من تقدمونه منكم يقوم بأمركم ويقود جيوشكم، ويغزوا عدوكم، ويقسّم بينكم فيأكم، ويأخذ زكاتكم وأعشاركم" فاتفق رأيهم على تقديم أمير الحرب لأبي بكر بن عمر اللمتوني، فقدمه عبد الله بن ياسين في عشي يومه ذلك، وذلك يوم الأحد الرابع والعشرين لجمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة (451هـ/ 1049م) ودفن بموضع يعرف بگريفلة بتامسنا وبني علي قبره مسجد[167]. هو فقيه وليس رئيسا؟

وقال عن الأمير الجديد: "هو أبو بكر بن عمر بن تلاكاكين بن وارتانطق اللمتوني المحمدي، أمه حرة گُدالية اسمها صفية، لما قدمه عبد الله بن ياسين بايعته قبائل المرابطين من صنهاجة (زناگة) وغيرهم ،فتمت له البيعة، وكان أول ما فعله أن أخذ في دفن عبد الله بن ياسين، فلما فرغ من دفنه عبّأ جيوشه وقصد إلى قتال برغواطة، مصمما في حربه، متوكلا على الله تعالى في جميع أموره، فاستأصل برغواطة، حتى فروا بين يديه، وهو في أثرهم يقتل ويسبي، حتى أثخن فيهم (بالغ في القتل) وتفرقت برغواطة في الصحاري؟ وأذعنوا له بالطاعة وأسلموا إسلاما جديدا ولم يبق لديانتهم الخسيسة أثر إلى اليوم. وجمع أموالهم وغنائمهم وقسمها بين المرابطين، ورجع إلى مدينة أغمات، للإقامة بها إلى شهر صفر سنة اثنين وخمسين وأربعمائة (452هـ /1060م)[168]، إن مبالغة صاحب القرطاس علي بن أبي زرع الفاسي لا حد لها.

عجيب أمر هذا المؤرخ من إنهاء برغواطة من تامسنا، ثم كتّب قلمه وقال في كتابه في ص 246[169] قال: "ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (543هـ /1148م)

[167] القرطاس ص 167.
[168] القرطاس ص 169.
[169] القرطاس ص 246.

فيها ارتحل عبد المؤمن إلى سجلماسة فدخلها وأمّن أهلها، ثم رجع إلى مراكش فأقام بها أياما، وخرج إلى غزو برغواطة، فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة، هزم فيها عبد المؤمن، ثم كانت الكرة عليهم. فأجال فيهم السيف، ولم يبق منهم إلا من لم يبلغ الحلم.

وفي خلال هذه الأيام، قام أهل سبتة على الموحدين بعد أن بايعوهم ومكنوهم من المدينة، وكان قيامهم عليهم برأي قاضيهم عياض بن موسى، فقتلوا من بها من الموحدين، وعمالهم **وأحرقوهم بالنار**، وركب عياض البحر إلى ابن غانية بالبيعة، وطلب منه واليا، فأرسل معه الصحراوي (يشاع أنه جد أيْت باعمران لانتمائهم إلى ولديه: "بَها أو يحيى، وبوبكر أو يُحيى"كما في عرفهم ويعرف بيحيا بن الصحراوية من قادة المرابطين الكبار معروف في التاريخ) فدخلها وأقام بها أياما، فلما سمع برغواطة بخروج عبد المؤمن إليهم كتبوا إلى الصحراوي والي سبتة يستنصرون به، فأتاهم، فبايعوه واجتمعوا عليه، وقاتلوا عبد المؤمن وهزموه، ثم كانت الكرة عليهم وهزمهم وقتلهم وسباهم، فهرب الصحراوي إلى سوس الأقصى، وراسل عبد المؤمن يطلب منه الأمان، فأمنه وأتاه وبايعه وحسنت طاعته.

فلما رأى ذلك أهل سبتة، سقط في أيديهم، وندموا على صنيعهم، وكتبوا بيعتهم إلى عبد المؤمن، وأتى بها أشياخ المدينة وطلبتها ثائبين، فعفا عنهم، وعن القاضي عياض وأمره بسكنى مراكش، وأمر بسور سبتة فهدم.

كيف يقوم أهل سبتة بالثورة على الموحدين بعد ما بايعوهم برأي قاضيهم عياض فقتلوا من بها من الموحدين، وعمالهم **وأحرقوهم بالنار**، ومع ذلك سُمح لهم، بينما لم يقبل أي عفو على برغواطة لماذا؟ لأن الهدف هو احتلال تامسنا الغنية .وإلا فإن برغواطة عرفت الله ورسوله ولم تقم إلا بالدفاع عن موطنها، ولم تقتل للموحدين عمالهم ولم تحرق أحدا من ولاتهم.

ثم قال: وفي الجواز الرابع لأمير المسلمين يعقوب المريني إلى الأندلس سنة (683هـ /1284م) "وأغارت طائفة من المسلمين من بني هوجع ؟ وبني غفجوم وبعض برغواطة فصادفوا جَمعاً وافرا من النصارى فقاتلوهم قتالا شديدا"[170]. وها هي

[170] القرطاس ص 450.

برغواطة ضمن جيوش المرينيين في الأندلس، ومعنى ذلك أن برغواطة استمرت وعاصرت الإمبراطورات الثلاث المرابطية والموحدية والمرينية، بل كانت معاصرة لزناة وغيرهم .فاستمرارها أطول مما ذكر. كما أن دولتهم قديمة في المغرب لظهور مذهبهم محاكاة للرسول (ص) أو بعد موته مباشرة، أو تأخر إلى سنة 122هـ أو إلى عهد هشام بن عبد الملك كل ذلك مذكور.

وباختصار، فإن ما يكرسه خصوم برغواطة من إنهائها من الوجود - منذ زمان - لا يستقيم لهم، وحتى مؤلف صاحب القرطاس لا يخلو من ذكر إفناء برغواطة من تامسنا، ومع ذلك فقلمه شاهد على بداية برغواطة من سنة 122هـ إلى سنة 683 هـ إذ ما زالوا يشاركون في الحروب، ويحققون الانتصارات.مما يدل على أن برغواطة مستمرون في تامسنا حتى عهد المرينيين الذين خلطوهم برعاتهم العرب في تامسنا. بالإضافة إلى من أنزلهم الموحدون قبلهم بها كشتاتهم بعد انهزامهم في معركة تونس.

فقبيلة مزاب بتامسنا قبيلة أمازيغية، والشاوية كذلك انتقلت إليها من الجزائر، ومنذ ذلك غلب اسم الشاوية على تامسنا البرغواطية، كما انتقلت كذلك قبيلة هوارة الأمازيغية من الجزائر إلى وادي سوس.(خلافا لمن ألحقهما باليمن لقوتهما) وهاتان القبيلتان ما زالتا تتميزان بنغماتهما الخاصة وبأحواشهما بين محيطيهما الأمازيغي.

وخلاصة القول عن ابن أبي زرع ومؤلفه القرطاس كما قال عنه مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور إذ قال: "بقي كتاب القرطاس أهم مرجع للمؤلفين المغاربة منذ تأليفه نظرا لشموله ووفرة أخباره"[171].

دولة برغواطة عن كتاب الاستبصار: "ذكر ارتداد برغواطة ومن دخل معهم من قبائل البربر في الإسلام، والسبب في ذلك.قال الناظر: (قبل كل شيء هذا المصطلح يقصد به المطلع والناظر بعينيه في المكتوب لدى علماء سوس حتى الآن)" دخل بلاد تامسنا رجل اسمه صالح بن طريف، وأصله من برباط الأندلس يهودي النسب من سبط شمعون .

[171] الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. راجعه عبد الوهاب بنمنصور ص 9.

وكان رحل إلى المشرق، وقرأ على **غيلان القدري** (وعند ابن خلدون على **عبد الله المغربي**، وفي القرطاس **المعتزلي**) ورأى من السحر كثيرا، فدخل إلى بلاد تامسنا، فوجد فيها من زناتة قوما جُهّالا (وعند ابن خلدون مصامدة) وكان ذلك سنة 123هـ / 741م) فأظهر الإسلام والنسك حتى استفزّ عقولهم، فولوه على أنفسهم، فلما ولي شرع الديانة التي أخذوها عنه وأنا أذكرها"[172].

قال المسعودي والبكري وغيرهما من المؤرخين : إنه كان يقول : إنه صالح المؤمنين الذي ذكره الله في قرآن محمد .وعهد صالح إلى ابنه إلياس بديانته وعلّم (وعلّمه) شرائعه وفقّهه في دينه، وأمره بألا يظهر الديانة حتى يظهر أمره وينشر ذكره، فيقتل حينئذ من خالفه، وأمره بموالاة أمراء الأندلس، وخرج صالح إلى المشرق ووعد ابنه أنه يرجع في دولة السابع من ملوكهم، وزعم أنه المهدي الأكبر الذي يكون في آخر الزمان، لقتال الدجال، وأن عيسى بن مريم يصلّي خلفه. (كيف يكون يهوديا ويقبل عيسى؟) وأنه يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا. "هذا شعار كل من ادعى المهدوية ليتبعه الجميع".

وذكر في ذلك كلاما نسبه إلى موسى، وإلى سطيح الكاهن، وإلى ابن عباس، وزعم أن اسمه بالعربي صالح، وكذلك في السرياني (بالعكس عند الغير) وأوَرْبا بالعبراني، وورى ورابا بالبربري، وتأول قول رسول الله (صلعم) :"لا نبي بعدي" فأوله بضم الياء من نَبيٌّ ، وقال اسمي "لا" وأنا نبيٌّ بعده، (هذا ما نسب للشاعر المتنبي أحمد بن الحسين الذي قال:* وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق * محتقر في همتي كشعرة في مفرقي*) "هو في شعره نبي ولكن، ذهبت (ظهرت) معجزاته في المعاني" أما استدلالهم بقول المتنبئ "لآ نبيٌّ بعده" فحرف لا مبتدأ وخبره نبيٌّ وهذا نحو عربي لا يفهمه برغواطة ولا يصح الاستدلال به.

فولّى إلياس الأمر بعد خروج أبيه إلى المشرق بدعوة الإسلام، وكتم الشريعة التي عهد إليه أبوه خوفا وتقية، ولم يظهر شيئا من ديانته إلى سنة (163هـ / 789م) فكان ملكه خمسين سنة، فولي بعده ابنه يونس، فأظهر ديانتهم ودعا إليها، وقتل من خالفها إلى أن مات سنة 175هـ / 791م) فولي عهده أبو غفير معاذ بن يونس بن إلياس بن صالح بن

[172] الاستبصار ص 197.

طريف، وأظهروا ديانتهم واشتدت شوكته، وكانت له وقائع كثيرة في البربر، وكانت له من الزوجات أربع وأربعون زوجة (44) ومات ابو غفير سنة 230هـ /844 م وولي ابنه أبو جعفر حفص.

ولم يزالوا يتداولون هذه الديانة إلى غزو عبد الله بن ياسين الجزولي إياهم، فملك منهم سبعة وفنيت دولتهم سنة 499هـ / 1057م) ولما كان هذا الشيخ الملعون من بَرباط قيل لكل من دخل في دينه برباطي، فأحالتها العرب بألسنتها فقالت بَرغواطي فمن أجل هذا سمّوا برغواطة، وإنما أصلهم زناتة (بل مصمودة عند ابن خلدون) وهم أعلم عباد الله بالسحر مما أخذوا عن أسلافهم ."ومن العجيب في الأمر أن العرب يحرفون الأسماء ويغيرون مدلولها وينسبونها لغيرها!".

وأما الضلال الذي شرع لهم فإنهم يقرون بعد الإقرار بالنبيين بنبوة صالح بن طريف، ومن يتولى الأمر من بعده، وأن الكلام الذي وضع لهم وحي من الله لا يشكون فيه، ويصومون رجب، ويأكلون رمضان، وأن الفروض عليهم خمس صلوات بالليل، وخمس بالنهار، وأن الأضحية واجبة في يوم 11 من شهر المحرم. وهناك غير ذلك.

وفي الوضوء غسل السرة والخاصرتين، ثم الاستنجاء ثم المضمضة ثم غسل الوجه، ثم غسل العنق والقفا، ثم غسل الذراعين من المنكبين، وغسل الرأس ثلاث مرات، ومسح الأذنين، ثم غسل الرجلين."والعجيب أن صاحب الاستبصار نقل عن المسعودي والبكري وغيرهما ثم خالفهما فيما يروي عن الوضوء عند برغواطة، كيف يمكن الأخذ عمن يخالف من أخذ عنهم ؟

ثم قال: وبعض صلاتهم **إيماء** يسجدون، وبعضها على هيئة صلاتنا، ويسجدون خمس سجدات، ويرفعون جباههم وأيديهم من الأرض ويضع "المصلي يده اليمنى على اليسرى ويقولون: باسم ياكوش، تفسيره باسْم الله، مقور ياكش،مقور يُتجتن (يوتي كّوثن) العظيم الله، عظيم الأعمال، ويضعون أيديهم مبسوطة على الأرض طول ما يتشهدون، ويقرأون نصف قرآنهم في وقوفهم، ونصفا في ركوعهم، ويقولون في تسليمهم بالبربرية: الله فوقنا، لم يغب عنه شيء في السماء ولا في الأرض، ثم يقولون بعد السلام، الواحد الله (الله أحد) وردام ياكوش، معناه لا شيء مثله.

ويأخذون في الزكاة العشر من جميع الثمار، ولا يأخذون من المسلمين شيئا، ويتزوج الرجل من النساء ما قدر عليه، ولا يتزوج من بنات عمه إلا ما يحلوا من النساء ويطلقون ويراجعون

ويقتلون السارق الذي عندهم وعلى من قتل فدية من البقر، ورأس كل حيوان عندهم حرام، والحوت لا يؤكل حتى يذكّى، ويرجم الزاني عندهم، كان بإقرار أو بشبهة، والديكة عندهم حرام، والدجاجة مكروهة إذا اضطر إليها، ولا إقامة للصلاة عندهم، ويقتدون في الأوقات بصياح الديكة، ويبصق (صلحاؤهم) في أيديهم فيلعقونه تبركا به ويحملونه إلى مرضاهم فيستشفون به.

وكان الضلال الذي وضع لهم هذا ثمانين سورة (80) منسوبة بأسماء النبيئين وغيرهم ففيها :سورة آدم، وسائر النبيئين المشهورين، وفيها سورة أيوب، وسورة يونس، وسورة فرعون، **وسورة الديك**، وسورة الحجل، وسورة الجرادة، وسورة الجمل، وسورة هاروت وماروت، وسورة الحشر،(وترك أسماء سور أخرى) وسورة غرائب الدنيا، فيها علمهم وصلوات الله وسلامه على أنبيائه ورسله وملائكته تتجدد إلى يوم الدين .(ومن قارن ما هنا بما ورد في الروايات الأخرى يلاحظ اختلافات كثيرة، ولذلك نقلنا هذه النصوص التي وقع بها تكفير دولة برغواطة) وصاحب الاستبصار المجهول كثيرا ما يسند ما ينقل لمن ليس له.

ثم قال: "ذكر كلمات هي استفتاح كتابهم، فمما ترجم منه:**"بسم الله الذي أرسل رسله إلى الناس،وهو الذي بين لهم مع أخباره عِلْمَ إبليس،أبى الله أن يعلم إبليس ما عَلّم اللـهُ رسله من شيء، ويقلب الألسنة في الأقولة، ليس يقلب الألسنة في الأقولة إلا لا إله إلا الله بقضائه نطق اللسان الذي أرسل الله بالحق إلى الناس، وبه استقام الحق وأنار، محمد كان حين عاش استقام الناس للدين، فلما مات فسد الدين، كذب من يقول إن الحق استقام وليس ثم رسول"**[173]. وهي سورة طويلة، ولولا خروج الكتاب عن قصدنا لذكرنا قرآنهم، وشرحنا ديانتهم وبينا كفرهم[174]. وتدل هذه العبارة على أنه

[173] الاستبصار ص 200.
[174] نفس المرجع ص 200.

اطلع على قرآن برغواطة وبما أنه حقود على برغواطة وبما أن كتابه مجهول المؤلف إلى أن رجحه مؤخرا مؤرخ المملكة بالقرطاس علي بن عبد اللـه الأنيس المطرب[175].

أما هذه الفقرة المذكورة من قرآن برغواطة فهي محاكاة لقوله تعالى : "وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيء إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد"[176]. فيما ذكر من قصة الغرانيق.ونستشف مما نسب لبرغواطة رغم ترجمته على ما يدل على مستوى ثقافتهم عامة، ونلخص ذلك في النقط الآتية:

1- لم يعد هناك مفكر ينكر أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وهي عملية لقاح المجتمع إلى أن تنضج نتيجة تطور الفكر، كما في علم اللسانيات، فاللغة من إبداع الحيوان الناطق الذي هو الإنسان على حد تعريف المناطقة.

2- وعندما تبلغ اللغة مرحلة الاستكمال، واستوعبت سائر فكر مجتمعها يكرمها الله بلسان رسله ليبينوا للناس ما نُزّل إليهم. واللغة واللسان بينهما علاقة جدلية، فهي نظام، واللسان أداة، فإذا فقد أحدهما تعطل الآخر.

3- ومن ادعى غير ذلك فهدفه تقييد فكر المجتمع وإبقائه أسيرا لدكتاتورية السلف، إلى أن يفقد ذاكرته الثقافية تحت تأثير التكرار والتلقين والتقديس، إلى أن يتم إجهاض عملية السيرورة والصيرورة، فذلك هو ظلم بعينه، ولا سيما فرض لغة لقتل لغة أخرى تحت نير الاستعمار.

4- وقد ورد في هذا النص البرغواطي ما يدل على وحدة اللغة الأمازيغية وعلى فصاحتها، وأن تشريع برغواطة بكلام أمازيغي مبين، ليس فيه لهجة تقلب الحروف أو تبدلها "تقلب الألسنة في الأقولة" ومعنى ذلك أن متنبي برغواطة خاطب قومه بلسان مجتمه بما أوحي إليه بنوع من أنواع الوحي، وتشريعات برغواطة لا تخرج عن تقليد من سبقهم مع مميزات تراكم الحضارة الأمازيغية، وقد يتساءل البعض عن دخول قلب وتبديل الحروف في اللغة الأمازيغية،لذلك أسباب طارئة وليست أصلية في اللغة

[175] عبد الوهاب بنمنصور ص 7.
[176] سورة الحج الآية 52+ 53.

الأمازيغية، وهي ظاهرة خاطئة لا داعي للتعصب لها مادامت تقلب المعنى، واللغة الأمازيغية معيارية دستورية سهلة التعلم وتعد أهم وسيلة سريعة في محاربة الأمية لدى الكبار، وفائزة بالقبول والافتخار بها لدى الصغار في المدرسة.

5- فهل في اللغة العربية قلب الحروف؟ نعم، وبكل تأكيد، ومن أسباب ذلك شساعة بلاد العرب وتعدد مجتمعها القبلي، فظهرت منها **كشكشة ربيعة، وكسكسة هوازن، وعنعنة تميم**، كقلب كل كاف شينا عند قبيلة ربيعة، فصدرت إلى أقلية في الريف عندنا بالمغرب، كما يقلب كل لام مشددة جيما .حتى في الكلمات العربية مثل "أفجّاح من الفلاّح.." والقرآن الكريم نص بليغ، قام بتلاوته صاحب لسان فصيح نبينا صلوات الله وسلامه عليه، وبعد هذا الاستدراك نرجع إلى قول صاحب الاستبصار.إذ قال:

"ذكر القبائل الداخلين في هذه الديانة: برغواطة، وجراوة، وَزْغاوة، وزَوَاغة، والبرانس، وبنو أبي قاض، ونجْطة، وبنو واعَم، ومَطغرة ،وبنو يُوزَغ، وبنو دَمَر، ومطماطة،وبنو وارگيست، وبنو تاسْليت، ومن تديّن لهم من المسلمين: زناتة الجبال، وبنو تلِيت، وبنو واوْسيت، وبنو تانِيت،ولم يزالوا على تلك الديانة إلى عام 452هـ / 1060م[177].

دولة برغواطة عن كتاب أخبار المهدي:

"ثم خرج أيضا أبو حفص إلى برغواطة والتقى معهم فهزموه وأخذوا الثقلة (غنائمه). ثم وحد برغواطة، وخرج إليهم أبو سعيد يخلف بن الحسن آتيگّي وعبد الله بن فاطمة اللمتوني، ودفع جريدة أخرى (فيلق عسكري) لتامسنا لعبد الله بن فاطمة اللمتوني وأبي تونارت قتلا منهم ستمائة في تيط نـ واگرّامت فيهم فرحيل برغواطة [178].

فلما جيّش الموحدون الجهات كلها ضد برغواطة قال البيدق: "وأرسل الخليفة الكتب لكل بلد، وجاءت العساكر من كل مكان، جاء يوسف بن وانودين بعساكر الشرق وسلاطينهم (قادة المعسكر) تاشفين بن ماخوخ، والعباس بن عطية، وحمامة بن مطهر، وعبد العزيز بن يخلفتن، وكان يقود عسكر الغرب عبد الله بن خيار بن شريف، وهادي بن خميس، ويكنول بن محمد بن يرزف، (قادة معسكر زناتة للغرب).

---

[177] الاستبصار ص 200.
[178] أخبار المهدي بن تومارت ص 71.

وكان يقود غمارة عبد الله بن سليمان، ويقود صنهاجة أبو بكر بن الجبر وأو يدر بن وامصال، ويقود جراوة عبد الله بن داوود، وحافظهم عبد الله بن ميمون فاجتمعوا كلهم[179].

"وخرج الخليفة من مراكش إلى وشبور متاع هسكورة، واجتمعت هناك المحلات على عون الله وتوفيقه، فقلع الخليفة إلى دكالة، وكان فيها يحيا الصحراوي في أيْصَرْوّال؟ (وغالبا أيت ژرْوال ذوي زرق العيون) فنزل عليها أمير المؤمنين وتلاقوا، ورأت دكالة ما لم تقدر عليه، فهرب شيوخهم مع يحيا الصحراوي إلى الصحراء، وبدد الخليفة شمل دكالة، وساق غنائمهم، وباع نساءهم وبدد شملهم [180].

وفيما يخص غزو دكالة ذكر ابن الأثير: "في سنة 543هـ سار بعض المرابطين من الملثمين إلى دكالة، فاجتمع إليه قبائلها، وصاروا يغيرون على أعمال مراكش، وعبد المؤمن لا يلتفت إليهم، فلما كثر ذلك منها سار إليهم، سنة 544هـ فلما سمعت دكالة بذلك، انحشروا كلهم إلى ساحل البحر، في مائتي ألف راجل، وعشرين ألف فارس، وكانوا موصوفين بالشجاعة.

وكان مع عبد المؤمن من الجيوش ما يخرج عن الحصر، وكان الموضع الذي فيه دكالة كثير الحجر والحزونة (أشجار طويلة) فكمنوا به. لكنه قصدهم من غير الجهة التي فيها الكمناء، فأخذهم السيف، فدخلوا البحر، فقتل أكثرهم، وغنمت إبلهم وأغنامهم وأموالهم، وسبي نساؤهم وذراريهم، فبيعت الجارية الحسناء بدراهم بصيرة ؟ وعاد عبد المؤمن إلى مراكش مظفرا منصورا"[181].

ثم وحد برغواطة وخرج إليهم أبو سعيد يخلف بن الحسن أوتيگّي، وعبد الله بن فاطمة اللمتوني، وعمر بن أگّالگوط، فمضوا حتى ساقوا مروّتهم وزكاتهم وما أخذوا لأبي حفص من السلاح والأخبية، وساقوا ولده وجاريته، وجددوا من هناك عسكرا لثائر يسمّا بومزگّيدة،بحومة أفنْدْغُول، فبددوا شمله وساقوا غنائمهم. فغنائمهم هؤلاء العبيد الذين يقال لهم أيت يرزجن، ثم مشوا إلى يروگّان لثائر يقال له هلال الأصلع، وويلان بن موسا، وكان في موضع يسمّا بأصْرو نـ أيْت عافيف، في

---

[179] أخبار المهدي بن تومارت ص 68.
[180] المرجع نفسه ص 69.
[181] الكامل في التاريخ، لابن الأثير ج 8 ص 614.

إيروكـان، (أزرو) فهزمومهم وبددوا شملهم، واستقامت الدنيا بعون الله والحمد لله، وكان ذلك كله في عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة 543هـ / 1148م .وكان الله لنا بالتوفيق معينا، وبالتأييد ممدّا[182].

وها نحن هنا نرى برغواطة ما زالت تقاوم الموحدين وتهزمهم أولا، ومعنى ذلك أن موسى بن نصير ولا المرابطين ولا الأدارسة لم يقضوا عليها نهائيا كما زعموا.كما نفهم من هذا النص إنهزام دكّالة بينما وقع صلح بين قادة الموحدين مع برغواطة فمضى أولئك القادة " حتى ساقوا مُـرُوّتهم (ثقتهم بالأمازيغية) وزكاتهم وما أخذوا لأبي حفص من السلاح والأخبية" وتفيد هذه الفقرة أن برغواطة تامسنا صارت تدفع زكاتهم للموحدين وهو المطلوب، ولا مفهوم لغيره.

دولة برغواطة عن كتاب الحلل الموشية :

"واحتل الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني مدينة أغمات سنة 450هـ، واستوطنها مع إمامه الشيخ أبي محمد عبد الله بن ياسين، ثم انصرف الشيخ أبو محمد عبد الله بن ياسين إلى بلاد تامسنا ليسكنهم، ويحضّهم على الطاعة، فقتلته برغواطة"[183]. وهذا غير صحيح، والمعتمد في كتاب المسالك والممالك، كما أن كتاب مفاخر البربر لم يذكر هذا القضاء النهائي.على برغواطة .والعجيب أن ذلك متداول لكن دولة برغواطة مستمرة في موطنها تامسنا حسب المراجع.وما ذكرنا في عهد الموحدين.يلغي القضاء النهائي المزعوم، وإنما ذلك من باب أمنية الغير.

وكان يوسف بن تاشفين لما فتح فاس وتلمسان سنة 470هـ " بعث إلى الصحراء للمتونة ومسوفة وكّدالة وغيرهم يعلمهم بما فتح الله عليه من ملك المغرب، وطاعة أهله وضم من جزولة ولمطة ومصمودة وقبائل زناتة جموعا كثيرة "[184]. وبما أن برغواطة من قبيلة مصمودة فهل انضمت إلى الطاعة أم مع من بقي من قبائل زناتة في الحياد؟.

[182] الكامل في التاريخ، لابن الأثير ج 8 ص 69.
[183] ص23.
[184] الحلل الموشية ص 33.

قضية دولة بورغواطية مبهمة: لأن جميع الإمارات الناشئة في المغرب ضدها! ونجد ذلك عند البكري الأندلسي، وعند ابن أبي زرع، وابن حوقل الرحالة والرقيق وابن خلدون والكامل والطبري وغيرهم، ومعظم من كتب عن برغواطة من الآفاقيين أي خارج وطنهم تامسنا، وذلك مدعاة للشك في معلومات البكري الذي كتب عنهم وهو في الأندلس، وهو يتحامل عليهم، وأن أهل برغواطة من اليهود انحدروا من الأندلس بوادي باربـاط، وهنا جاءت تسميتهم كما زعم، وهنا نلاحظ كيف يزور التاريخ من **لغواط قبيلة بالمغرب** إلى برغواطة بالأندلس كما قالوا في البربر (برّ برٌ) أي سار شخص اسمه برٌ في البر، فهل كان العرب يسيرون في البحر؟ ثم قالوا هل قدموا من الشام أو من اليمن؟.والهدف ألا يكون أصل الأمازيغي في وطنه تامازغا، والمستور تحت ذلك أن يلقنوا أن الأصل معهم واحد، والفرق في القدوم فقط.

وقد كتب أندري جوليان بحثا دقيقا في الموضوع فقال: إن برغواطة دولة بربرية، لذلك ينبغي توضيح هذه الكلمة التي أطلقت على الأمة الأمازيغية والتي انتشلها ابن خلدون في كتابه العبر من الدونية إلى أعلى مراتب الأمم، فتبنيناها بمدلول ابن خلدون، ولذلك يفرق المؤرخون بين الشعوب البربرية الحادي عشر الذين دفعهم الهون من سهول سيبريا الغربية فهاجموا بدورهم على الإمبراطورية الرومانية في بداية ضعفها، فدخلوا فيها كدخول الشاقور في جسم الشجرة.فأولئك هم الشعوب المتبربرة القساة المهاجمون بكل وحشية، وقد أطلق عليهم المجوس مثل القوط الغربيين والشرقيين والوندال. واللومبارد وليفرانج وغيرهم.

وهناك شعب يسكن شمال أفريقيا منذ ما قبل التاريخ، أطلق عليه الرومان واليونان والعرب كلمة البربر تمييزا لهم عن الشعوب الأوربية المتبربرة، وغالبا ما تعني هذه الكلمة التوحش والدونية، فإذا وصفهم الأوليان بالقوة البدنية والوحشية والمقاومة الجسمية لمحاربتهم، فإن العرب هاجموا لغتهم الأمازيغية باحتقار وبإنكار فسموها بعبعة التيس وبربرة الأسد، وهكذا ساهم الطرفان في إضعاف الهوية الأمازيغية والهدف واحد هو استعمار الوطن.

أما الأمة الأصلية فهم سكان شمال أفريقيا - حسب البحث التاريخي - فإنهم يسمون أنفسهم بالأمازيغ، أي **النبلاء الأحرار**، ولما كان وطنهم غنيا في جميع المستويات، ومتسعا ومتنوعا جغرافيا ومناخيا ونباتيا - بل حتى بشريا - فإنه صار جاذبا للشعوب

المجاورة تارة بالسلم والمساكنة، وتارة بالتبادل التجاري المؤدي مع طول الزمن إلى نوع من الاستغلال والاستعمار.

وكثيرا ما يقوم هذا الدخيل بالهجوم على مقومات الوطن، منتهزا ظروفا مناسبة لاحتلال جزء من البلاد، انطلاقا من الباب الشمالي الأوربي، كشأن الاستعمار الروماني، أو دخولا عبر سواحله كقرطاجة والبزنطيين، أو من الباب الشرقي،كشأن العرب منهم بنو هلال وبنو سُليم، أم بحملات عسكرية ترسلها عواصم الشرق، من حين إلى آخر. ووقاية من ذلك، يجب توحيد المغرب الكبير.

ولما كانت الأمة الأمازيغية عريقة في القدم، وأن شجرتها من إفريقيا ـ لكن أغصانها منفتحة ومغربة ـ فإن الشفاه تتلمّض لها، وكان الدخيل يحاول دائما استلحاق هذه الأمة، وذلك بانتحال منهجية ليست علمية ولا منطقية، ولكنها من باب الإسقاط في غير محله، ومن ذلك استعمال المعجم اللغوي الأجنبي لفك الجذر اللغوي للسان الأمازيغي، فإذ أعوزعهم الدليل صنعوه شعرا، أو غيروه لغويا،أو أرخوه في أقصوصة ملقنة. أو ورد عرضا في رسالة كحِمْير.

ومن ذلك ما ورد في رسالة ابن عبّاد في الأندلس عند استغاثته بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين منها "وقد ساءت الأحوال، وانقطعت الآمال ـ وأنت أيدك الله ـ ملك المغرب أبيضه وأسوده، **وسيد حِمْير، ومليكها الأكبر، وأميرها وزعيمها**" وكان آل عباد رفعوا نسبهم إلى أصل يماني كما نُسِب الملثمون إلى أصل يماني قبل الإسلام بدون دليل، ومن هنا تكرر أصل المغاربة من اليمن أو من الشام"[185]، ومن هذه الرسالة شاع إلحاق ژناكة.

وقد وظف البعض كل النزهات الممكنة وغير الممكنة في ربط الأمازيغ بأماكن جغرافية معينة، لكن لم يستطع أيها أن يثبت **علما جغرافيا** واحدا كاسم جبل مثلا هناك أواسم نهر أو اسم خليج بالأمازيغية في اليمن أو في الشام أو في فارس أو حتى في الجرمان.

[185] الحلل الموشية ص 46.

وأحيانا يُدلون بتقولات روّجوها كلها بصيغة التضعيف: قيل ويقال ويُنسب وحكي ذُكر، وسرعان ما يبني المقوّل على مثله، وبالتكرار تتراكم التقولات، ثم يأتي الشك، فتضيع الحقيقة التاريخية بين المزاعم والخيال، وأحيانا تسند الروايات، وتقلب الكلمات، وتغير الأعلام ،وتختفي الحقيقة بمجرد إقحام ذكر العمالقة في التاريخ، وسيف ابن ديازان، وعوج بن عناق، ومن ثم إلى معجم البلدان، والتزكية بالطبري، أو عن ابن الكلبي والمسعودي، وعن ابن حزم وما قيل في كتاب الجمان، وقد يختمون بذكر ابن خلدون عرضا دون الإدلاء بالنصوص.

برغواطة بقلم النسابين : إن المحققين من نسابة البربر كسابق البربري المطماطي وغيره ينكرون ذلك، ويجزمون بأن ما يعرفون بالبتر والبرانس قبيلتان عريقتان في البربر[186]. ولا داعي للخرافات بعدما سفّه البحث العلمي كل الاستلحاقات، فالبحث الجدي الحديث، لم يعد يشك في تحقيق المختبرات، فبرغواطة من القبيل مصمودة: من البرانس المستوطنين المتحضرين، وكانوا يؤلفون معظم سكان المغرب، أيام الفتح الإسلامي، حيث كانوا يشغلون أكثر المناطق الجبلية وسهول المحيط الأطلسي، ويعتبر الأطلسان الصغير والكبير موطنا للمصامدة اليوم، وبينهم الشلوح.أما كتلهم الرئيسية القديمة فثلاث: برغواطة الذين كانوا يشغلون ما بين نهر أبي رقراق وأم الربيع، ونهر تانسيفت، وغمارة الذين يقطنون منطقة الريف وجبالة، ثم دكّالة فيما بين نهر أم الربيع ونهر تانسيفت الي أن شغل رگراگة سهوله، وقد أنشأ المصامدة مدنا وقرى عديدة.

كما تعاطوا الفلاحة التي لا تزال مهارتهم متجلية فيها في منطقة الشلوح: "المدرجات" وساعدهم على ذلك إتقانهم لشؤون"الرّيّ"، كما عرف ذلك في دولة الموحدين،.وقد استمرت سيادة المصامدة على المغرب إلى ظهور الزناتيين على المسرح السياسي في القرن الثالث الهجري، حيث اكتسحوا بلادهم، وكان مَقدَمهم آن ذاك من المغرب الأوسط ، ومنذ ذلك الحين أخذ المصامدة ينحازون إلى المناطق الأطلسية، وقضى

[186] الاستقصا ج 1 ص 65.

الملثمون على برغواطة منهم؟ كما تم (تعريب) دكالة على أيدي دولة الموحدين نفسها، فالشلوح إذن يمثلون اليوم في ناحية السوس نموذجا حيا لرقي المصامدة."[187].

وكانت دولة برغواطة من قبائل المصامدة المستوطنين فيما بين سلا وأسفي، وكان من بينهم صالح بن طريف أحد قواد ميسرة والداعين لمذهبه، حتى إذا قتل ميسرة، استمر صالح في تامسنا يتزعم برغواطة ...مما أدّى به إلى ادعاء النبوة وإحداث كتاب [مقدس] بالإضافة إلى طقوس وقوانين خطيرة على المجتمع ...وقد انتشرت هذه الطقوس بين البرغواطيين..".

"ويمكن القول: إن الأثر الديني كان في الشمال أعمق منه في سائر جهات المغرب، حيث استقرت الحاميات العربية الأولى؟! وهنا أيضا ظهر الخوارج الأولون في المغرب، أما في الغرب فلم تتمكن مبادئ الدين الصحيحة من نفوس البربر، حيث نجد البرغواطيين قد أحدثوا بدعا كثيرة في الإسلام، ولم يستطع الأدارسة ولا دويلات القرن الرابع الهجري أن تضع حدا لهذه البدع. حتى قضى عليها يوسف بن تاشفين" بل في عهد أبو بكر ويوسف قائده[188]. وقد أشرنا إلى مراجع تأبى ذلك بنصوص صريحة.

"ولم يلبث إدريس أن حل بالمغرب الأقصى حيث نزل بوليلي عند إسحاق بن محمد بن عبد الحميد ملك إمارة أوربة. وبمساعدة هذه القبيلة التي تنتسب إلى البرانس، تمكن إدريس من الزحف إلى تامسنا لمحاربة البرغواطيين المجوس، ونشر الإسلام بين القبائل البربرية التي لا تزال تدين بالنصرانية واليهودية"[189].

"ومن أسباب سقوط دولة الأدارسة تقسيم المملكة بين أمراء العائلة المالكة، وعجزهم على السيطرة، فلم يواصلوا مقاومة البرغواطيين ..فظهر في غمارة حاميم المتنبي وهو شخص بربري أنشأ دينا وقرآنا بربريا"[190].

"ودخل الإسلام إلى المغرب في القرن الأول الهجري، مبنيا على تعاليم الكتاب والسنة. لكن ولاة الأمويين لم يعودوا يطبقون تعاليم الكتاب والسنة. ولما جاء الأدارسة

---

[187] د إبراهيم حركات ص35.
[188] د إبراهيم حركات ص105.
[189] د إبراهيم حركات ص113.
[190] د إبراهيم حركات ص 120.

وجدوا الخوارج في سجلماسة وغيرها، كما وجدوا البرغواطيين في تامسنا، وقد دخل المذهب الحنيفي إلى المغرب[191]" ."وكانت حركة العلوم الدينية مزدهرة في عهد الأدارسة، وحتى البرغواطيون كان من بينهم من فقهوا في الدين"[192].

"وقد اشترك البربر - بطبيعة الحال بالعربية - في الحركة الأدبية، وهكذا نرى سعيد بن هشام المصمودي يخاطب البرغواطيين في وقعة بهت، كما نقل ابن عذاري"[193]. كيف يمكن الاستدلال بشاعر واحد على انتشار العربية والفقه بين البربر؟ والحالة هذه أن شمال أفريقيا ما زالت الأمية فيه سيدة الميدان؟ وهل يكفي الاستدلال بفرد واحد؟ والعجيب أن كلمة تعريب البربر كانت تشعل الكتاب خوفا من يقظة الأمازيغية.

"وقد اتحد الفريقان : بني يفرن وبني خزر سنة 369هـ /979م عند قدوم بولوگّين بن زيري الصنهاجي إلى المغرب، وهو قائد أفريقية (تونس) ووالياها **من لدن الفاطميين**، وكان تجمُّعُ بني يفرن ومغراوة عظيما بناحية سبتة، فخشي بولوگّين لقاءهم، وتنكبهم متخذا طريقه إلى البصرة التي خربها، ثم إلى برغواطة الذين قتل أميرهم عيسى بن أبي الأنصار"[194] ومن أسباب فشل الزناتيين أن "عاشوا أبعد ما يكونون عن صنهاجة المغرب ومصامدته وسائر بطونه، ...فقد قدم بولوگّين سنة 369هـ من أفريقية، وتمكن من قهر الزناتيين ومحا دعوة بني أمية من أكثر المغرب، والبطش بأمير البرغواطيين"[195].

"كان الأشراف يشكلون طبقة الأغنياء الأرستقراطية ويتحكمون بقوة في رقاب الطبقة الضعيفة، وطغت المكوس الجائرة التي فرضها الزناتيون على التجار والانحلال الخلقي، ولم تكن الحالة في عامة المغرب بأحسن من سجلماسة، فقد استمر البرغواطيون يفسدون عقائد السكان المجاورين في سواحل المحيط الأطلسي ..مما فسح المجال للمرابطين ليؤسسوا أول دولة استطاعت أن تخضع المغرب لنفوذ موحد، من طنجة شمالا إلى نهر النيجير جنوبا، ومن ناحية وادي شلف شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، بالإضافة إلى بلاد الأندلس".

---

[191] د إبراهيم حركات ص127.
[192] د إبراهيم حركات ص 138.
[193] ابن عداري ص 140.
[194] ابن عداري ص 151.
[195] د إبراهيم حركات ص 168 .

"وبعد استيلاء المرابطين على تادلا شرعوا في جهاد البرغواطيين؟ وكانت الحرب عنيفة بين الفريقين، هلك فيها خلق كثير، ومن بينهم عبد الله بن ياسين الذي انتهت حياته خلال الجهاد سنة 451هـ /1049م ودفن بگريفلة بين الرماني وابن سليمان، على أن أبا بكر بن عمر لم يلبث أن اثخن في البرغواطيين قتلا وتشريدا حتى أعادهم إلى الإسلام"[196].

"تمكن المرابطون في بضع سنوات من القضاء على البرغواطيين وتوحيد المغرب تحت سلطة موحدة"[197]. إن كلمة القضاء هذه لا تعني الواقع، لأن برغواطة ما زالت مستمرة، كما أكدت المراجع ذلك.

"وقد سُمح للنصارى واليهود بأداء شعائرهم بكل حرية، ولم يسجل التاريخ في هذه الحقبة حربا دينية بين المسلمين وسائر السكان بالمغرب، باستثناء حرب البرغواطيين الذين انتهى أمرهم في عهد أبي بكر"؟[198].

"والظاهر أن البرغواطيين قد عادوا إلى الظهور من جديد بعد غلبة المرابطين على أمرهم فحاربهم عبد المؤمن، فاستنصروا بيحيى بن أبي بكر الصحراوي الذي كان في سبتة فهزم عبد المؤمن الذي عاد إلى حربهم فأخضعهم، بينما فر يحيى الصحراوي"[199] [هذه الشخصية المرابطية يسمى ابن الصحراوية وله تاريخ طويل ويعد من بقية قادة المرابطين فقد قاوم في معركة تيلمسان ضد الموحيين، ثم فر منها واحتل فاس، وبعد حصاره فيها انسل إلى سبتة، ومنها إلى جزر البليارحيث بقية المرابطين، ثم تسلح ورجع فاحتل سبتة وطنجة وسلا ودكالة وأخيرا رجع إلى الصحراء.

"من أهم المدن المهدية تقع على الضفة اليسرى من نهر سُبو،وهي من المدن التي أحدثها اليفرنيون ثم خربها البرغواطيون، وجدد بناءها جوهر الصقلي سنة 344هـ ثم أعاد بناءها يعقوب المنصور الموحدي الذي أنزل بها بني رياح من عرب بني هلال، ثم حطمها البرتغال سنة 663هـ وبقيت كذلك إلى أن وقعت في قبضتهم سنة 929هـ

196 د إبراهيم حركات ص171.
197 د إبراهيم حركات ص 184.
198 د إبراهيم حركات ص233.
199 د إبراهيم حركات ص268.

فحصنوها ثم استولى عليها الإسبان سنة 1033هـ وتركوا بها عدة آثار، وهي قريبة من القنيطرة"[200]. هذا ما جمعناه من كل ما تفرق من عدة مؤلفات قصد مقارنتها.

محاربة المرتدين عن الإسلام : إن فتوح الردة كلها كانت فيما بين 11 - 13 هـ[201] والمفروض أن يكون لكل من تنبأ شريعته، لكنها لم تسجل فضاعت،أو فشلت فاندثرت.

فقد ظهرت الردة منذ مرض رسول الله (ص)، ثم عمت معظم القبائل العربية بعد موته، لأنهم قالوا: لو كان محمد نبيا لما مات، فتنبأ منهم العديد، لكن أبا بكر كتب إليهم كتابا واحدا به أنقذ الأمة الإسلامية من فتنة المتنبئين.ننقله فيما يأتي : "بسم الله الرحمن الرحيم من أبي بكر خليفة رسول الله (ص) إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة، أقام على إسلامه أو رجع عنه. سلام على من اتبع الهدى، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، نقر بما جاء به، ونكفّر من أبى ونُجاهده.

أما بعد: فإن الله تعالى أرسل محمدا بالحق من عنده إلى خلقه بشيرا ونذيراً، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، فهدى الله بالحق من أناب إليه، وضرب رسول الله (ص) بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعا وكرها، ثم تَـوَفَّى رسول الله (ص) وقد نفذ لأمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل، فقال:"إنك ميت وإنهم ميتون"[202]. وقال: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد، أفإن مت فهم الخالدون[203]، وقال للمؤمنين : وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين"[204]. فمن كان إنما يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له، فإن الله له بالمرصاد، حيٌّ قيّومٌ لا يموت، ولا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، حافظ لأمره، منتقم من عدوه يجزيه.وإني أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاءكم به نبيكم (ص) وأن تهتدوا بهداه، وأن تعتصموا بدين الله، فإن كل من

200 د إبراهيم حركات ص 360 .
201 الكامل ج 2 ص 345.
202 سورة الزمر الآية 30.
203 سورة الأنبياء الآية 34.
204 سورة آل عمران الآية 144.

لم يهده الله ضال، وكل من لم يعافه مبتلى، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتديا، ومن أضله كان ضالا، قال الله تعالى :

"من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا"[205] ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يُقرَّ به، ولم يقبل منه في الآخرة صرفٌ ولا عدل، وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به، اغترارا بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى :

"وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا، إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه، أفتتخذونه وذريته أولياء من دونه وهم لكم عدو؟ بئس للظالمين بدلا"[206] وقال :

"إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا، إنما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير[207]"، وإني بعثت إليكم فلانا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته ألا يقاتل أحدا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرّ وكفّ وعمل صالحا قبل منه وأعانه عليه، ومن أبى أمرتُ أن يقاتله على ذلك، **ثم لا يبقي على أحد منهم قدر عليه وأن يحرقهم بالنار**، ويقتلهم كل قِتْلة، وأن يسبي النساء والذراري، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام، فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله .وقد أمرتُ رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية الأذان، فإذا أذن المسلمون فأذنوا كفّوا عنهم ! وإن لم يؤذنوا عاجلوهم، وإن أذنوا اسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرّوا قُبل منهم، وحملهم على ما ينبغى لهم[208].

إرسال الأمراء ومعهم العهود : "بسم الله الرحمن الرحيم .هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله (ص) لفلان حين بعثه لقتال من رجع عن الإسلام، وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله، ومجاهدة من تولّى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أمانيّ الشيطان بعد أن يُعذِر إليهم، فيدعوهم بدعاية الإسلام.

---

[205] سورة الكهف الآية 17.
[206] سورة الكهف الآية 50.
[207] سورة فاطر الآية 6.
[208] الطبري ج 2 / 258.

فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنّ غارته عليهم حتى يقرّوا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم، ويعطيهم الذي لهم، لا يُنظرهم، ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عزّ وجلّ، وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل، وكان الله حسيبه بعد فيما استسرّ به، ومن لم يجب داعية الله قُتل وقوتل حيث كان، وحيث بلغ مراغمه، لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلا الإسلام، فمن أجابه وأقر قُبل منه وعلّمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قِتْلة بالسلاح والنيران، ثم قسّم ما أفاء الله عليه، إلا الخمس فإنه يبلّغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد، وألاّ يُدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم، لا يكونوا عيونا ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة وليْن القول[209].

"ومات النبيء وهم على ذلك، فكان طليحة يقول: إن جبريل يأتيني وسجع للناس الأكاذيب، وكان يأمرهم بترك السجود في الصلاة، ويقول: إن الله لا يصنع بتعفر وجوهكم وتقبح أدباركم شيئا، اذكروا الله واعبدوه قياما إلى غير ذلك، وتبعه كثير من العرب عصبية"[210]. فهل وصل هذا الخطاب إلى برغواطة؟ والفتح لم يبدأ بعد في إفريقيا ؟.

وهناك سجاح بنت الحارث ادعت النبوة واجتمعت عليها قبائل، فسجعت لهم سجائح من قرآنها وقالت: "أعدّوا الركاب، واستعدّوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حجاب، عليكم باليمامة، وذقّوا ذفيف الحمامة، فإنها غزوة صرّامة، لا يلحقكم بعدها ملامة[211]"، "ومما شرع مسيلمة لهم أن من أصاب ولدا واحدا ذكرا لا يأتي النساء حتى يموت ذلك الولد، فيطلب الولد حتى يصيب ابنا يمسك، وقالت له سجاح: ما أوحى إليك ربك؟ فقال: "ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة

---

[209] الطبري ج2 / 259
[210] الكامل ج 2/ 318.
[211] الكامل ج 2/ 327.

تسعى، بين صفاق وحشى..."؟ ولما تزوج مسيلمة سجاح، جعل صداقها أن" وضع على قومها صلاتين مما جاءكم به محمد (ص) : صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة".

فقال مسيلمة:"سمع الله لمن سمع، وأطعمه بالخير إذا طمع، ولا زال أمره في كل ما سرّ نفسه يجتمع، رآكم ربّكم فحياكم، ومن وحشة خلاكم، ويوم دينه أنجاكم، فأحياكم علينا من صلوات معشر أبرار، لا أشقياء ولا فجّار، يقومون الليل ويصومون النهار، لربكم الكبار، رب الغيوم والأمطار". "لما رأيْتُ وجوههم حسُنت، وأبشارهم صفت، وأيديهم طفُلت، قلت لهم: لا النساء تأتون، ولا الخمر تشربون، ولكنكم معشر أبرار، تصومون يوما، وتكلفون يوما، فسبحان الله! إذا جاءت الحياة كيف تحيوْن، وإلى ملك السماء ترقوْن، فلو أنها حبّة خرذلة، لقام عليها شهيد يعلم ما في الصدور، ولأكثر الناس فيها الثبور"[212].

وقال الشاعر عطارد بن حاجب يعني سجاح :

*** - أمست نبيتنا أنثى نطوف بها * وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا *.**

(ولبرغواطة نبية كذلك تسمّى تابعيت عمة حاميم وهناك دجّو(إجّو) وهي أجمل نبية لهم).

ومن قرآن مسيلمة "فليس في المجمجة خير؟ كلمة مركبة (حاميم ، عيسق مثل كهيعص) ومنه" والليل الأطحم، والذئب الأدلم، والجذع الأزلم، ما انتهت أسيدٌ من محرم" "والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسيدٌ من رطب ولا يابس" "إن بني تميم، قوم طهر لقاح، لا مكروه عليهم ولا إتاوة، نجاورهم ما حيينا بإحسان، نمنعهم من كل إنسان، فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن" "والشاء وألوانها، وأعجبها السود وألبانها، والشاة السوداء واللبن الأبيض، إنه لعجبٌ محض، وقد حرِّم المذق، فما لكم لا تمجّعون" . "يا ضفدع ابنة ضفدع، نقّي ما تنقين، أعلاك في الماء، وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تُكدّرين"."والمبذّرات زرعا، والحاصدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خُبزا، والثاردات ثردا،

[212] الطبري ج 2/ 270.

واللاقمات لقما، إهالة وسمناً، لقد فضّلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المَدَر، ريفُكم فامنعوه، والمعترَّ فآووه، والباغيَ فناوئوه[213].

"وكان مسيلمة يصانع كل أحد ويتألفه ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح، وكان معه نهّارٌ الرّجّال بن عُنْفُوة، وكان قد هاجر إلى النبيء (ص) وقرأ القرآن، وفُقِه في الدين، فبعثه الرسول معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة وليشدّد من أمر المسلمين، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة، شهد له أنه سمع محمدا (ص) يقول: إنه قد أشرك معه [214]".

ذلك ما نسمعه من فصاحة العرب؟: وخاصة إذا قام أحد بما التقطناه مما نسب وعرف بقرآن المتنبئ مسيلمة الكذاب، والنبيئة سجاح بنت الحارث، والمتنبئ طليحة، وكلهم أعراب أقحاح، فهل هذه الأسجاع يمكن أن تقارن بالقرآن الكريم؟ فأين ما يدعيه العرب من فصاحة وبلاغة وبيان إذا كانت هذه الجمل المتقطعة مما ينزل على تعدد أنبيائهم في مجال جغرافي واسع ؟.

نعم قد يحاول بعض الفصحاء من العرب أن يقلدوا أسلوب القرآن، وأن يتحدّوْا الآية الكريمة، كما تحدتهم جميعا إنسهم وجنهم "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا" "قل هاتوا بسورة من مثله" من الصعب قبول ألا يقوم العرب بالرد على هذا التحدي، ومن المشاع أن المتنبئين منهم تعاونوا ليتحدوا القرآن المحمدي "بقرآن" عدد من المتنبئين، لكن ما بلغنا من ذلك لا يخلو من ضعف واضح، إما أن إنتاجهم البليغ قد قضي عليه وأحلوا محله ما كان من المضحكات، وإما أن الرواة وعلى رأسهم السّريّ قد ضاع ما سجله، وإما أن ما اتهموا به أنشأه خصومهم كنموذج للسخرية والتهكم.

والذي يهمنا هنا أن "قرآن" برغواطة لا يبعد عن مستوى أسجاع الأعراب حسب ما توصلنا به، وهو عن العرب بلغتهم وتصرفهم فيه، بينما ما توصلنا به عنهم بلغتهم يمكن أن نناقشه بلغتهم كذلك، بينما ما نسب لبرغواطة ما هو إلآ ترجمة "قرآن برغواطة الأمازيغي؟" بالعربية، وفي ذلك ما فيه، لأنه حتى الآن لم نعثر على نص

[213] الطبري ج 2/ 276.
[214] تاريخ الطبري ج 2 ص 276.

أصلي في ذلك لبرغواطة لفظا ومعنى وفكرا وكتابة، ولنا الحق في أن نشك في المبلّغ والمتلقي والمترجم والناقل ومستوى فهمه ومعجمه وأمانته وهلم جرّا، فإذا كان الشك فيما روي من أسجاع المرتدين العرب، فمن باب أولى وأحرى أن نشك فيما توصلنا به في هذا الباب، ومع ذلك ليس لنا إلا أن نستعين بالقضم حتى ندرك الخضم بالقضم، وبالتالي التعامل بالبحث في الموجود الذي لا يخلو من شذرات.

وكان المرتدون من العرب يقولون "لو كان محمد نبيا لم يمت" [215].

ومن أسجاع راهب من أهل هجر أسلم قال للمسلمين: سمعت في عسكركم في الهواء سحرا "اللهم أنت، الرحمن الرحيم، لا إله غيرك، والبديع فليس قبلك شيء، والدائم غير الغافل، الحي الذي لا يموت، وخالق ما يُرى وما لا يُرى، وكل يوم أنت في شأن، علمت كل شيء بغير تعلّم" فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على حق [216]" فها هي فصاحة الكاهن قد أبقوا عليها، لأنها لصالح الإسلام، وما سواه أجدر بأن يحرق على حد ما ورد في كتاب أبي بكر الصديق من إحراق حتى المرتدين.فكيف بإنتاجهم.

إذا كان القرآن الكريم لم يجمع في كتاب واحد في حياة النبيء، بل كان مجزّءا في عسب النخل واللخاف والعظام وما تيسر من الرقاع، فلأنه مازال ينزل، والمرجع هو الرسول (ص) مازال حيا، لكن لما مات الرسول، وقتل من المسلمين في معركة اليمامة ضد مسيلمة **ألف ومائتان**، منهم تسعة وثلاثون من كبار الصحابة، **وسبعون من حفاظ القرآن الكريم**، وهنا ظهرت عبقرية أبي بكر لجمع القرآن، وهنا نتساءل بأي قلم كتب؟ وهو بدون نقط ولا شكل؟ إلا أنه كان مقروءا محفوظا متواترا، وفي تلك الظروف سيكون الحرص شديدا حسب قاعدة التواتر، حتى لا تَجد أسجاع المتنبئين سبيلا إلى ما يجمع من القرآن المحفوظ في الصدور، ومن الطبيعي أن يلغى كل ما نسب إلى المتنبئين، بل حتى ما سمع عن طريق الآحاد، وأما تحدي المتنبئين فلم يصلنا منه إلا الشواذ، وما أشبه ظروف معركة اليمامة العربية بمعركة تامسنا االبرغواطية، ولك أيها القارئ حق المقارنة، من حيث سفك الدماء، وما ترتب عن ذلك من تعطيل مسار التاريخ إلى حين.

---

[215] الكامل ج 2/ 341.
[216] تاريخ الكامل ج 2/ 344.

مرشدة المهدي بن تومرت :

"اعلم أرشدنا الله وإياك، أنه وجب على كل مكلف أن يعلم أن الله عز وجلّ واحد في ملكه، خلق العالم بأسره العلوي والسفلي، والعرش والكرسي، والسموات والأرض، وما فيهما وما بينهما، جميع الخلق مقهورون بقدرته، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، موجود قبل الخلق، ليس له قبل ولا بعد، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، ولا كل ولا بعض، لا يتخصص في الذهن، ولا يتمثل في العين، لا يتصور في الوهم، ولا يتكيف في العقل، ولا تلحقه الأوهام والأفكار، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ليس معه مُدبرٌ في الخلق، ولا له شريك في الملك، حيٌّ قيّوم، لا تأخذه سنة ولا نوم، عالم الغيب والشهادة، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، يعلم ما في البر والبحر"، "وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين[217]. أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، فعّال لما يريد، قادر على ما يشاء، له الملك وله الغناء، وله العزة والبقاء، وله الحكم والقضاء، وله الأسماء الحسنى، لا دافع لما قضى، ولا مانع لما أعطى، لا يرجو ثوابا، ولا يخاف عقابا، ليس عليه حق، ولا عليه حكم، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل، لا يسأل عما يفعل، وهم يُسألون، لا يقال متى كان؟ ولا أين كان؟ ولا كيف كان؟ كان ولا مكان، كون المكان ودبر الزمان، ولا يتقيد بالزمان، ولا يتخصص بالمكان، لا يلحقه وهم، ولا يكيفه عقل، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"[218].

يمكن للقارئ الكريم أن يقارن بين فصاحة المهدي بن تومرت الأمازيغي البربري مع أسجاع المتنبئين من العرب، ليدرك الفرق واضحا مما يؤدي إلى الشك فيما وصلنا، وإلا فأين فصاحة العرب؟ ونحن كذلك لم نعثر على "قرآن" نسب للمهدي هذا إلا ما يشاع ولا أثر له. اللهم إلا ما نلاحظه من هذا الخطاب المهدوي المقتبس من القرآن الكريم.ومن المنطق أن تكون هذه المرشدة باللغة الأمازيغية أولا، وهذا يذكرنا بما قيل عن خطبة طارق بن زياد.

---

[217] سورة الأنعام الآية 59.
[218] كتاب المهدي بن تومرت ذ النجار ص 448.

ومما بقي متداولا كلما أفصح أحد في خطابه بالأمازيغية إلا ويقال هكذا "**تاشلحيت نـ بومهدي**" يقصدون اللغة الشلحة الفصيحة التي يلقن بها المهدي بن تومارت مرشدته إلى المصامدة، وقد أشار المؤرخ مارمول كربخال إلى ذلك بقوله :

"يتكلمون اللغة الإفريقية الصافية المسماة **الشلحة وتامازيغت** وهما اسمان قديمان جدا[219]". وكلمة تاشلحيت تعني لغة فصيحة ولذلك يقال لمن أفصح في خطابه بدون ألفاظ دخيلة تاشلحيت نـ بومهدي، أو تاشلحيت يسقاقن،أو تاشلحيت نـقورن،أو تاشلحيت إيمّيمن أو أوال يفولكين أو أوال نسّوسمن، "النظم الأعجمي الأعذب" على حد قول الكشتيمي العلامة عبد الرحمان التيملي.

ترجمة المرشدة بالأمازيغية " نقّاند أد تسّنت: ـ أد اغ يمل ربيّ نملك ـ هانّ نلاّ ف كرا يگان امازضار (أنازوم) أد يسّن ربّي لّي يگان اندّابو أخاتار، يان أيْگا غ تگلديت نس، يسكر أماضال كرا يْگا، أماتّوي وْلا امازدار، غيكلّي يسكر أدابو وْلا أبادو، غيكانّ د يگنوان وْلا أكال، وْلا ما گّيسن نلاّن غيكا نّ د گر اتسن .كرا يتّوسكارن يتّونرا سـ تدوسي نس، وْر ايّتّموسّو كرا نـ وْبلغوش بلا سـ توراْيت نس، نلاّ ربّي وْر تا يلّي وْسكّير، وْر يلي تازْوارا وْلا تيگيرا، وْلا يلا افلاّ وْلا يزدّار، وْلا تاسگا تافاسيت وْلا تازْلماط، وْلا أمنيد وْلا ضارات.

وْر يگي گيگان وْلا يگا نميكّ، وْر ت يومي وموگّض،وْلا أرت يتّاگز يزْري، وْر يلي أولاف غ تّومّيلات، وْلا أرت يتّاگز وْنلّي، يا گّوگ نلغالغ، وْلا اسوينگم،.وْر يلّي ماتّ يرْواسن، يگا امسّفلد أماناي، وْر يلي أسّوگدو غ وسكّير، وْلا أمادراو غ تگلديت، يگا أمودر أناْزمار، وْر ات يسلاي وْنودّم وْلا يطّص، أشكوا يگا أماناي نـ كرا ينتلن، وْلا كرا د يوگّا ن، وْر اس ينتيل وميا غ واكال وْلا يگنّا، يسّن كرا يلاّن غ وماضال(أمادل) وْلا اگرْوال.

هانّ وْر اد يضر كرا نـ وفراو غ تادّاگت نس، بلا يغ سرس يسّن، وْلا كرا نـ واقا غ وگنس نـ تيلاّس نـ واكال، وْلا كرا نـ توگا، وْلا يغ قورنت، بلا يغ يتّيارا غ ودليس يفرن، يسّوتل د نـ كرا يلاّن سـ توسّنا نس، يسّوضن كرا يلاّن يان سـ يان، أشكو ربّي أر يسكار كرا يرا، يزْضار نـ كرا يرا، يطّاف أيْدا يگّوتن، يگا اندّابو وْر

[219] مارمول كربخال افريقيا ج 1 ص 116.

يتّسمادن، أزرف نس وْر يلي أماواغ، ماشّ يلا أسّاعن فولكينين، وْر يلّي ماراد يسّينف أزرف نس، وْلا ماراد يسّاگي ماد يفكا، وْر يلكيم ف وارّازن، وْلا يكصوض تامارّوت، وْلا يطّفارت نـلي، وْلا يكصوض أزرف،.كرايْگات تيگّي غ دارس تگا تانافوت، غيكا نّ د كرايْگات تيغاوْت غ دارس تگا أسومو، وْر أيتّوسقّسي غ كرا يسكر، ماشّ كرا يلاّن أر يتّوسقّسي،.وْر أيتّوتّي ماناكو يلاّ ؟ وْلا ماني غ يلاّ ؟ وْلا مانيك يگا؟ يلاّ ماشّ بلا أدغار، أشكو نتّا أد يسكرن أدغار، يسوگدا أزمز، وْر يلي أزمز، وْلا يلا أدغار، وْر يلي أولاف غ تّومّيلات، وْلا أرت يتّاگز وْنلّي، وْر يلّي كرا ت يرواسن، أشكو يگا أمسّفلد أماناي.

القرآن بالنسبة لكل مسلم مقدس:" الأصل في القرآن الكريم التلاوة والقراءة والحفظ في الصدور.عن عائشة أم المؤمنين على لسانها جاء كرّتين : " وحي يتلى، وأمر يتلى، لا يدوّن أو يكتب أو يرقم أو ينسخ" إن الرؤيا تخضع لتعبيرات مختلفة، وتفسيرات شتى، وتأويلات متباينة، بعكس الآيات القرآنية الحاسمة في الفصل بين الحق والباطل"[220].

كثيرا ما ثار نقاش حاد حول ما نسب لدولة برغواطة بين مهاجم ومدافع، لكن بعيدا عن المصادر والمراجع، وذلك ما دفع بي إلى جمع ما سجله المؤرخون، وبما كفرهم به خصومهم، وما الداعي إلى ذلك؟ لأن الفكر الأمازيغي المغربي يصعب عليه أن يقبل كثيرا من التشويش على تاريخ دولة استمرت في أغنى إقليم بمغربنا العزيز لمدة 461 سنة. وكثيرا ما لاحظت بدوري من الشباب من يريد أن يدافع عن دولة مغربية قديمة اعتمدت على اكتفائها الذاتي فكرا ولغة وعقيدة وإنسية وقوة عسكرية واقتصاديا وحضاريا وعمرانيا وتشريعا، ولها علاقات خارجية واسعة مع الجيران، .صحيح أن كل هذه المواصفات لا يمكن أن تنشأ من لا شيء، كما لا يمكن أن تستمر لأربعة قرون وزيادة، إذا لم تتوفر لها مقومات كافية.

استمرار مقاومة برغواطة رغم ما زعموا في إنهائها: ومما يدل على تمكن دولة برغواطة وقوة مقاومتها، ما ورد في نصوص منها: "وقد كان لملوك العدوتين في غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة من **الأدارسة والأموية والشيعة** إذ

[220] النص المؤسس ج 1 ص 87.

قاتلهم الأدارسة والفاطميون والزيريون والزناتيون والمرابطون والموحدون، ولما زحف بولوكّين بن زيري بن مناد الصنهاجي إلى المغرب زحفه المشهور، أجفلت قبائل زناتة وملوكها بين يديه وانحازوا إلى سبتة، وأطلّ عليهم من جبل تطوان، وعاين جمعهم الكثيف، رجع عنهم إلى جهاد برغواطة؟ فأوقع بهم وقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبي الأنصار، وبعث بسبيهم إلى القيروان؟ وذلك سنة تسع وستين وثلاثمائة.(369هـ) ثم حاربتهم أيضا جنود المنصور بن أبي عامر الأندلسي لما عقد ابنُه عبدُ الملك المظفر لمولاه واضح على جهاد برغواطة، فعظم أثره فيهم بالقتل والسبي.ثم حاربهم أيضا بنو يفران، لما استقل بنو يعلى بن محمد بن صالح منهم بناحية سلا وأقتطعوها عن عمل زيري بن عطية المغراوي صاحب فاس.وكان لأبي الكمال تميم بن زيري بن عطية فيهم جهاد كبير، حسبما تقدم التنبيه عليه، وذلك أعوام العشرين وأربع مائة، فغلبهم على تامسنا، وولى عليها من قبله - بعد أن أثخن فيهم سبيا وقتلا.

وهذا نفس ما زعمه الأدارسة من الاستيلاء .إلى أن جاءت دولة المرابطين، فأخبر عبد الله بن ياسين بأن بساحل تامسنا قبائل برغواطة في عدد كثير، وجمع عظيم، وأنهم مجوس، أهل ضلالة وكفر، وأخبر بما تمسكوا به من ديانتهم الخبيثة، وقيل له: إن برغواطة قبائل كثيرة، وأخلاط شتى، اجتمعوا في أول أمرهم على صالح بن طريف **المتنبي الكذّاب**، واستمر حالهم على الضلالة والكفر إلى الآن .فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الكفر، رأى أن الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم، فسار إليهم في جيوش المرابطين، والأمير يومئذ على برغواطة هو إبوحفص عبد الله من ذرية أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف - فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام، مات فيها من الفريقين خلق كثير، وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزولي - مهدي المرابطين - فكانت فيها شهادته رحمه الله."(الاستقصا ج 2 ص18 الكل يدعي الغلبة؟

دفاع برغواطة عن تامسنا : قدمت برغواطة تضحيات جسام، دفاعا عن أغنى إقليم غني في المغرب، فتجرعت بسبب ذلك مرارة السبي والإثخان في مجتمعها لعدة قرون، وقد تعرضت لغزوات خصومها المتعددين من الأقارب والأباعد، إلى حد أنه

كلما انتهى الغازي الأول بأنه قضى على برغواطة، إلا ويزعم الغازي الثاني أنه وجدها من الكثرة بمكان، فيعلن بدوره أنه اثخن فيهم وسبى وقضى عليهم، ثم يأتي الغازي الثالث والرابع والخامس فيكرر تحقيق نفس الانتصارات الخيالية، ويزعم أنه أدخلهم في الإسلام جميعا أو طردهم من غير رجعة.

"وهذا يونس بن إلياس أظهر دينهم ودعاهم إلى الكفر عام 234هـ، ومعنى ذلك أنهم كانوا مسلمين من ذي قبل، وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدائن تامسنا وما والاها، **يقال**: إنه حرق منها ثلاثمائة وثمانين مدينة، وقد أسند هذا الفعل في رواية أخرى إلى يوسف بن تاشفين، وهذا العدد المزعوم لم يعثرعليه في المغرب كله ولو في جميع عمران من مر في المغرب عبر قرون؟، والعجيب أنه لم يتفق المؤرخون حتى على عدد المدن المخربة لبرغواطة فكيف بغيرها! لذلك يجب الحذر من مبالغة أعداء برغوطة. كما لا يعقل أن يحرق ملك برغواطة مملكته وهو يدافع عنها، ثم كيف استلحم أهله بالسيف لمخالفتهم إياه وبهم يقاوم؟ وقيل بأنه قتل منهم بموضع يقال له تاملوكلات؟ وفي مراجع أخرى "تاملوكاف" - وهو حجر عال ثابت وسط الطريق - كيف يكون موقع سفكت فيه كل هذه الدماء مجهولا؟ وبه حجر عال ثابت لا يمكن أن يمحى من موقعه؟ وعدد القتلى سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين نفسا"[221]. كيف لا يشتهر مكان تلك المجزرة؟ فهل الهدف من ذلك هو تكريس التخويف؟ وإلا فها هو موقع مقتل آخر المرابطين في جبل كُـيليز بمراكش عند مدخل المدينة من الشمال، ما زال معروفا. وهو قريب من زمن برغواطة.

من حق المتفحص أن يشك حتى في أسماء وألقاب وكنيات أمراء برغواطة، فهم من مصمودة وأسماؤهم لم يدخلها التعريب المفروض إلا بعد مهدوية ابن تومارت، وإلا فكيف أقحم بعض المؤرخين " بن صالح بدلا من أبو صالح وعيسى بن أبي الأنصار عبد الله بن أبي غفير محمد بن معاد بن إلياس بن صالح بن طريف "؟![222].

كما قالوا "حقير بدلا من غفير، والمتنبيء الكذاب، والمهدي عبد الله بن ياسين، وما شئت من تغييرات" .لا بد لأسباب وغايات وأهداف لكل هذه التشويهات، ومن الضروري الإشارة إليها كلما سنح المقام، كما أن كنية أعلام برغواطة بعيدة عن

---

221 الاستقصا ج 2 ص 16.
222 الاستقصا ج 2 ص 17.

التحقيق، إذ لم تطبق قاعدة" الاسم والكنية واللقب " في العربية إلا بعد انتشار ألفيتي ابن معطي وابن مالك الأندلسي.

فالواقع لا يخلو، إما أن تكون تلك المزاعم العنترية خيالية، الغاية منها تبرير خسائر الغزاة متى انهزموا؟ أو أن شعب برغواطة نوع من **النباتات**، كلما حصدته سيوف الغزاة، كلما آتت أكلها ونمت وازدهرت مثل النبات في فصل الربيع، وهم ينتظرون غازيا آخر ليحصدهم من جديد!؟! وذلك يخالف ما وصفهم به ابن خلدون من الشجاعة والقوة ومقارعة الخصوم كما ذكر.

أما نغمة إرجاع أصل الأمازيغ إلى هناك وهنالك، فلم تعد الغاية منها خفية، وأغلب الروايات تتراكد بين **قال وقيل ويقال أو يحكى** عن فلان عن غيره " إن البربر أخلاط من كنعان والعماليق وغيرهم، أو أنهم جاءوا من الشام أو من اليمن" معنى ذلك أنهم قالوا: اختاروا الانتماء أيها الأمازيغ، وحتى لا يناقش ذلك ربطوه بقوله تعالى ،" فهزموهم بإذن الله، وقتل داود جالوت " ـ فتفرقوا في البلاد ـ وهم جذام الأرض، وكلها نفس العبارات التي تردد عن برغواطة.

وذكروا في الإسرائيليات أنه قتله بمقلاع كان في يده [223]". ونحن لا نشك في الآية الشريفة .ولكن ما هو الدليل المادي على أن من قاتلهم نبي الله داود هم الأمازيغ؟ فهربوا من فلسطين إلى شمال أفريقيا، وتاريخ الأمازيغ بحثيا كانوا في وطنهم تامازغا أقدم من داود وسليمان بآلاف القرون. وليس بحوالي (900 سنة ق م بفلسطين، وهاهو بقايا إنسان تامازغا يبرزها البحث العلمي حاليا كجمجمة محجرة سيدي عبد الرحمان بالبيضاء وجبل إغود في الشياضمة، ومقبرة الهرهورة قرب الرباط، ستين قبرا ترجع إلى ستين ألف سنة، وأفلو برمل بالجزائر اثنى عشر جثة، والبحث في المغرب ما زال في بدايته ماذا نصدق؟.

لماذا يكرس البعض حتى الآن أقوال ابن الكلبي: "إن البربر طردوا من الشام، فقيل بالوحي يادود أخرج البربر من الشام، فإنهم جذام الأرض"[224]. ومعنى ذلك لا نهاية لهم فاستمروا كل هذه المدة.والشرقيون عندما يفقدون الدليل يصنعونه بالشعر!. وها

[223] ابن كثير ج 1 ص 266.
[224] الاستقصا ج 1 ص 60.

هو الشام من جديد يصدر الفتن إلى الغرب الإسلامي، وقد يعيد التاريخ لجوء الهاربين من جديد؟.

وناذرا ما نصادف مثل الحافظين "أبي عمر بن عبد البر وأبي محمد بن حزم وأنهما قالا ما كان لحِمْير طريق إلى بلاد البربر إلا **في تكاذيب مؤرخي اليمن**"[225].

فما الداعي إذن إلى تكرار كل هذه الانتماءات إلى الشرق؟ وكل هذه الانهزامات؟ ودولة برغواطة مستمرة لمدة 461 سنة في وطنها تامسنا بقبيلها مصمودة ؟ حسب ما أكده ابن خلدون، الأمر لا يخلو إمّا أن الغزاة كلما انهزموا أمام مقاومة برغواطة أعلنوا عند رجوعهم أنهم فعلوا الأفاعيل وحققوا الانتصارات، وقد يخطفون الرعاة وماشيتهم، ويقطعون رؤوس البؤساء، وتلك عادتهم.وإلا فلا حرب بدون ضحايا، ولا داعي للافتخار بالمجازر بين البشر.

ولدينا نماذج من ذلك، إذ يبشر قادة تلك الجيوش سادتهم في القيروان، أو في الأندلس بما حققوه، وكثيرا ما يقدم ذلك في قصيدة رنّانة، وفي نفس الوقت يعد ذلك الشعر وثيقة تاريخية يستدل بها، ومع الأسف معظم قادة أولئك الغزاة من الأمازيغ أنفسِهم. سَلّطهم غيرُهم على إخوانهم، يتهمِ يتحملون وزرها، ومن المشاع حاليا أن شباب المغاريب يرجع من أفغانستان لينخرط في معارك في أحضان القارة الإفريقية، فأي جهاد في تفجير المساجد وإحراق الأضرحة والكنائس؟.

صحيح أن الحملات الغازية أثرت بالشريط الأول من شمال أفريقيا، وإلا فأي العرب وصلوا بجيوشهم إلى قمة الأطاليس؟ كيف نتصور انتصارهم بركوب الجمال، في قمم الجبال؟ مع العلم "أن العرب لا يهاجمون إلا في السهول، لاعتمادهم على المباغتة والكر والفر" (مخطوطة مرادي عبد الحميد الباعمراني) نحن لا ننكر أن كل معركة لا تخلو من الخسائر المادية والبشرية، ومن كلا الطرفين، والفرق أن ضحايا الغزاة يعدون من الشهداء، لهم دار السلام عند ربهم، بينما يعد غيرهم من الكفار مأواهم جهنم، وبئس المصير! هكذا يقرأ القران الكريم على هؤلاء وعلى أوليك، وقد أدركنا في حلقات المحلقين أن سيف أحد الأبطال يسقط مائة رأس من الأعداء في ضربة واحدة، وفرسه يبطش بأكثر من ذلك !؟ ومن أحاط بالحلقة يصفق بحرارة.

[225] الاستقصا ج 1 ص 67.

كيف نصدق القضاء المبرم المزعوم على برغواطة منذ الغازي الأول؟ فنكذب كل ما ردده الغزاة بعده؟ اللهم إلا إذا كان لبرغواطة **جِنٌّ يصارع الغزاة** كلما دخلوا تامسنا، وهذا العذر بدوره أعلنه ولاة بني أمية منذ دخولهم أفريقية (تونس)، وقد ورد في **موسوعة فريد وجدي** قصة عجيبة منها:

"إن عقبة ابن نافع الفهري. لما غزا المغرب، وصل إلى مدينة أمازيغية سورها من النحاس، خطف أهلها أفرادا من جيش عقبة، فسلط عليهم المجانيق، فقالوا له نحن من الجن، فطلب منهم إطلاق جنوده فأطلقوهم فانسحب " صدق أو لا تصدق ؟! وهل كان لعقبة مجانق؟.ولماذا لم يعثر البحث حتى الآن على أثر لمدينة نحاسية للجن في المغرب؟ من الجواب: إغراء الغزاة.

ونفس العذرنجده للمنهزمين أمام تاكَلْيدت تيهيا التي وصفوها بالساحرة وبالكاهنة واليهودية وبكونها بلغت من الكبر عُتياً، ومع ذلك تركب الفرس وتقاتل، وهي لاتغلب جيوش العرب إلا بسحرها، وخاصة إذا علمنا أن معظم من أرخ لبرغواطة وصفهم بالسحر والتنجيم، وحتى هذان الفنان تعلمهما علماء برغواطة من الشرق، ومن بقية السّوماريين والكلدانيين والبابليين والأشوريين، مع أن للفراعنة بمصر صلة وثيقة بالأمازيغ وعلى رأسهم "صيغة أمون"؟! ولماذا الذهاب إلى ميزوبوتاميا بعيدا في العراق؟. كل هذا يقرأه شبابنا بدون علامة استفهام!

كم من مرة قالوا:إن الكاهنة تغلب العرب بسحرها!؟: فقد التقى حسان بجيشه العربي مع الكاهنة الأمازيغية بجيشها " على **نهر نيني** (واد) واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، فانهزم المسلمون، وقتل منهم خلق كثير، وأسر ثمانون أطلقتهم سوى **خالد بن يزيد القيسي** فتبنته وَلداً، ومازال غلاما، لكنه تجسس عليها وغدر بها سِرّاً، وزعموا أنها قالت لولديها مع خالد فامضوا إلى حسّان، ولما انهزمت ولاهما على عسكر عدتهم اثنى عشر ألفا فأجابوه، بينما ذكر الواقدي أن حسان قتل الكاهنة وقتل أولادها اللاجئين إليه "[226]، صدق أو لا تصدق؟

يمكن أن نقبل أن الملكة تيهيا غضبت لقتل الملك كُسّيلا بعد إسلامه في **معركة ممس** قرب القيروان عام 69 /688م، فحلت محله في الدفاع كملكة أمازيغية، فملكت أفريقية

[226] الكامل ج 4 ص58.

جميعها، أي تونس فخربت ما يطمع فيه العرب من بعض القصور **في عين المكان**، وليس من القيروان إلى طنجة، كما يزعم من لا يعرف حتى طول المسافة بين المدينتين، ثم كيف تقدم أولادها للاستسلام قبل المعركة؟ وهي تحارب كعجوز؟ مع أنها تتكهن وتستطلع الغيب وتغلب العرب بسحرها؟ ولماذا لم تكتشف خالدا الغلام الذي تجسس عليها؟ مع أنها اكتشفت أن رسالة الوشاية كانت في الخبزة إذ قالت: [**وايمازيغن هانّ تاكَلْديت نّون تدّا غ تيبضيت نّون**] "ذهب ملككم بسبب تفرقكم؟" بدلا من ذهب ملككم في ما يأكله الناس، ولا شك أن هذه القصة صنعت بعد اكتشاف ما دار هناك وما شاع من فعل تجسس الغلام العربي الذي كان يراسل حسان برسائله في الخبزة، فاحترقت الأولى فنجحت الأخرى.

ومن الطريف أن ما علل به العرب انهزامهم أمام الكاهنة الساحرة بتونس أسقط كذلك على الأميرة زينب النفزاوية المصمودية بأغمات. ونلخص ذلك ليعرف القارئ الكريم، ما تعرض له تاريخ المغرب." وكان بمدينة أغمات امرأة جميلة تعرف بزينب النفزاوية ...وتقول: لا يتزوجني إلا من يحكم المغرب كله، فكانوا يرمونها بالحمق، وكان لها أخبارمستطرفة غريبة، كمثل أخبار الكهنة ،فبعض يقولون إن الجن يكلمها، وبعض يقولون هي ساحرة، وبعض يقولون كاهنة.ولما علم بجمالها أبو بكر بن عمر فخطبها وتزوجها، فوعدته بمال كبير .وكانت موسومة بالجمال والمال، وكان لها محاسن وخصال محمودة، وروية مستطرفة فقيل - والله أعلم - إن الجن كانت تخدمها وقيل غير ذلك [227]" وهذه الأميرة الأمازيغية تزوجها ستة أمراء آخرهم يوسف بن تاشفين وهي عبقرية في السياسة، وفريدة في الجمال، وخازنة الأموال.

"و قد نبه صاحب الاستقصا في الجزء الأول من كتابه إلى بدع أهل الشرق من الشيعة والخوارج ونوايا المذاهب" فكم يلزم المغاربة من مراجعة تاريخهم ليصححوا هذه الفقرة وحدها" ومتى ندرك عبقرية الناصري المكمونة في عنوان كتابه"؟. الاستقصا، لأخبار دول المغرب الأقصى؟وهو عنوان دال يخص المغاربة ويميزهم.

وبما أن دولة برغواطة مغربية، وعاصمتها أنفا حينا وشالة حينا آخر، وأزمور ثالثا وآسفي رابعا، وأنها قامت على أكتاف أكبر قبيلة تسمّى مصمودة، الممتدة من أقصى

[227] ابن عذاري ج 4 ص 18.

سوس إلى سبتة ومن بطونهم غمار بن مصمود أو ابن أصياد، يعتمرون رحاب الريف، بساحل بحر الدر من غير عين ببسائط المغرب، وأما حدود مصمودة الكبرى كما ورد في المراجع، فتمتد من ماست بسوس جنوبا إلى سبتة وشبه جزيرة طريفة شمال بوغاز جبل طارق، وكان حكمها يشمل في أوج قوتها جميع السهول الغربية لسلسلة الأطاليس الثلاثة والريف .بل يشمل حتى إمارة سجلماسة إلى أن تغلب عليها بنو مدرار، وكذلك أغمات ردحا من الزمن، حتى تغلب عليهما المرابطون تدريجيا، فوجدوا معظم المغرب الكبير تقريبا.ما عدا الشك في برغواطة ؟!؟

هذا ما يريد شباب المغرب أن يعرفه دون عنصرية أو افتخار زائد، لأن ما سجله بعض الآفاقيين عن برغواطة لم يعد يقنع أحدا، فالبحث الميداني وتقدم العلم، لم يعد يقبل إبقاء ما كان على ماكان، وخاصة أمام ما كرسه الرواة من تراكمات ضبابية لا تمت إلى الحقيقة بصلة، مستغلين تسليط مجموعة من المصطلحات المنقرة من ماضي مغربنا المتفتح، ومن جذور ماضيه المميز، مثل دولة برغواطة ولو وصفوها بالمجوسية وبلعناتهم، فهي دولة مغربية في الجاهلية والإسلام .شأن المغارة شأن جميع الدول، والعبرة بالمحافظة على المقدسات أولها الوطن.

فإذا لم يكن هذا مقبولا، فكل ما ذكر من تلك النعوت، ينبغي أن نجد لها أسبابها ودواعيها ونلخصها في امتداد القرون التي كانت تفصل بين زمن نبيء وآخر، فكثيرا ما عاشت أمة في فترة طويلة بين الرسل. قال تعلى: "وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا" فدولة برغواطة ليست مجوسية، ولا وثنية، لانتشار اليهودية والمسيحية بين المغاربة لمدة طويلة، ولما جاء الإسلام وجد عقيدة التوحيد بينهم، والأغلبية تتمتع بأخلاق كريمة لا يمكن أن تنشأ من لا شيء.

ولذلك كان الخصوم يعترفون بفكر برغواطة وبمعاملاتهم وبكرمهم وبعاداتهم وبنظافتهم وباحترامهم وبلغتهم الأمازيغية، وبنظامهم العسكري والاقتصادي ودولتهم القائمة بذاتها، وبقوة جيوشهم، واستمرار دولتهم لمدة طويلة، .كل ذلك باعتراف المؤرخين. لكن البعض لا يستسيغ ذلك، بل يصرون على محاربة الفكر المغربي الأمازيغي الذي يتحدّى كل من ينكر خصوصيات الأمة المغاربية عبر التاريخ.

فإذا قيل لحساد المملكة المغربية المتفتحة لماذا كل هذه العداوة؟ وجميع الأمم تعرضت للتطور، فالعرب أنفسهم كانوا يعبدون " هبل وما جاور الكعبة من الأوثان"وعددها (600) والفرس كانوايعبدون النار، وهم لا يدركون اشتعالها من البترول، والرومان كانوا يقدسون أبطال المصارعة، والأفارقة كانوا يقدسون الجن،والملائكة وقمة الأطلس وشجرة البلوط الإلهية المقدسة ، والهنود كانوا يقدسون نهر الغانج ويحترمون الحيوانات، والفراعنة كانوا يقدسون آمون (لصيغته الأمازيغية) واليهود كانوا يقدسون نهر الأردن، وسلسلة داود، وشعوب أخرى تخضع لكل ما له تأثير لا مفر منه، والأمازيغ مروا في جميع أطوار التاريخ والإسلام يجب ما قبله، لكنه ليس حتى في تاريخه.

فيرد ذلك الآخر قائلا: " كل ما كان في عهد الجاهلية قبل الإسلام يجب محوه من الوجود بالنسبة للمغرب الأمازيغي خاصة، حتى لا يفكر الأمازيغيون في كل ما يذكرهم بالماضي، ولو كان متقدما متطورا مزدهرا حضاريا".

فإذا قلت له لماذا وقع تكريس دراسة الشعر الجاهلي العربي وفرضه على مدرسة المغرب الكبير ليحفظه التلميذ الأمازيغي؟ رغم ما فيه من مخالفة العقيدة الإسلامية ؟ وما فيه من حمولة تمجيد الجاهلية العربية التي حذر منها الخليفة الثاني عمر ؟ فيرد بأن الهدف هو شغل المجتمع الأمازيغي بالفكر الأعرابي في الجاهلية والإسلام، إلى أن يصبح جزءا من ذلك الماضي الأعرابي، لعله يغسل ما بقي موروثا في ذاكرته على حد ما فعله " عقبة بن نافع بأمراء ليبيا في توليته الثانية كما ذكر؟ مع أن التبليغ بالآذان كاف لمن طبق ما سمعه ووعاه.

الإسلام ضد العنصرية:

1- هذا حسان بن النعمان يصف "البربر" إلى عبد الملك بن مروان بما يأتي: " إن أمم المغرب ليس لها غاية، ولا يقف أحد منها على نهاية، كلما بادت أمة خلفتها أمم، وهي من الجهل والكثرة كسائمة النعم[228].

[228] ابن عذاري.

2- "وذكر الهمداني مرفوعا إلى أنس بن مالك قال: جئت إلى النبيء (ص) ومعي وصيف بربري، فقال: يا أنس: ما جنس هذا الغلام؟ فقلت بربري يارسول الله! فقال: يا أنس! بعه، ولو بدينار، - فقلت له: ولم يا رسول الله! قال: "إنهم أمة بعث الله إليهم نبياً فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه، وبعثوا من المرق إلى النساء فلم يتحسّوه.فقال الله تعالى: لا أتخذت منكم نبياً، ولا بعثت فيكم رسولا!"[229] لماذا يكرس مثل هذا القول؟ وهل نتصور مثل هذا من رسول رب العالمين؟ وهذه فتوى خطيرة توحي للمغاربة بكراهية مذهب مالك الذي وقف في وجه المذاهب الشرقية الأخرى.

3- ويضيف ياقوت : "ويروى عن النبيء (ص) أنه قال: ما تحت أديم السماء ولا على الأرض خلق شر من البربر، ولئن أتصدق بعلاقة سوطي في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق رقبة بربري" (نفس المرجع) وما الفرق بين العنصرية والإرهاب والظلم وخرق حقوق الإنسان وسفك الدماء بلا حساب؟ كل هذه الجرائم ضد الإنسانية وضد الكتب السماوية :وكتاب الله يقول:" ولقد وصنا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله "[230].

يظهر من هذه المرويات أنها من رد فعل المنهزمين أمام الدفاع الوطني الأمازيغي عن وطنه تامازغا، ولم يبق للمنهزمين إلا التشفي بالتمتمة التي هي حق من حقوقهم، مع العلم أن هناك روايات أخرى أشادت بالأمازيغ. وما روي عن فاطمة بنت الرسول حول البربر أنهم قوم سيحمون أبناءها أو ما في معناه.."فالهدف إذن هو محو الماضي الأمازيغي وهويته في وطنه تامازغا، والعرب لم يفعلوا إلا ما حاولته روما قبلهم، والوندال بعدهم، وبزانطا وراءهم، وقلدهم الغرب حديثا والفكر البعثي ألإسلاموي المتطرف مؤخرا، ومع ذلك فالأمازيغي راسخ في وطنه، ومتجذّر في أعلامه، ومحافظ في جغرافية لغة أسمائه النباتية والحيوانية والمعدنية، مع الوحدة في التنوع" وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.ولا تنال منهم تكفير متفقه، ولا تطرف مشعوذ، ولا سياسة بليد مُهوَس، ولا مزور للتاريخ، ولا مكفر بأشداقه .المغرب أمة عظيمة ولها تاريخ مجيد.

---

[229] دراسات في تاريخ إفريقية محمد الطالبي ص 52.
[230] سورة النساء الآية 131.

فإنكار هذا كله معناه في نظر الآخر، أن الإسلام ضد جميع الحضارات؟ وليس الإسلام كذلك أيها الآخر، بل الإسلام بمعنى المسالمة، وهو الحضارة المادية والمعنوية والروحية، وفي القرآن الكريم، ذكر من سبق احتفظ به مقبولا فتبناه، أومرفوضا ألغاه أو عدله، أو متشابها نبّه إليه ما لم يقدح في عقيدته، ومعنى ذلك أنه مهيمن على ما سبقه، وهو يهدي إلى الأخوّة والمحبة والتعاون.

والقرآن نفسه وصلنا بلغة لسان من نزل عليه، وهو لسان عربي مبين، كسبت هالة بفضل من اصطفاه الله برسالته نبيئاً وخاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كسب الشرف بنزول هذه الرسالة الخاتمة لما سبق، فلغة القرآن، من لغة الأعراب في الجاهلية, عبدت بها اللاّة والعُزّى ومناة، وهي سابقة لنزول القرآن في شبه الجزيرة العربية، شأنها شأن العبرية قبل نزول التوراة، والسريانية قبل نزول الإنجيل، والأمازيغية كانت قبل قرآن برغواطة ..وهكذا مع جميع الرسل ليبينوا للناس بلسانهم، فالعربية استمرت كلسان العرب في الجاهلية والإسلام، فهل ينكرها عاقل لأنها كانت في الجاهلية عبدت بها الأوثان؟والأمازيغية لغة هذا الوطن مثلها.

فالعربية كتب بها القرآن فيما بعد، فهي لسان شعب مثل جميع الألسن، والرسالات السابقة، عبّر الناطقون بها عن كل ما تعجّ بها بيئتهم، من خير وشر، وحكمة وسفاهة، ومجون وخمريات، وترهات الكهنة وزقزقة العصافير، وخرير المياه، وحفيف الأشجار، وعبّروا بها عن أوصاف الجمال، وعن أنواع الزهور، وخشونة الفحشاء والمنكر، وقساوة الطبيعة وغزارة الخيال.

فهي لغة واسعة في ميدانها البدوي، ووعاء لضم كثير من المعجمات التي ليست منها في شتى الميادين المشار إليها "أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها" ؟ فالقداسة التي يدعيها البعض للغة العرب حاليا ليست موروثة فيها، وإنما كسبتها بفضل جزء من معاني معني ما دل عليه كلام الله، مثل سائر لغات الرسل المعبرين بلسان قومهم ليبينوا لهم ما هو المطلوب منهم.

ومن ادعى غير ذلك فقد جسّد، لأن اللغة وسيلة فقط،، ومن جعلها غاية في الدين فهو على غير هدى مهما حاول من الاستدلال إذ "كلام الله ليس بصوت ولا حرف". فالله تعالى موجود، لا كالموجودات، فكذلك كلامه لا كالكلام، ومما روي عن كعب الأحبار

وعن محمد بن كعب القُرَظِي ونحوهما من الذي سمعه موسى كان كأشد ما سمع من الصواعق، وفي رواية كالرعد الساكر، فذلك كله غير مقبول عند المحققين من أهل الأصول".**[غيد أيْـكَـان مْـرزْ نـ تـاناوين]** معناه **هنا** مكسر السفن على حد قول الصوفي سيدي لحسن أوتمودّيست البعاقيلي.

للعرب أن يعتزّوا بلغتهم، ولهم أن يقدّسوها ويتفاخروا بها، ولكن ليس لأحد أن يحتقر اللغة الأمازيغية في وطنها تامازغا، كالذين يرددون :"الأمازيغية ما هي كلام، والعسل ما هو إدام" فهل هذا جزاء من ساهم في معيارية العربية نظما ونثرا وشعرا، كما فعل الفرس بدورهم في تقعيد اللغة العربية، فماذا فعل غيرهما؟ أليست الحروف الأرامية بدون نقط ولا شكل؟ وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم استحقت كل تضحية.

لنرجع إلى لغة برغواطة التي اعترف الكتاب الشرقيون بوجود قرآن بها في موطنهم تامسنا، إنها لغة برغواطة، وهي لغة المصامدة الأمازيغ المغاربة الأحرار، الذين أسسوا إمبراطورية الموحدين المعروفة، ولغتهم كذلك معروفة قديمة قدم هذه الأمة في وطنها تامازغا، أو على الأصح من الدوحة العظيمة المتفق عليها **"تامازيغت"** وهي تحمل في طياتها ما يدل على حيران شعبها، والتعبير بها على ما له فضل ومنفعة، أو له تأثير نافع، أو تخويف ساطع، في ملكوت السموات كالشمس والقمر والنجوم، كما وقع لخليل الرحمان إبراهيم عليه السلام، "فلما أفل قال لا أحب الأفلين" والهوية الأمازيغية من أعظم أسس هذه الأمة، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل،"وكل من ينكر حق الأمازيغية في وطنها، **فإنه يسبب في إيقاظ الفتنة**"[231].

ومن الجهل بالتاريخ أن ينكر أحد وجود كلمة التوحيد لدى الأمة المغاربية الأمازيغية ويزعم أن العرب الفاتحين في عهد عقبة هم الذين أوصلوها لأول مرة، بينما كانوا يؤمنون بالرب الذي لا معبود بحق إلا الله.

من تاريخ الديانات في شمال أفريقيا: ورد في كتاب تاريخ الجزائر للشيخ مبارك الميلي أن الباحثين على الآثار بالمغرب أثبتوا لأهله ديانة، فهل عن رسول من الرسل لقوله تعالى "وإن من أمة إلا خلا فيها نذير "أولطول العهد فظهر تحريف الدين بالغلو أحيانا؟ والابتداع تارة، ومن ثم إلى الوثنية".

[231] من مذكرة جهادي إلى لجنة دستورسنة 2011م.

"كان لقدماء المغرب ديانة سماوية اليهودية منذ القديم، ثم الديانة النصرانية في عهد الرومان، ثم الديانة الإسلامية على يد سبعة رجال الركّراكّة، ثم على يد عقبة بن نافع، ثم من والاهم، كما لبرغواطة خليط من الديانات، إلى أن ادعوا النبوءة، كما كانت ثوراتهم أحيانا على بعض الولاة الغاشمين من العرب .مما لا تخلو منه أمة من الأمم"[232].

والكلام في هذا الباب بلغ فيه الجدال أشُدّه، حتى بين كبار القوم، ولنستمع إلى الرازي في إحدى مناظراته إذ قال: "من أين أوجبتم أن الله اختص قوما بالنبوة دون قوم وفضلهم على الناس؟ وجعلهم أدلة لهم، وأحوج الناس إليهم؟ ومن أين أجزتم في حكمة الحكيم؟ أن يختارهم لهم ويُشلى بعضهم على بعض.." لماذا تهمل مثل هذه النصوص وتستبعد عن المذاكرات ؟

وهذا الجدال كان مشاعا في الشرق الأوسط، وكل حزب بما لديهم فرحون، فالأولى بحكمة الحكيم، ورحمة الرحيم، أن يلهم عباده أجمعين معرفة منافعهم ومضارهم في عاجلهم وآجلهم، كالأمة الأمازيغية التي وجدهم القرآن قد وصلتهم التوراة والإنجيل والزبور، ثم سمعوا بنبوة محمد (ص) فختموا بالقرآن الذي هاجر إليه المؤمنون منهم، فنقلوا ما سمعوا منه من مهبط الوحي - من مكة أو من المدينة حسب الروايتين - إذ لم ينزل كله بعد في ذلك الوقت، وهم أفراد يعدون برؤوس الأصابع (الركّراكّة) فنقلوا ما سمعوا من الرسول نفسه، بعدما فهّموه بلغتهم إلى أمتهم بلغتها الأمازيغية،.أو على الأصح نقلوا ما اتفقت عليه الرسالات السماوية، وهو التوحيد، لإن القرآن في زمن رحلة الركّراكّة لم ينزل كله بعد، وما نزل منه لم يجمع في مصحف واحد إلا في عهد عثمان على الأصح، فماذا إذن أضافته رحلة الركّراكّة لما عندهم؟.

إنهم تأكدوا على استمرار صحة الإيمان بما هم عليه من رسالة الإنجيل، فأضافوا إليها ما جاء به القرآن وما زكّاه، فصاروا من صحابة الرسول محمد (ص) فبلغوا لمصمودة التي منهم ما يفيدهم، وإن رفض الآخرون أن يكون الصحابة من الأمازيغ بهذه الأسبقية، مع أن الركّراكّة المغاربة والحبشة الإفريقيين من السباقين إلى

[232] الكانوني بتصرف ص 87.

الاتصال بنبوة محمد (ص) في الوقت الذي اضطهده إخوانه وقومه قريش. فلتراجع أسباب وظروف هذه الآية "وما كان الله لضيع إيمانكم"[233].

مع العلم أن القرآن **نزل مقروءاً وليس مكتوبا**، كما نزل منجّما مفرقا حسب الأحداث والوقائع، فما وصل منه إلى الأمازيغ كان محفوظا في الصدور، أومكتوبا بدون نقط ولا شكل، إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان، وهو باق على حالته الأولي، إلى عهد حجاج بن يوسف. فأدخل التنقيط على ما **كتب بالحرف الآرامي**، فأرسلت منه أربع نسخ واحدة إلى شمال أفريقيا، (فرجعت في عهد الفاطميين) فبدأت ترجماته بلغة الأقوام والشعوب منها اللغة الأمازيغية كما ترجمت سائر الرسالات الربانية، وكلها صادرة من مشكاة واحدة، ونظرية أفلاطون في تقدم الفكر لا تجحد.

ولا يظن أحد أن رسالات الله كانت سهلة التبليغ، فقد قيل للرسول (ص) منذ البداية " ما جاء أحد بما جئت به إلا عودي".وفي حواره (ص) مع عمه أبولهب ما سجلته سورة المسد، دليلا على أول المعارضات من أقرب الناس إليه (ص).

وقصة سراقة الفارس الذي أراد أن يربح الرهان بالقبض على محمد وصاحبه أبي بكر الصديق في أول الهجرة، فيها ما أقنع هذا الفارس وحده دون غيره، إذ لو نجح في مهمته وقبض على محمد لاتخذ التاريخ مجرى آخر، لكن الله عصم رسوله من الناس ولو كره الكافرون، وهذا أبوجهل يحذر قوم سراقة المتعظ بما حبسه عن تحقيق أطماعه المادية فأنذر أبو جهل قومه بقوله:

بني مُدلج إنّي أخاف سفيهكم * سراقة مُستغوٍ لنصر محمّد

عليكم به ألاّ يفرق جمعكم * فتصبح شتى بعد عز وسؤدد

فرد عليه سراقة:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا * لأمر جوادي إذ تسوخ قوائمه

عجبت ولم تشكك بأن محمدا* رسول وبرهان فمن ذا يقاومه

عليك برد القوم عنه فإنني* إخال له يوما ستبدو معالمه

[233] سورة البقرة الآية 143.

لنقبل هذا الحوار على عواهنه، فما العيب إذن لمَيْسرة المدغري الذي أوصل معاني القرآن الكريم بترجمته إلى قومه؟ على تقدير أنه ترجمه باللسان الأمازيغي الأعذب، لكي يوصله كما أوصله الفاتحون إلى الفرس والديلم والترك والأفغان، فلماذا حرموا ترجمته بالأمازيغية في المغرب الكبير؟رغم أن علماء الأزهار بمصر أفتوا بترجمة القرآن إلى البربرية لسكان شمال أفريقيا منذ سنة 1912م (الدكتور شوقي بخزانة الكتب بالقاهرة حيث سلمت لجهادي شهادة تقدير.

بينما في مدينة العلم فاس "صدرت فتوى بقتل مترجم معاني القرآن الكريم بالأمازيغية من طرف مفتيهم قائلا"[*أين النعرة العربية* ؟] فهل أدرك المفتي مستوى فتواه؟ أم نسي أن أمير المؤمنين هو حامي حمى الملة والدين؟ وهل اطلع هذا الفاسي المفتي على ستمائة ترجمة للقرآن الكريم بلغات العالمين؟ غفر الله لك أيها الفقيه،واعلم أن مدينة العلم لا يليق بها ما ذكرت.

أن مسيرة التاريخ الإسلامي قد تعرضت إلى روايات شفوية ومسجلة ،ولتفسيرات وتأويلات أدت كلها إلى إغناء الثقافة الإسلامية، انطلاقا من أقوال وردود، لم تترك أي ملجإ لمن ليس على صواب.حتى سورة الفاتحة لم تنج من ذلك " وصلت إلى سورة الفاتحة ذاتها، وهي أم الكتاب، فقال بعضهم إنها مكية، والآخر إنها مدنية، وثالث إنها نزلت مرتين أي بقرية القداسة أولا، ثم بيثرب، ورابع الأقوال: قسمها شطرين أولهما بمكة والآخر بأثرب"[234]. لكن الجميع في مذهبنا أن لا صلاة كاملة بدون الفاتحة.

والعجيب أن لا أحد من المؤرخين أنكر على برغواطة ترك فاتحة الكتاب،إذ قالوا: كانوا يصلون صلواتهم وقالوا "بعضها كصلاتنا" ولم يشر أحد منهم قط إلى سورة الفاتحة عند برغواطة وهي أم الكتاب، وهي السبع المثاني عند البعض، وعند البعض الآخر أن ذلك هو السبع الطوال[235]. ويذكرون في بداية قرآنهم أو ترجمته كلمة "استفتاح قرآنهم" مع العلم أن برغواطة لم يتوصلوا بالقرآن إذ لم يجمع في بداية دولتهم حسب رواية من قال : "محاكاة الرسول"فهم عجم، وابن خلدون يقول: العلم ذهب به العجم، أليس صهيب الرومي نموذجا من العجم ؟ وبلال الحبشي مقاوما من الأفارقة العجم ؟ وميسرة المدغري مهاجرا ومعلما من الأمازيغ العجم وطارق بن

[234] الإتقان للسيوطي والبرهان للزركشي والنص المؤسس ومجتمعه ج 1 ص 66.
[235] ابن كثير ج 2 ص 510.

زياد النفزي بطلا فاتحا من المغرب الكبيرمن العجم ؟ وعكرمة الأمازيغي (البربري) من المفسرين الكبار من العجم ؟ وطريف البورغواطي من الضباط العسكريين الممهدين لفتح الأندلس البرغواطي من العجم ؟ وهو من تامسنا بالذات موطن برغواطة، وهو الذي سميت شبه جزيرة طريفة في إسبانيا باسمه حتى الآن؟.

ولم لا يطلق اسم هذه الشخصية على علم مغربي راسخ، وهذا راشد مولى إدريس كان محبا لآل البيت ومخلصا في اختيار من جاء به لقومه، لقطع الصلة بالهجومات الشرقية على المغرب، ولإيقاف تعسف ولاة الشرق في المجال الإفريقي. قليل من يفهم مغزى كيفية التخلص من بيعة من لا يقدرها من خلفاء الشام.

أليست إمارة أوربا الأمازيغية من الذين يؤثرون على أنفسهم بمملكتهم في مدينة واليلي للرجل الهارب بروحه من أجل إعلان المغاربة أن **"الغرب غرب، وأن الشرق شرق"** وبينهما برزخ لا يبغيان، ولسان حالهم يقول:"هم رجال ونحن رجال على حد قول الشافعي" .ومن الأمثال "كل ما يأتي من الشرق مليح، ما عدا ابن آدم والريح" ولا يفهم من ذلك كراهية المصلحين حيثما قدموا منه، ومن الظلم إنكار تأثير حضارة الشرق الأوسط على المغاربة، ومن الجهل بالتاريخ إنكار الشرق تأثير المغاربة عليه سواء بسواء.

العنصيرة في المفتي، وليست في الكتاب: ورد في كتاب البداية والنهاية ج 6 /324 قال أبوبكر من أهل تاناس بليبيا "لو كان معي عشرة أسهم لرميت الروم بسهم، ورميت المغاربة بتسعة، فلما قبض عليه سلخ بين يدي المعز لدين الله الفاطمي، وحُشي تِبْناً وصُلِّب" وهذا نموذج من خصوم الفاطميين نال جزاءه، ولا يبعد أن يكون معظم ما قيل عن الفاطميين من أكاذيب هذا النوع من المستلبين ومن كان على مذهب هذا التناسي التاعس. وهذا نموذج من رد فعل المغاربة على من يكفرهم مجّانا.

ذكر السيوطي عن العبيديين الفاطميين "أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة، ولذوي المعارف محبوبة، ثم قال: ولم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة، لأمور ذكرها في تاريخه"[236].

[236] تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين للسيوطي ص 2.

وفي كتاب ـ خلاصة الأثر ـ "أن الشيخ الزقاق العالم الفاسي كان يقول: "من قتل سوسيا كان كمن قتل مجوسيا" فلما قبض عليه الشيخ السعدي بفاس، قطع رأسه بشاقور، ونفس المصير نال خطيب مكناس حرزوز المكناسي الذي يقول في خطبة الجمعة: " جاءكم أهل السوس الأقصى البعاد، ثم يذكر الشيخ ملك السعديين ويقول: "وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد" (سورة البقرة / 204 "وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم، ولبيس المهاد"[237]. (البقرة 206) كما قال صاحب الاستقصا[238].

فهل تستحق دولة السعديين هذه الفتوى من مستوى هذين الفقيهين؟ ألم يحرر السوسيون بقيادة السعديين شواطئ المغرب من الاستعمار البرتغالي ابتداء من أكادير "إلى المغرب كله؟ ألم يصد المغاربة أكبر هجوم استعماري بقيادة السعديين في وقعة وادي المخازن؟ ألم يقفوا أمام المد العثماني مما فصل المغرب عن الشرق؟ لماذا يترك المجال لمثل تلك الفتاوي النارية تبلغ للدهماء على المنابر التي وضعت لكلمة التوحيد وتوحيد الكلمة؟

من التاريخ أن للفاطميين ـ وهم من شمال أفريقيا ـ دورا في تخريب شمال أفريقيا، كما لهم أيضا دور لا ينكر ولا يجحد، فقد حرروا مصر وفلسطين والحرمين الشريفين، واسترجعوا الحجر الأسود من البحرين، بعدما بقي هناك 25 سنة؟ فانقطع موسم الحج؟ ألا ينبغي إعادة النظر فيما قيل عنهم من سيئات، مع موازنتها لما لهم من الحسنات، فهي دولة مغاربية مثل دولة برغواطة، وكلاهما قد جرب حظه في التاريخ.

ألم يأن للمغاربة أن يردوا على الخصوم حجة بحجة؟ ودليلا بدليل؟ لماذا تصدر مثل هذه الفتاوي قديما وحديثا وحاليا من مثل أولئك المتشددين؟ كنموذج **الفقيه التناسي** من ليبيا، والزقاق من عاصمة العلم بفاس، وحرزوز من عاصمة الزيتون مكناس، قال تعالى: "والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم"[239].

[237] (البقرة 206) (عن الاستقصا ج 5 ص 29.
[238] الاستقصا ج 5 ص 29.
[239] سورة يونس الأية 27.

وعدم الرد على المتطرفين هو الذي شجع أمثالهم وأمدهم في طغيانهم يعمهون، فكم من خرافة ألصقوها بالأمة الأمازيغية، فمرت بدون رد عليها، وليتها أهملت ونسيت وماتت في عهدها، لكن سرعان ما يأتي الآخر فيبني عليها كنص تاريخي لا أساس له، فإلى متى يسكت المغاربة عن رد الخصوم؟ لله در يعقوب المنصور الموحدي في رد فعله عمن يريد أن يتعالى على أعظم ملك مغربي في عهده .

فقد ورد في كتاب صلاح الدين الأيوبي على يد رسوله ابن منقذ الشاعر سنة 586هـ جاء فيه " من صلاح الدين إلى أمير **المسلمين** يعقوب المنصور الموحدي، ولم يخاطبه بأمير **المؤمنين الرسمية** منذ بداية الموحدين، وهو يطلب منه إعانته بالأساطيل المغربية للدفاع عن ثغور الشام، لأن كلمة أمير المؤمنين في نظر الشرقيين خاصة بمن يستولي على مكة والمدينة والقدس، لذلك لم يجبه المنصور إلى حاجته، لأنه بحاجة إلى قوته في الأندلس أولا، ولقربه من الحلف الأوربي الذي يهدده في شبه جزيرة إيبيريا ثانيا، ولأن أسطول أوروبا أقرب إلى المنصور بالمغرب منه إلى صلاح الدين بمصر ثالثا، ولأن ابن غانية المرابطي ثار بتونس رابعا، ولأن صلاح الدين لم يحافظ على أدب المراسلات بين الملوك خامسا.لهذه الأسباب وغيرها لم يلبّ أمير المؤمنين يعقوب المنصور الموحدي طلبه، وهذا أصح مما حاول البعض عكسه. وقال ابن خلدون : "وفي هذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالأساطيل الجهادية وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد بها ومن شعر ذلك الشاعر".

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته، إلى بحر جود ما لأخْـــــراه ســـاحـــل
إلى مـــعـــدن الـــتقوى إلى كعبة الندى، إلى من سمت بالذكر منه الأوائل
إليـك أمـيـر المؤمنين ولم تـــزل، إلى بابك المأمول تـــزجى الـــرواحـــل
قطعت إليـك البر والبحر موقنا، بأن نـداك الغمـر بالنـجـح كـافـل
وحـزت بقصديك العلى فبلغتها،وأدنى عطـاياك العـلى والفـــواضـل
فلا زلـت للعلياء والجـود بانـيـا ، تبلغـك الآمـــال ما أنـت آمـل

وعدة القصيدة أربعون بيتا فأعطاه بكل بيت ألفا وقال له: **إنما أعطيناك لفضلك ولبيتك**، يعني لا لأجل صلاح الدين، وهذا دليل على عدم ما روجه الغير بأنه جهز له مائة وثمانين أسطولا،فأين خبر ذلك وتأثيره وفعله ومصيره والحالة هذه أن ابن غانية

انتقل بثورته من جزر ميورقا إلى تونس.، وأن الأدفونش ثار ونقض العهد وهاجم على الحصون[240].

ولا تسرعنْ طعنا أيها القارئ الكريم فقد اسندوا القصائد بالعربية لآدم عليه السلام، ولحواء ،ولإبليس، بالعربية، **وينقل السيوطي أن ابن عباس** قال: إن آدم عليه السلام كانت لغته في الجنة العربية، ولما عصى سلبه الله العربية، فتكلم بالسريانية، فلما تاب رد الله عليه العربية"[241]. فإذا صدّق الناس هذا فلا مجال لإنكار أي شيء آخر.

والسؤال من تخدمه هذه النصوص؟ وأي فكر يقبل مثل ما ذكر؟ وخاصة إذا وصل الأمر إلى شباب اليوم عن طريق (العنعنة) وعن سادات كبار مصدقين في كل ما نسب إليهم، فهل ما أبرزه الحوار اليوم سيصمد في المستقبل؟ لنترك الجواب للمتسلحين به» فهل فعلت برغواطة بمساجد المغرب ما فعلته القرامطة بمكة المكرمة؟ لنستمع إلى ما شحن به التاريخ:

- **غريبة:** "وخلع القرمطي الحجر الأسود من البيت فوضعه على سبعين جملا فسيرهم به وهم يضربون من ثقله إلى هجر (البحرين).. أليس هذا استهزاء بالمقدسات؟ وبقي عندهم خمسا وعشرين سنة، وفي نفس المرجع، فرجع به جمل واحد بدلا من سبعين جملا، وكان يمر به مر السحاب في رجوعه إلى مكة، وقيل إن الجمل كان مهزولا ومريضا فشفي عند مسيره بالحجر إلى مكة"[242]. وقبول هذه الخرافة يكفي في تفنيذ ما قوّله الرواة.

فإذ صدقنا هذه الأسطورة يمكن أن نصدق بزق الديك وعلقه عند برغواطة. مع العلم أن النقطة الوحيدة عند المسلمين بعد الإيمان، هي قبلة الجميع في جميع الجهات إلى ذلك الحجر، وما سوى ذلك لا يخلو من الخلافات نعوذ بالله من إشعالها. "وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره".

- **وأغرب من ذلك** خرافة الأمير تميم بن زيري المغربي الذي يسمع الناس في قبره ملائكة يسبحون له إلى يوم القيامة بفضل جهاده في إفناء برغواطة بالسيف[243]. وهو

---

[240] الاستقصا ج 2 ص 183.
[241] السيوطي المزهر ص 30.
[242] القرامطة ص 443.
[243] القرطاس ص 138.

أمير أمازيغي سلطه الفاطميون على إخوانه المغاربة، فأفنى قوته وقوتهم لصالح من لا يريد لهما معا إلا الهلاك، شأنه شأن من يهدد توحيد المغرب الكبير لينفجر من هنا وهناك، فبأي أسلوب يسلبون تمييز الشباب إلى هذا الحدّ!؟. كأنهم لا يعقلون؟ أم هم روبوات بلا إحساس ؟

- "ومن كرامة عبد الله بن ياسين في بلاد السودان (الغربي) عندما أشرف المرابطون على الهلاك في الصحراء، فقام فتيمم وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى وأمّن المرابطون على دعائه فلما فرغ من الدعاء قال لهم: احفروا تحت مصلاي هذا ! فحفروا فصادفوا الماء على نحو شبر من الأرض عذبا باردا، فشربوا واستقوا وملؤوا أوعيتهم، هكذا نقل المؤرخون وبخلوا عن ذلك حتى بوضع علامة استفهام عندما قاموا بعملية الإسقاط"[244]. فإذا وقع ذلك للرسول (ص) في إحدى غزواته كما نظمه البصيري قائلا :

" فتغذى بالصاع ألف جياع ، وتروى بالصاع ألف ظماء"[245]

فهل يجوز إسناد عمل الرسول لغيره عن طريق الإسقاط في غير محله وهو لا يجوز؟ مع العلم أن القاعدة الأصولية لأحمد ابن حنبل، وهي ليست قرآنا ولا حديثا، ولكن الاستدلال دائما بما قيل في الماضي يسهل جدا استهلاكه في الحاضر، وهذا النوع مما يعاني منه تاريخ دولة برغواطة وغيرها، فلماذا ترك ذلك على عواهنه بدون رد؟ .من الجواب ليستغل فيما بعد.

- ومن غرائب ما حكي عن يوسف بن تاشفين: أن ثلاثة نفر اجتمعوا بمراكش، فوقع التنصت بهم؟ فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها، وتمنّى الثاني عملا يعمل فيه لأمير المسلمين، وتمنّى الثالث أن يتزوج زوجته زينب النفزاوية وكانت من أجمل النساء، فبلغه الخبر، فأحضرهم جميعا، فلبى طلب الأول والثاني، وقال للثالث يا جاهل ! ما حملك على هذا الذي لا تصل إليه؟ ثم أرسله إلى زوجته تلك، فتركته في خيمة ثلاثة أيام يأكل طعاما واحدا، ثم أحضرته وقالت له ما أكلت هذه الأيام ؟ قال طعاما واحدا، فقالت كل النساء شيء واحد، وأمرت له بمال وكسوة وأطلقته "(ذكره الذهبي في

[244] الاستقصا ج 2 ص 19.
[245] همزية البصيري.

تاريخ الإسلام، وابن الوردي في تاريخه، وابن خلدون في تاريخه، وابن الأثير في الكامل[246]. فما رأي النقد المعاصر اليوم في غيرة ابن تاشفين الصحراوي على أجمل امرأة مغربية في عهدها؟ ألا وهي زينب النفزاوية ؟ ثم لماذا كرس المؤرخون تلك القصة؟.

إن هذه القصة مبنية على ما نسب للخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي رد عليه من أراد عمر أن يؤدبه، لأن عمر تجسس عليه ودخل عليه بدون إذن، ومن غير الباب، كل ذلك بأدلة من القرآن الكريم فما رأي النقاد في إسقاط هذه على تلك؟.

فلماذا ينكر كل هذا لأهله؟ مع أنه في المحافل يذكر، وفي الصحائف ينشر.؟ وفي كتاب مفاخر (البربر) الأمازيغ وما خصهم به المؤرخ ابن خلدون ما يدرأ الشبهات عن هذه الأمة المغربية قديما وحديثا، أنا لست ضد أحد، ومن الظلم أن يصدر مني ذلك، ولا أقبله من مستلب لا يحترم المغرب والمغاربة، وكل من فقد غيرته على وطنه فضره أقرب من نفعه.

ثم ماذا يمكن أن يضيفه من يتحامل على الأعراب أكثر مما وصفهم به الله تعالى: فقد سجل القرآن الكريم على الأعراب من الكفر والنفاق والكذب وعداوتهم للإيمان ما لايمكن أن يمحى في صحيفتهم الجاهلية، إلى أن عفا الله عما سلف، وخرجوا من ذلك طوعا أو كرها بفضل تسامح الإسلام الذي يجُبُّ ما قبله، لكن بعدما استحر بهم القتال وأفنت السيوف صناضيدهم، وبدلت المعارك أفكارهم وبداوتهم، فساهموا بإنجاز ما يشهد لهم به التاريخ، ففاز كثير منهم بالشهادة، كما تلاشى غيرهم بين الأمم من المستعربين، فبدلتهم حضارت الأمم حتى ذابوا.

من جزيرة التوابل انطلق أبناء العرب المستعربة مرغمين وهم يتخافتون، فمنهم من أسدى لهذه الأمة خيرا كثيرا، ينسي ما ألحقته به نخوة الجاهلية، ومنهم من ارتكب أخطاء سجلها التاريخ ليست من الإسلام في شيء." فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره".

فقد ارتكب بعضهم إهانات لمن رحب بهم منذ خروجهم من شبه جزيرتهم، وفي ليبيا نفسها كان كل من قدم طاعته قطع أنفه أو أذنه أو أصبعه لا لشيء إلا ليتذكر ذلك

[246] الكامل ج 8 ص494.

الأمازيغي سطوة العربي كلما حدثته نفسه بمراجعة ذاكرته، ومن ينكر أفاعيل ولاة بني أمية - باستثناء الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؟ هذه الشخصية التي تخلص العرب منها لسيرته الحسنة، ومحاولة رفعه الظلم عن المسلمين، ومن أنكر تلك الشخصية فله أن ينكر بزوغ الشمس في رابعة النهار:

كما أنني لست مع من ينكر الحضارة الأوربية المستنيرة وفضائل عصر الأنوار، ومن أنكر ذلك فإنه لا يميز بين المعنيين في مصطلح كلمة **"الاستعمار"** - فأصل الكلمة من العمران والتعمير،إذ السين والتاء للطلب، ونشر الحضارة التي هي ملك مشترك بين الناس - وبين معنى آخر وهو الاستغلال والاستعباد والسيطرة والقضاء على الشعوب، وذلك بريء بما يراد بالأصل، ونفس الشيء في مصطلح **الفتح والغزو** العربيين. وتلك مشكلة التفسير والتأويل، وقديما قيل:

مدحٌ وذمٌ وذات الشيء واحدةٌ إن البيان يُري الظلماء كالنور

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وإن ذممت فقل قيء الزنابير

فما هو الفتح؟ إنه باختصار ضد الغزو، وأشهر فتح يمثل غاية الإسلام هو فتح مكة، وهو أعظم إنتصار على الوثنية بدون سفك دماء، ولا تخريب عمران، ولا هتك أعراض، ولا سبي للنساء والأطفال، ولا قتل الشيوخ وسبي الأموال، بل راعى حرمة المقام، ولم يهدم الكعبة، بل رد مفتاحه إلى سادنها، بل أكثر من ذلك راعى مستوى من قاومه ونودى على رؤوس الأشهاد" ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل داره فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن "هذا هو الفتح يستحق أن يكون نموذجا، ولما دخل الرسول بجيشه مكة قال أحد الصحابة: **"هذا يوم الملحمة"** معناه هذا يوم القتل وسفك الدماء والإثخان في المغلوب، فقال الرسول (ص) **"هذا يوم المرحمة"** وليس الملحمة. فخضوع قريش يعتبر القضاء الأخير على الدين الوثني فهل أدرك الناس الفرق بين الفتح والغزو؟ وبين الملحمة والمرحمة ؟.

وعليه فالغزو هو خلاف الفتح، ويتسم بمواصفات تصتكّ منها المسامع، منها الهجوم المباغث كثيرا ما يقع على الناس وهم في بيوتهم نائمون، ومبدؤه القتل وسفك الدماء بلا رحمة ولا حساب، وغايته النهب والسلب، بلا شفقة على الصغير ولا على الكبير، غايته إثارة الرعب وقطع الرؤوس، وإهانة النفوس، وجمع المُحيط والمخيط والفلوس،

وأعظم صفات الأبطال من حاز السبق في إزهاق النفوس.! وهذا ما كرسه الغزاة ضد برغواطة.

هذه ظاهرة لا معنى لتأويلها، والتخفيف من مآسيها، ولا البحث عن مبرراتها، فالواجب هو الاعتراف بما كان مع بذل المجهود، حتى لا يعيد التاريخ مصائبه ومآسيه، مما لا يمت بصلة إلى الإنسانية، وعلى من يجعل من الغزو فتحا أن يراجع حسابه ويقارن فعله بفتح مكة وحده، فيجعل المرحمة في مكان الملحمة.

قد يقول البعض ما رأيك في الاستعمار؟ فقد ألحق بالشعوب أكثر مما ذكرت، إن كلمة الاستعمار جميلة، فالسين والتاء للطلب يا من يعرف العربية، ومعناها طلب العمران والحضارة والتحضر والمثاقفة وربط الحضارات، ونشر التعاون بين الأمم، هذا هو معنى المصطلح، فهو مثل المرحمة، أما إذا انقلبت الآية فصارت ظلما فهي غزو مثل الملحمة، ولو باسم الدين أو بالحضارة، أو بالقوة تحت ظروف قاهرة.فهو ظلم بعينه.

وهل المشكل في الدعاية أو في الأدعياء؟ وهل في التعمير أو في المُعمِّر؟ أنا لا أنكر دور الحضارة الإسلامية شرقا وغربا، كما ليس في استطاعة الواقع أن ينكر ما نشرته الحضارة الأوربية الحديثة من إيجابيات في العالم أجمع باسم "الاستعمار بمعنى العمران".وليس بقتل الريفيين بالغازات السامة عندما دافعوا عن الوطن المغربي سنة 1921م.

فقد كانت الأوبئة تحصد البشر حصدا، فسخر الله أوربّا للعالم، وعلى يدهم برز الفكر المستنير في الوقت الذي أفتى بعض فقهاء ملتنا بتحريم الاتجار معهم، أو أخذ المعرفة منهم، لا لشيء، إلا لضيق الفكر والعجز عن اللحاق بالتقدم، فكرسوا استمرار العزلة وتمسكوا بالعداوة ضد التفتح، وقد حرم البعض حتى بيع الطعام لهم، ولو كان متوفرا لدينا، وهم يموتون بالبجوع في جوارنا، فأي فكر هذا وأية إنسانية يا أصحاب الفتاوي المتطرفة ضد الإنسان والإنسانية ؟

كيف المنال إذ تكون الحال بالجوع تقضي نسوة ورجال ؟

ونحمد الله على انتشار مبدإ التضامن كلما تعرضت البشرية للكوارث ولظروف قاهرة، وهذه أوروبا لم تبخل بإغاثة الملهوف والمغلوب، وذلك مسجل ومؤرخ، كما

ساهم المغرب بعشر أمثال ذلك. وما زلنا نشاهد دور مملكتنا في ميادين الخير والتعاون وحقوق الإنسان.

إن التطور يفرض مراعاة أسباب النزول وظروف المكان، لأن العالم اليوم أصبح قرية، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وأن ثروات العالم صارت مشتركة طوعا أو كرها، لذلك ينبغي التساهل مع كل فتوى تجاوزها التطور والسرعة وما تفرضه الضرورات حاليا، **والتضامن أصبح ضروريا** بين الإنسان في العالم، رحم الله زمان العزلة وعهد الاحتكار، فقد فرض الواقع مراجعة الفتاوي، شأنها شأن تطور الدساتير حسب تطور ظروف الزمان وما يناسب المكان.

وللعولمة تأثير كبير حتى في القول والعمل، فقد حلت المصطلحات محل القواعد، فقد فتح الباب على مصراعيه،وحلت "الديوانة محل المدونة" كما قيل: لا يباع من الحربي سلاح ولا كراع (الخيل) ولا سروج ولا نحاس ولا خرثى" قال ابن حبيب بجواز الطعام منهم في الهدنة ووقت الرخاء خلافا للمذهب.." كل ذلك ذهب مع ظلم بيع الرقيق الأسود، ليأتي دور الرقيق الأبيض، وما طرأ على المجتمعات. والمنتظر أعظم لمن يستهلك فقط ولا ينتج؟.أو ينعزل ولا يندمج.

"قال القرافي : يجوز الانتقال في جميع المذاهب بعضها إلى بعض، في كل ما لا ينقض فيه حكم حاكم، وذلك في أربعة مواضع: أن يخالف الإجماع، أو القواعد أو النص، أو القياس الجلي " ومعنى ذلك مراعاة المصلحة لصالح الإنسانية، وها هو التكيف قد فرض نفسه.

هذا ما نقصده بكلمة الاستعمار الجميلة، ما دامت تبني وتعمّر، أما إذا انقلبت إلى الاستغلال والقتل والتدمير، فلا تستحق إلا رد الفعل بعشر أمثاله. وليس بعد العيان من بيان. "ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العلمين".

إن الجوار يفرض الآن نسيان الماضي البغيض، نحو جميع الجهات، إذ ليس من الممكن إنكار التكنولوجية المتطورة شرقية كانت أو غربية، محلية كانت أو مخضرمة، فالعالم الآن صار قرية غطتها الاتصالات والمواصلات، فنزل العلماء في القمر الذي نصوم لرؤيته، ونفطر لرؤيته، ونعد به عدد السنين والحساب، والعالم الآن

يتطلع إلى المرّيخ، ومنه إلى سائر الكواكب، بما في ذلك أسرار الثقوب السوداء، ومراقبة النيازك التي تهدد الأرض ونحن نائمون، وها هي في طريقها إلينا، وناهيك عن اكتشاف مجموعة من المصطلحات كان الإيمان بها راسخا، فصارت اليوم عرضة للنقد والانتقاد عند البعض، وعند البعض الآخر مما علمه الله للإنسان مما لم يعلم.

فالحب لم يعد في القلب كما تغنى به الشعراء، والعلم لم يعد محتكرا أو محصورا لدى بعض العلماء، فكم يلزمنا من نقل الحب اقتناعا من تلك الغدة إلى الدماغ في انتظار ما سيكتشف في المستقبل في كون الله الدال على عظمته؟ إن سرعة التجديد الآن لا حصر لها.

"والسماء بنيناها بأييد، وإنّا لموسعون، والأرض فرشناها، فنعم الماهدون"[247].
والسؤال المطروح الآن هل نحن وحدنا في هذا الكون؟.في الوقت الذي كثرت فيه الفتاوي؟ فصار كل فريق يحلل ويحرم حسب هواه، ففي المجالس تقسم الجنان، وفي المحافل تتناثر الباقيات الصالحات، وبشروح ذلك تشحن المجالس وتتعالى الظلاميات. والبقية تأتي.

حدث أن زرت يوما جماعة من أصدقائي الأساتذة بأكادير بعيد خروج ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الأمازيغية، سنة 2003م فبينما نحن في أمسية أخوية، إذ دخل علينا شاب متطرف أبرق وأرعد، حول عنوان بارز نشر في جريدة مغربية هكذا "غزو العرب للمغرب" فسلط ذلك المتطرف على مسامع الحضور جام غضبه، كأننا جميعا أصحاب تلك الجريدة،أو أصحاب ذلك المقال؟ فصار يفسر جميع ما فعله بني أمية في الأمازيغ "بالفتح المبين، والقتل المباح، والسبي الحلال والفيء المطلوب" وفسر الفتح بالدين واللغة والحضارة التي جاء بها العرب من الشرق إلى المغرب الكبير .للبربر المتوحشين الساكنين في الكهوف، ثم شرع يلعن ويهدد ويكفر ويعلن أنه على الصواب في كل ما قال".وهو إمام لأحد المساجد.

ثم ختم بقوله: أريد الجواب؟. فقال أحد الجالسين رغم أن جهادي لا علاقة له بهذا العنوان فنرجوا رأيه في الموضوع، وإذ ذاك فقط أدركت أن استدعائي " **أمر تدبر**

---

[247] سورة الذاريات الآية 47 +48.

بالليل" فقلت: الرد من الأساتذة والفقهاء أولى وأوضح، ومع ذلك طـلب مني توضيح ما لا بد منه فقلت تلقائيا :

إن الذي أغضبك يا فقيه هو كلمة "الغزو"، والغزو كلمة ليست حديثة، فهي متدحرجة إلينا عبر القرون، وتختلف حدتها حسب أسبابها وغاياتها، فمنذ البداية لم ينتشر الإسلام إلا بالغزو، والدليل على ذلك أن جميع المعارك التي شارك فيها الرسول (ص) تسمّى غزوة، ولا تسمّى الفتح، ولا تستطيع إنكار ذلك، وما لم يشارك فيها الرسول تسمى "السرية" ما عدا فتح مكة السلمي.

وفيما يخص شمال أفريقيا فهل هو فتح أو غزو؟ فالمعيار هو مقارنته بفتح مكة، فهل فتح مكة - في يوم واحد- والسيوف في أغمادها، ولم تسقط فيه نفس واحدة على الأصح، مثل فتح المغرب الكبير بالسيف واستمرار المقاومة لمدة سبعين سنة سواء بسواء؟،هل يستويان مثلا؟ لنترك الجواب للمنطق وما سجله التاريخ.

أما التدين بوحدانية الله فقد كانت في المغرب قبل نزول القرآن، فقد وصلت إلى الأمازيغ كل الديانات الرائجة حول حوض البحر الأبيض المتوسط، من التوراة والإنجيل والزبور، وما شئت من رسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك، وأخيرا وصلهم الفرقان المهيمن على ما سبقه من الديانات السماوية، ولذلك قبله الأمازيغ قبل أن يتخذ وسيلة لإرضاء طموحات.

و من أساء إلى الإسلام الصحيح في عقر داره تحت أهوال الفتنة الكبرى.وموطن تولد الفرق والمذاهب وتوزيع كلمة التكفير بأسطال وأطنان.وقتل الخلفاء ولعنهم على المنابر.

وفيما يخص الحضارة التي قلت جاء بها العرب، لنفرض أنهم جاءوا بها مهما كان مستواها، إذ لا يمكن تجريد تلك الجيوش كلها من رواسب ما تربوا عليه، ومنها قساوتهم في المعارك، وترويضهم للجمل واستعماله في الحروب، وإدخال آلات الحرب من سيوف هندية والقسي والذروع، وما جربوه من الكرّ والفرّ في تجاربهم ضد الفرس والرومان، فهذا كله جزء مما أتوا به من حضارتهم باسم الإسلام، لكن لا تستطيع أن تثبت لهم في شمال أفريقيا حضارة في مستوى مدينة واليلي وتاموسيدا

وبناسا وشالاً من .مثل ما فعله الرومان حول البحر الأبيض المتوسط ،بقدر ما تفتخر بمن فعل بأجدادك وجداتك الأفاعيل "أثخنّا فيهم وسبينا بناتهم بلا حصر".

فإذا انتقلنا بنفس المنطق من غزو العرب إلى غزو أوربا للمغرب الكبيرنفسه، نسمع نفس المصطلحات، فالأوربي عندما يناقشك يقول:أنا فاتح للمغرب كما يقول العرب، وأنا جئت بالحضارة إلى المغرب كما يقول العرب، وأنا جئت بالدين العيساوي كما جاء العرب بالدين المحمدي، وذلك كله واقع لكن هناك التفاوت، فأنهيت الموضوع بأن التسامح أفضل. "فكم يلزم من محاضرات ومناقشات لإقناع مثل هذا الإمام في أحد المساجد، و ليتني لم أحضر هناك.

نحمد الله - نحن المغاربة - الذي شارك وطننا مع المستنيرين في العالم، فكسبنا فكرا متفتحا انطلاقا من مساهمتنا نحن المغاربة بدورنا في تكوين حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط عبر قرون، وعليه فإذا كان تاريخ الأمة المغربية عانى وما زال يعانى من السلبيات الماضية، فإنه لم يعد يطيق الاستمرار في نفس الاتجاه السلبي، فالمغرب والمغاربة لم يكونوا قط عدوا لجهة من الجهات، ما لم تمس مقدساتهم وإن مرت عليه ظروف ليست كلها سلما و عافية.

وهذا عنصر إيجابي، ومنذ قول الملك الحسن الثاني **"المغرب محسود"**، ومنذ ذلك الخطاب برزت كلمة [من حسدنا نحن المغاربة؟ ولماذا؟ ومتى؟ وكيف؟] ولكل مغربي أن يجيب، فكلكم مسؤول ولا مجال للتهرب، فلماذا يراد للمغرب أن يكون دائما تابعا وليس متبوعا؟ مع أنه في الواقع له مكانته، لكن تلك المكانة ناذرة التدريس في المدرسة المغربية، إذا لم نقل لا أريد لها أن تتعمق وتبرز كمساهمة فعالة في الماضي والحاضر.

ولكن هل الخصوم مقتنعون عن الإقلاع عن حسدهم ؟ وهل يدرون أن مصطلحاتهم التي يحاربون بها لم تعد تجدي نفعا؟ لأن أي فكر جديد على الناس لا يقبلونه بدون منطق، وخاصة إذا كان خاليا من التربية. والإقناع ومسايرة التطور والحداثة والسرعة المدهشة التي لم يعد الإفلات منها لأحد طوعا أو كرها، حتى أصبحنا لم نعد نفصل بين الليل والنهار فوق كوكبنا الصغير، ومن الحداثة الاعتناء بنصف المجتمع

المرأة والطفل والديمقراطية، وهذه ليست كلمات تلوكها الألسنة فقط.بل هي واقع مفروض لا أحد يضمن نتائج هذا التحول الهائل.

فالمصطلحات القديمة لم تعد تساير سرعة الضوء، ولا تطور الاكتشافات، والضرورات تبيح المحظورات، وحدود الدولة لم يعد الدفاع عنها بسهولة، والأمن الغذائي لم يعد حكرا على جهة وحدها، والفكر الوحيد لا يقدر أن يسير هذا العالم، فقديما قال ابن عباس : لا أعرف معنى " وحنانا من لدنا وزكاة" ولعل مجلس الأمن وضع أصلا لهدف أفضل.وهو تسيير من لا يحسن التسيير.

ومعنى ذلك، فتح باب البحث في اتجاه "خير الأمور أوسطها" إذ كل ما لا يقدح في العقيدة فهو مباح، وكل ما يساهم في تقدم الإنسانية فهو مطلوب، وذلك يعاكس "الربيع العربي" الذي أطلقته أوروبّا فنفذه العرب في أنفسهم بإهلاك الحرث والنسل، فكم يلزمهم من السنين لإعادة ما خربه ذلك الشعار، من الأنفس والأموال والحضارات ؟ إلى حد انقلاب المفاهيم، فضاعت الحكمة في حقل الإيديولوجيات.والكل يدعي أنه على هدى وعلى صراط مستقيم.

وقد لا يمر قرن فيتحقق "كلكم من آدم، وآدم من تراب "إذا لم يقع من لم يكن ذئبا أكلته الذئاب، فقد توحدت الساعات والأيام والشهور والسنون، في انتظار توحد الحضارات، فمتى يتوحد الإنسان لصالح الإنسانية؟ نعم، ساهم هذا الإنسان في دفع الحضارة ككرة يرفعها من الحضيض إلى القمة، لكنه استمر في دفعها نحو الحضيض من الأعلى إلى الأسفل من جديد!.فقد أهل الله قوم لوط وها هو زواج المثلين يبرز من جديد!.

وبين أيدينا "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم" وشتان ما بين مواجهة القوم بقول :"ربّ لا تدر على الأرض من الكافرين ديارا"وبين قوله" ادفع بالتي هي أحسن". وفي أي مستوى نصنف رسالة فقيه استحسن الترجمة بالأمازيغية فبعث إلي بخطه هذه :

"بسم الله الرحمن الرحيم الأخ الكريم الأستاذ الفاضل، الحسين جُهادي أباعمران السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .كان الأخ إبراهيم أخياط أتحفني منذ أكثر من عامين بنسخة من كتابك القيم السيرة النبوية شممت منه عبير الإيمان، وقد قرأته بكامله.

أرجو أن تجد في كتابي هذا ما يذكرنا نحن حملة القرآن الكريم، بما علينا من مسؤوليات جسام أمام الله تعالى .سلا 9 رجب 1418هـ / 1997م عبد السلام " والرسالة في كتابه "حوار مع صديق أمازيغي"وقد قرأ بإمعان كتاب " تاغاراست نـ ورقاس نـ ربي بالأمازيغية".أما الفقيه الثاني المغربي كذلك من فقهاء فاس عاصمة العلم؟ فقد تعزّى بعزاء الجاهلية، وأفتى بقتل المترجم الأمازيغية !.." أليس هذا إرهابا أيها الناس؟

أما نموذج من هم دون المستوى ومن لا يستحق الرد عليه، فقال في ترجمة معاني القرآن الكريم بالأمازيغية [نجّستم أيها البربر القرآن بالأمازيغية] وما زالت هذه "الحُكْرة " تُرنّ في أذني، وقد ابتلي المغرب منذ عهد برغواطة بمثل هذا النوع ؟ ومن الأمثال الأمازيغية "إذا ولدت لك أمك أحمق، تحمل صبره حتى يموت" وما أصدق الشاعر زهير ابن أبي سلمى.

"ومن لم يدعن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم"

ومن سكت عن رذالة الأرذلين فقد استحق الاحتقار ومات وهو مذموم، ومن كان قادرا على الرد فسكت فهو خائن لمسؤوليته. وقائل الزور مردود عليه بجميع الأدلة، والدفاع عن الحق واجب، ومن أقوالهم لقائل أتمدح نفسك؟ فقال:" **أفأكلها إلى عدو يشتمني ويذمّني"؟**[248].

نعم فظاهرة القبول والرفض في البشر معروفة عبر التاريخ، وجميع الأنبياء والرسل والمصلحين اصطدموا بهذا النوع من البشر، فكيف بمن دونهم؟ لكن التباين في كيفية معالجة المعارضة، والرسالات السماوية كلها لم يسلم مُبلّغوها من الصعوبات، فكيف بمن يدلي برأيه ؟أو يساهم في تفهيم ما احتكره الآخرون بلا دليل؟.

هل لبرغواطة قرآن أم تشريع أو ترجمة ؟:

1- لكل رسول معجزاته حسب الزمان والمكان، وما تفرضه عليه ظروف المجتمع وتطوره وحاجيات إصلاحه، ولا يخفى ما في ذلك من صعوبات إلى حد أنها عدت من المعجزات.

---

[248] ابن عربي.

2- يعد القرآن الكريم وحده أعظم معجزة للرسول محمد (ص) وهو الكتاب الذي اعتقده المسلمون على أنه أنزله الله على نبيهم محمد (ص) فكون به أمة عظيمة تدعو إلى كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة.

3- تعرض هذا القرآن الكريم لكثير من التحديات، من العرب أنفسهم، وهو بلسان عربي مبين، فعارضوه بأسجاعهم المسماة بقرآن فلان وفلانة، مثل مسيلمة وسجاح ومعيطل بالشرق، وسجلوا مثل ذلك على برغواطة بالمغرب، لكل من أنبيائهم: حاميم وأبو غفير وتابعيت، وقد سجلنا نماذج منه للعرب، وقلنا إنها لا ترقى حتى إلى المقارنة حسب ما وصلنا، وإلا فقد اخفى المؤرخون ما هو أبلغ وأفصح.

4- هل لبرغواطة بالمغرب قرآنهم الخاص؟ أم ذلك ترجمة للقرآن الكريم بلغتهم الأمازيغية ؟ أم أن ذلك تشريع أمازيغي شامل بهر المؤرخين العرب فأطلقوا عليه قرآن برغوطة، ليكفروهم وليحاربوهم من أجل احتلال **موطنهم تامسنا الغني الأفيح** رغم انتشار الأسلام فيها، ويُفعل بهم كما فُعل بالمتنبئين العرب وبقرآنهم في جزيرتهم في حياة الرسول وبعهده.

5- ومن أعجب العجاب أن جميع المؤرخين سجلوا أن دولة برغواطة بالمغرب خلقوا قرآنهم الخاص بهم بعدد ثمانين سورة،بأسماء الأنبياء والرسل وغيرهم، مما ورد في القرآن الكريم.وقالوا: **"وفيه العلم العظيم"** ومعنى ذلك استقلال برغواطة واستغنائها عن غيرها. ولتحقيق الاكتفاء الذاتي في معظم المستويات كدولة مغربية قوية لأكثر من أربعة قرون، وعدد سور قرآنهم ثمانون سورة، وليس نتفا لمسيلمة وسجاح؟ فذلك إنتاج كبير، وتشريع عظيم.

6- ورغم ما وصلت إليه دولة برغواطة من تقدم، فإنها قد استفادت من تقليد الماضي التاريخي، كاتصالاتهم بالشرق، والاطلاع على تطور العلوم فيه، فتعدد المتنبئين فيهم، وعناوين سور قرآنهم بأسماء أنبياء الله المذكورين في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، دليل على اطلاعهم على الماضي البعيد، وقد فعلوا ذلك لكسب الشرعية التقليدية التاريخية للأديان السماوية، كما فعلت جميع الرسالات قبلهم، ففي القرآن سورة يونس، وسورة هود، وسورة يوسف، وسورة إبراهيم، وسورة مريم، وسورة لقمان، وسورة محمد، وسورة نوح .. وهذا نوع من التقليد في العناوين، أم على الأقل

مضمن ما ورد في السور المذكورة، وقد يكون ذلك من المؤاخذات على برغواطة، لكن لماذا لم يلاحظ على غيرهم قرآنهم من الرسالات الدينية؟

ويعد ما ذكر على أن دولة برغواطة كانت تمتاز بالتفتح وبتعدد الديانات كاليهودية والنصرانية والإسلام، بالإضافة إلى تعدد المذاهب ومرافقها الدينية العامة كبيَع وكنائس ومساجد وطقوس أمازيغية عريقة في القدم، كل ذلك في مجتمع متحضر منظم في مملكة استمرت لعدة قرون لا تقل عن 461 سنة. ولجميع هذه الاحتياطات كفروها من أجل استيلائهم على مقوماتها الاقتصادية والدليل على انتشار التوحيد فيها أن جميع الغزاة لم يخيرهم بين الجزية وغيرها.

7- تعد مملكة برغواطة نموذجا للمقاومة المغربية بفضل تمسكها بوطنها وبهويتها وباعتمادها على مقوماتها المادية والمعنوية والروحية مما يفرض التعمق في الموضوع.

لاشك أن معظم من كتبوا عن برغواطة لم يفهم لغتهم وأزرفهم وعرفهم وشريعتهم. وإنما قاسوا ما ترجم لهم بقرآن المرتدين في الجزيرة العربية، كما أن شريعة برغواطة الأمازيغية صارت تهدد مجهودات العرب في شمال أفريقيا، كما وقع لهم في الفرس والتركمان، وذلك يهدد اللسان العربي وليس العقيدة، كما يهدد الخراج الاقتصادي.والحل هو محاربتهم من أجل استمرار الجزية.

ثم ما معنى خلق قرآن إلى جانب قرآن آخر لفظا ومعنى وتقليدا وتحديا؟ فهذا من قبيل العبث، إذ لا يعدو أن يثير الضحك والسخرية، كما وصفت بها بعض أسجاع العرب المصطنعة غالبا، لكن ما توصلت إليه برغواطة في الفعالية الاستمرارية تجاوز مستوى أسجاع العرب المضحكة الضعيفة عند المقارنة، اللهم إلا إذ كان معظم ما توصلنا به منسوبا إلى المتنبئين من العرب قد قضي على أجوده في مهده،وأنشأوا ما لا يؤثر في القرآن الكريم، وإن كان ما توصلنا به مما سمي بقرآن الأعراب باللغة العربية ما يسمح بنقده وانتقاده.

قال تعالى : "إنا أنزلناه قرآنا عربيا **"أي بلغة العرب**، ومع ذلك لم يؤمنوا به، وهذه ليست ميزة خاصة بالعربية، فجميع الرسالات بلسان رسل القوم، قال تعالى: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه **ليبين لهم**" وهل يجوز أن يقال "قرآن برغواطي

لأنه بلغتهم الأمازيغية"؟ رغم أن الانتاجات الفكرية لبرغواطة أبهرت المؤرخين لتمكنها من المؤمنين بها، واستمر العمل بها في وطنها تامسنا، وخضع لها كثير من القبائل، وهذا حوار عبد الله بن ياسين مع برغواطة: **ألا تعرفون اللـه ربكم؟ ومحمدا رسولكم؟ فقالوا بلى، عرفنا الله ربنا ومحمدا نبينا** "فهل يجوز للفقيه المذكور تكفير برغواطة بكاملها ثم يقدمها للمرابطين **فيئاً** على يديه ؟

إن كلمة التوحيد كانت منتشرة في شمال أفريقيا لا يمكن إنكارها، فحتى كلمة "**اللـه**" ليست من العربية وإن خلق لها العرب كلمة **اللاة** (لسان العرب) وياكوش المقدس عند البربر هو الهرم ومؤنثه تاكوشت: الجبل أو الهرم أو أورير أو الأطلس المقدس، أو أفرقاد، كانت كل هذه من المقدسات والمزارات والمتبرك بها، وكثيرا ما تتخذ "تاكوشت" حتى الآن، مقبرة للموتى أو لبناء قبب الصالحين في معظم المغرب، ولفظ الملائكة عند الأمازيغ قديم في الأساطير وهو (أنير وجمعه إينيرن) ومن ثم طقوس الجن" شامهاروش"بالأطلس، و"قـــاوّ" في إصبويا، وتعدّ تانيت الأمازيغية من أول تانيتات حول حوض البحر الأبيض المتوسط.وقد أشار القرآن الكريم إلى مثل حيران الأقوام لفقدان من يهديهم إلى الله الواحد الأحد بقوله تعالى: "وما نعبدهمُ إلا ليقربونا إلى اللـه زُلـفى" أي تقربا[249].

ومن مميزات مقدسات الأمازيغ الدينية الطقوس الفلاحية المرتبطة بالأرض والأشجار والجبال والمياه والاحتفال بزفاف الأرض بعروس تيسليتTislet أوئـزار (عروسة المطر تاغونجا) وزوجها المطر: إسلي:Isli " أما عبادة الأوثان، فمن التسرب الفنيقي"[250].

وحضارة حوض البحر الأبيض المتوسط مشتركة بين جميع الأمم التي تطل عليه، كما اعترفت برغواطة بالديانات السماوية اليهودية والمسيحية. والمحمدية وكلها شرقية، ومن ذكائهم أن جعلوا " لقرآنهم " عناوين أنبياء الله ورسله، وطبقوا مجموعة من الشرائع المقدمة مع إدخالهم عليها ما لا يقدح في العقيدة الصحيحة، هذا إذا سلمنا بما نسب إليهم بدون تحريف أو إقحامه في شريعتهم أو في قرآنهم الخاص بهم لفظا وحرفا ولغة. إذ معظم ما وصل إلينا مترجم عن مُترجِم بصيغة "قيل ويقال".

---

[249] سورة الزمر الآية 3.
[250] أندري جوليان ص 22.

وهنا نعلن أننا لم نتوصل من المرويات حول قرآن برغواطة باللغة الأمازيغية بمثل ما توصلنا به من القرآن الكريم باللغة العربية وما تعرض له من جدال في سورة الشعراء لقوله تعالى : "وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، **وإنه لفي زبر الأولين**" [251]. وقوله "**إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى**" [252]. ولغة هذين عبرية.

وفيما يخص ما نسب لقرآن برغواطة ذكروا ثمانين سورة، ووصفه المؤرخون "بالعلم العظيم والكثير" لكنهم بخلوا علينا في التسجيل مع الأسف، كما لم يوضحوا لنا موضع تلك العظمة التي وصفوا بها تلك السور، فهل في الحكمة؟ أو في التشريع؟ أو في الدين والتصوف؟ أو في الأدب أو في اللغة ؟ كما أن ما أوردوه مترجما كان باللفظ العربي فقط، وفي ذلك ما فيه؟ وما كان للناس أن يتشبثوا بقرآن برغواطة لو لم يناسب ما هو معمول به بالرضى بين القوم، ويكون مناسبا لحياتهم وعاداتهم وتقاليدهم وحضارتهم البعيدة عن الشرق، وألفه البكري وغيره،الذين نقلوا ما أدهشهم من استغناء برغواطة بثقافتهم عن الواردات، فسجلوا بأقلامهم " **وعندهم في ذلك علم عظيم وكثير**".

وقد يلاحظ من زار المغرب في ذلك العهد تشابها مما ترجم لهؤلا المؤرخين مع ما عندهم فقالوا في ذلك المعنى "هذا قرآن برغواطة " كما قالوا هذا قرآن مسيلمة الكذاب، ومعنى ذلك أنهم استغنوا به عما سواه، فتجب محاربة برغواطة كما حورب أصحاب الأسجاع في الجزيرة العربية بعزم أبي بكر الصديق، لكن بشرط التبليغ إلى مسيلمة. بينما بالهجوم المباشر على برغواطة، ففيما يخص العرب فقد ورد التبليغ في المراسلة بين الرسول (ص) وبين مسيلمة لكنه لم يستجب، بل قسم الأرض بينه وبين الرسول محمد (ص) كما ورد بصريح العبارة.

أما بالنسبة لبرغواطة، فمن بلغهم القرآن الكريم أولا؟ ومتى توصلوا بالتبليغ؟ وبأية لغة فسر لهم بها ؟ ومتى وصلتهم نسخة كاملة من المصحف الكريم؟ وأمة العرب أمية لم تحقق الاكتفاء الذاتي حتى في محاربة الأمية رغم المجهودات المبذولة حتى الآن!. ومع كامل الأسف، فقد نسي الفاتحون مسئوليتهم في التبليغ ليبينوا للناس ما نزّل إليهم، فاستعاضوا عن ذلك بالسيف وختموا بقولهم "**فقد أثخنا فيهم**" بل ترك الفقهاء مجالا

---

[251] الشعراء الآيات 196.
[252] سورة الأعلى الآية 18 + 19.

للمستشرقين يجمعون ويشرحون ويؤرخون، ولم يستيقظوا حتى فاتهم الركب. وحتى عندما حاولوا التبليغ، صار بعضهم يكفر البعض ناسين الحجة البيضاء.

وإلا فلماذا احتكر العرب القرآن مدة طويلة ؟ ولم يترجموه للشعوب المفتوحة؟ بل لا يقبلون من أحد أن يقوم بذلك مع أن " كل ما يفعله المفسرون كابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل وابن جبير ما هو إلا ترجمة للقرآن في المعنى ولذلك سمي ابن عباس ترجمان القرآن " وفي الحديث " خيركم من تعلم القرآن وعلمه" كيف يمكن تعليمه للعجم مثل برغواطة؟ إذا لم يكن بتفسير وترجمة بلغة القوم؟ **ألم يأمر الرسول (ص) زيد بن ثابت أن يتعلم لغة اليهود ولغة السريان ؟ فكان يبلغ عنه إليهم وعنهم إليه**[253] والقرآن يقول "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا"[254]. وقوله تعالى: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"[255]. وبما أن الإجماع قد وقع على عموم الرسالة، فإن الأمم كلها لها حق مشاع في القرآن، فلهم الحق في ترجمته ليفهموه ويأتمروا بأوامره وينتهوا بنواهيه، والمعاني هي المقصودة بالذات، والألفاظ قوالب كالثياب، لا ينسلب المعنى بذهابها" لكن هدف العروبة هو التعريب وليس المدلول.

وقوله تعالى "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" لكن **سفيان الثوري** قال:"**لم ينزل وحي إلا بالعربية؟!** ثم ترجم كل نبيء لقومه، واللسان يوم القيامة بالسريانية، فمن دخل الجنة تكلكم بالعربية" (رواه ابن أبي حاتم). ورد في القرآن في الجنة "تحيتهم فيها سلام" وفي جهنم "اخسأوا فيها ولا تكلمون" فأين التفاضل هنا يا من يقول للعامة: ستسألون في قبوركم بالعربية، وستخاطبون بها في الجنة، ويسكتون عن الخطاب في جهنم، وفي القرآن" وإن منكم إلا واردها، وكان على ربك حتما مقضيا" ولما سئل الرسول (ص) عن هذه قال: [إلا أن يتغمدني الله برحمته] وشتان ما بين هذا وبين من قرأ [وتلك الأيام نداولها بين العرب]!؟.

ومن حق كل أمة أن تحافظ على لسانها، فالإسلام للجميع، والرسول للناس كافة، ولم يبق لهم إلا احتكار لغتهم بعد تسييس الفتوحات، وإلا فقد كان **موسى بن سيّار الأسواري** "يجلس في مجلسه المشهور به، فتقعد العرب عن يمينه، والفرس عن

[253] الحجوي الثعالبي مخطوطة الخزانة العامة رقم ح 113.
[254] سورة سبإ الآية 28.
[255] سورة الأنبياء الآية 107.

يساره؟ فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية. ثم يحوّل وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية، فلا يدرى بأي لسان هو أبين" (الجاحظ البيان والتبيين) لماذا لم يردّ أحدٌ على الجاحظ ولا على المعرّي ولا على طه حسين؟ بينما قامت الناقة حول ترجمة معاني القرآن بالأمازيغية ولم تقعد! من الجواب : لاحتكاره.

نفهم من هذا النص عدة حالات منها: أن العرب يعزلون أنفسهم في ميمنة المترجم ولم يندمجوا بعد، وهم عرب، والقرآن بلسان عربي مبين، فهذه لغتهم، فماذا يتعلمون عن ابن سَيّار؟ اللهم إلا إذا كانت مهمتهم مراقبة ما يعلمه للفرس المنعزلين في ميسرة المترجم يسمعون لترجمة القرآن وتفسيره وتأويله بلغة فارسية. والنتيجة **"لايُدرَى بأي لسان هو أبين"** وهكذا مع جميع اللغات مادامت الأمور الواضحة تؤخذ من صراحة اللفظ،، وإلا فلكل لغة مميزاتها وفصاحتها وبلاغتها وبيانها بالنسبة لقومها فقط وليس لقوم آخرين .فمخارج الحروف مثلا عند مغاني الهند والأمازيغ والسودان، ليست كأدائها الرنانة عند العرب حتى الآن!.

لذلك لا يمكن إلزام بل من المستحيل تحويل وتكييف ألسنة الناس غير العرب وحلوقهم وحناجرهم لمخرج اللغات العربية من إعجام وإهمال وتفخيم وترقيق وإمالة وإشمام وغنّة وما شئت مما كيفته بيئة شبه جزيرة العربية القاحلة، ثم لماذا يسكت الأمازيغيون عن تقويم كلمة أمازيغية نطق بها غيرهم خطأ ولم ينبهوا إلي ذلك الخطأ، ؟ ليتعلم منه كما تعلم هو ممن سبقه إلى العربية، وهذا واجب على كل من يحسن الأمازيغية، فلا تحتكروها كما وقع للعرب. بينما هم كلما نطق الأمازيغي بلحن في غير لغته العربية أو الفرنسية إلا ويهاجم حتى يقوم بمحاولة إصلاح لغة غيره، بل حتى الأعلام الأمازيغية تكرر في الإذاعات والتلفزات المغربية بشكل فظيع، وكلما قيل لهم قالوا: أمرنا بذلك اللحن.

ولعل البكري أدرك هذه الفصاحة لدى برغواطة إما بالأمازيغية إذا كان يحسنها، - وهذا بعيد أو ترجم له بفصاحة لغته هو فخاف من الاستغناء بالأمازيغية لدى الأمازيغ، كما استغنى الفرس بلغتهم عن العربية، وهذا الهاجس ما زال يشغل عقول الشرقيين ومن تتلمذ عنهم حتى الآن في المغرب نفسه، أما العقيدة الإسلامية فقد تمسك بها المسلمون شرقا وغربا، لأنها ليست حكرا على أحد، وها هي الأمم الشرقية الآن تتعلم القرآن بلغتها.

ومن الردود التي رددنا بها على من ينكر مغربيته مع أنه صرفت عليه الدولة المغربية منذ ولادته إلى أن تثقف على حسابها واعتلى أعلى المناصب فيها، ومع ذلك ينكر الهوية المغربية الأمازيغية **"إن جميع المغاربة أمازيغيون إلا من أنكر أمازيغيته، وحتى إذا حاول إنكار أمازيغيته نشك في سلامة عقله، وندعوا له بالهداية"**[256].

ومما أورده الحجوي في بلاد المغرب قال:" قد لقيت بعض الطلبة الذين يعلمون القرآن للبربر ببلادنا، فحكى لي أنهم يترجمون معناه أولا لمن يريدون أن يتعلموه، حتى إذا فهم معناه بقدر الإمكان، عند ذلك يسهل عليه حفظه"[257].

أقول: إما أن الحجوي قال ذلك من باب التقية أو أن الذي حكي له احتكر الواقع، وأنا أجزم بأن حفظ القرآن في المغرب وفي سوس خاصة، كان يحفظ عن ظهر قلب من طرف أي تلميذ بعد ما يكتبه له "طّالب" على لوحه، ثم يقرأ معه صاحب اللوح كما ينطق به "طّالب" وبعد ذلك يكرر أمحضار ما كتب له جهرا لمدة 24 ساعة" إلى أن يحفظ ذلك فيعرضه أمام "طّالب" والتلميذ الأمازيغي لا يعرف مما قرأ ولو كلمة واحدة، بل حتى الطّالب غالبا لا يعرف **إلا رسم القرآن** من ثبت وحذف وإعجام ومهمل وممال وموقوف وموصول ومُرقّق ومفخّم وممدود ومقصور، كما تعلم ذلك عن شيخه سماعا فصار يعلمه لغيره كما تعلمه بتقليد محض، وكان أساتذتنا يقنعوننا بقولهم: **ⵡⴰⵏⵏⴰ ⵉⵃⵙⴰⵏ ⵉⵏⵔⴰ ⵡⴰⵏⵏⴰ ⵓⵔ ⵉⵃⵙⵉⵏ وانّ إحسان إنرا وانّا ور يحسين"**: من حفظ حجة على من لم يحفظ، وكقولهم "حسو فادّ أد تسّنت" :احفظ يأتك المعنى، وكقولهم " توسّنا يكّذك تّ وحسّو" **ⵓⵃⵙⵙⵓ ⵉⴳⴷⵍⵜ ⵜⵓⵙⵙⵏⴰ** العلم ذهب به الحفّاظ.وكلها بداغوجية تهدف إلى التعريب أو لا.فمن أتم دراسته انتفع ؟.

ثم لماذا لا يتعلم من زعم أنه عربي اللغة الأمازيغية بدوره؟ ولو عايشهم وتزوج منهم، مدة طويلة، بينما الأمازيغي يتعلم اللغات بشكل عجيب، فما هو تفسير ذلك؟ فهل من باب التعلية واحتقار اللغة الأمازيغية؟ أو أن الأمازيغ احتكروا لغتهم ولم يساهموا في تعليمها لمن معهم في المسكن والمعمل، والمعاملات والمصاهرات؟ أم أن اللغة الأمازيغية ليست"لغة الخبز أي لغة المهنة التي لا بد منها؟" أو ينتظرون حتى يأتي جيل يكون رد فعله أدهى وأمرّ لا قدر الله، وذلك يخالف ما ساهم به علماء الأمازيغ

[256] من إحدى أجوبة جهادي في الموضوع.
[257] د عبد النبي ذاكر ص 54.

في العربية مثل ابن معطي وأجرّوم والمختار السوسي.. وما ساهم به المعلمون الأمازيغ في التعليم منذ الاستقلال إلى أن قيل: "يجب قتل البربرية".

وما معنى قتل البربرية؟ إنه قتل الأمازيغ الذين هم الركيزة الأساسية للأمة المغاربية من المحيط إلى برقة، ومن القتل التدريجي الحصار والإهمال والحكرا في جميع المستويات،أليس كذلك؟.

وقد ظهر في الشرق نموذجان من فقهاء متفتحين يشكرون، ومنهم متشددون محافظون مثل الشيخ محمد سليمان في كتابه " حادث الأحداث، في الإقدام على ترجمة القرآن سنة 1936م "ولرشيد رضا" ترجمة القرآن وما فيها من المفاسد ومنافاة الإسلام"؟ !

أما الفكر المغربي المتفتح حول ترجمة معاني القرآن، فقد بدأ في نظري منذ وصول عكرمة الأمازيغي إلى القيروان، وهو تلميذ عبد الله ابن عباس منذ وصوله إلى وطنه الأصلي، ثم ما سجل لبرغواطة في سهل تامسنا، ثم فتوى العالم السوسي محمّد بن محند بن عبد الله السملالي السوسي المتوفى عام 1122هـ / 1710م عندما استشار الشيخ الحسن اليوسي الذي استحسن منه الفكرة بشرط المعرفة التامة بالمراد، من معرفة موضوعات الألفاظ العربية، ثم محمد الحجوي المفتي بترجمة نقل معاني القرآن من لسان إلى لسان، ثم قام المفكر المغربي أحمد التجاني فساهم في ترجمة القرآن إلى الفرنسية. إلى أن قام كاتبه جُهادي الحسين الباعمراني بأول ترجمة كاملة للقرآن الكريم باللغة الأمازيغية في المملكة المغربية المتفتحة سنة 2003م.فقامت **الناقة** ولم تقعد، فهوجم المؤلف بتقولات لم تحدث بخلده أبدا، ولم أكن أتصور أن القرآن كان حكرا على العرب وحدهم، فكان ماكان. مع أنه لا يوجد في القانون المغربي ما يحرم ترجمته، فسقط في يد المحتكرين المنهزمين بامتياز.لحسن نيتي ولزوبعة وسائل الإعلام.إلى أن فزت بوسام جلالة الملك الحسن الثاني.

ومن شذرات الأستاذ عبد الله العروي "إن عدو رجل السياسة هو المؤرخ، لأنه يذكر ويُذكّر" صحيح، إذ ما عليه إلا أن يرصد الوقائع ويحللها، دون إهمال أسباب النزول، وظروف الزمان والمكان، ليقرب الماضي ما أمكن إلى الحاضر، لنستفيد من إيجابياته ولنتجنب سلبياته، فإذا سجلنا مثلا أن "أول ما نسخ من القرآن هو القبلة بعد ثمانية عشر شهرا (هناك ست روايات) من استقبال القدس إلى قبلة إبراهيم عليه السلام

(الكعبة) قال تعالى" قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولّينّك قبلة ترضاها، فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام"[258] (سورة البقرة /144) فهل هذا حرام ذكره؟ وما المانع من تعمق البحث في سببه كما يقول البعض؟.

مع العلم أن هناك أقوالا منها قول أهل السنة: "إنه لا يجب تعليل أحكام الله تعالى بالحكم" وقول المعتزلة: "إنه لا يمتنع اختلاف المصالح بحسب اختلاف الجهات " وقول اليهود لمن استقبل بيت المقدس من المسلمين" إنه لولا أنّا أرشدناكم إلى القبلة لما كنتم تعرفون القبلة، فصار ذلك سببا لتشويش الخواطر"[259].

دور تحويل القبلة في المجتمع: كان هذا الأمر هو فصل الخطاب بين ملتين، وذلك أن وفد اليهود في المدينة **ما كاد يسمع** بذلك حتى أتى رسول الله عليه السلام كل من رفاعة بن قيس، وفردم بن عمرو، وكعب بن الأشرف، ورافع بن أبي رافع، والحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وكلهم أعيان اليهود وكبارهم فقالوا:"يا محمد! ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه؟ ارجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك؟ وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه"[260].

فقال القرآن فيهم "سيقول السفهاء من الناس ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قل لله المشرق والمغرب، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"[261].

فإذا كان كبار وفد اليهود أدركوا خطورة تحويل قبلة المسلمين من بيت القدس المشتركة إلى مقام إبراهيم، فإنهم قد يئسوا من استمالة المسلمين، وبالتالي فذلك انفصال تام لا يرجع عليهم بخير، وفي نفس الوقت، فكل من بقي من المسلمين يستقبل القدس فهو في زعمهم معهم، وعليهم أن يسهروا على استمرار ذلك، ألا تكون دولة برغواطة ممن بقي يصلي إلى القدس لعدم توصلهم بتحويل القبلة بنص القرآن الذي لم يجمع بعد؟ وبما أن استقبال القبلة من شروط الصلاة، فكيف تمكن من كفر البرغواطيين في تامسنا من ضبط القبلتين، وكلاهما في جهة متقاربة في الشرق،

[258] سورة البقرة /144.
[259] الفخر الرازي ج 2 ص 106.
[260] ابن هشام ج 2 ص 176.
[261] (سورة البقرة الأية 142.

بالنسبة للمغاربة، مع العلم أن الموحدين وقعوا في خطأ أكبر، فكفروا المرابطين كما كفر غيرهم برغواطة من ذي قبل، والهدف واحد.

والعجيب أننا لم نسمع حتى الآن باكتشاف محراب برغواطي متجه نحو القدس، لكن بما أن اليهودية كانت منتشرة في شمال أفريقيا، وبما أن المؤرخين لا حظوا استقبال القدس عامة، وذلك دليل على توفر المساجد في تامسنا، ومعنى ذلك أيضا أن برغواطة مسلمون يؤدون صلواتهم في مساجد اليهود، كما فعل المسلمون بكنائس المسيحيين حيثما فتحوا، مثل كنيسة القيروان أول الأمر، واليهود مشهورون بالمساجد قبل الإسلام في اتجاه القدس، وهي أماكن مقدسة وتحتوي على قبور صلحائهم، ومن هنا ورد النهي عنها في الأحاديث في الصحيحين " قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد "[262].

دخل الإسلام إفريقية (تونس) "غير أن هذا الإسلام بقي سطحيا إلى موفّي القرن الأول على الأقل، وبقي كذلك زمنا طويلا بعد ذلك التاريخ في النواحي"[263].

وفيما يخص تعدد الصلوات عندهم، من الفرض والسنة والمستحبة فمجال واسع، وفيما يخص نماذج محرابات المساجد هناك ما يرجع إلى المرابطين المستقبل للكعبة، ومنها أخرى للموحدين محرب مساجدهم متجه نحو الجنوب .ونماذج ذلك ما زالت في المغرب. والخطأ للتألين.

أما تحويل القبلة في الشرق، فقد ترتبت عن ذلك أحداث أثرت في الزمان والمكان، فحولت المجتمع بكامله من اتجاه معروف، إلى اتجاه آخر بني عليه مسار تاريخ جديد، يصعب قبوله المفروض.على أقوام معاصرة إلى أن اضطروا طوعا أو كرها، لأن ما وقع ثورة جذرية وليس طفرة ظرفية لحكمة الله وإرضاء لرسوله كما لذلك تأثير لعدة أسباب منها:

1- إما أن القوم أجبروا منذ البداية بالقوة على اعتناق عقيدة الغير؟.

2- وإما أن القوم وجدوا في الشريعة الجديدة ما بشروا به لمصلحتهم فقبلوه؟

3- وإما أن القوم استثقلوا من التشريع الجديد ما كلفهم به ومما لا يطيقون فاستنكروه؟

[262] البخاري كتاب الصلاة.
[263] الطالبي ص 139.

4- وإما أن القوم قبلوا العقيدة بقدر ما رفضوا الاستغلال بواسطتها بعد تفسيرات وتأويلات مفروضة في نظرهم فيما بعد، وذلك مخالف للتدرج والتفهيم بلسان القوم، إلى أسباب أخرى فرضها الواقع وتطور المجتمع .والاعتراضات الواقعة في الشرق ومن الطبيعي أن يقع مثلها عند برغواطة، وخاصة إذا فشت فيهم اليهودية.فوجدهم مؤرخو الشرق مازالوا يستقبلون بيت القدس، ولعل آية التحويل لم تبلغهم بعد، وقد يكون أولئك المؤرخون بل حتى من نقل عنهم يجهلون خطوط الطول للقبلتين معا.إذ القاعدة تقول: **"إن كنت ناقلا فالصحة، أو مدعيا فالدليل"** وأنى لهم ذلك؟. كما أن البداوة تكره التاريخ والجغرافية والفلسفة لانتشار الأمية.

5- الإسلام يدعو إلى كلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة " فلو وجه كل واحد في صلاته إلى ناحية أخرى لكان ذلك يوهم اختلافا ظاهرا، فعين الله تعالى لهم جهة معلومة وأمرهم بالتوجه نحوها لتحصل لهم الموافقة بسبب ذلك، وفيه إشارة إلى أن الله يحب الموافقة بين عباده في أعمال الخير"[264].

وقد كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى العامة فقال: "فإنكم إنما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم، تكامل النعم، **وبلوغ أولادكم من السبايا**، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله (ص) قال: الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا"[265]. أليس هذا دعوة لفرض تفهيم الناس بلغتهم ما أنزل الله وباختلاف ألسنتهم وألوانهم؟ لماذا تحتكر مثل هذه النصوص؟

شكاية أعيان الأمازيغ بظلم ولاة الشرق :

"فخرج ميسرة في بضعة عشر إنسانا حتى يقدم على هشام، فطلبوا الإذن فصعب عليهم، فأتوا الأبرش، فقالوا:أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزوا بنا وبجنده، فإذا أصاب نقلهم دوننا، وقال:هم أحق به، فقلنا: إذا حاصرنا مدينة قال: تقدموا وأخر جنده، فقلنا :نتقدم فإنه ازدياد في الجهاد، ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا وكفيناهم، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها على السِّخال (جلود صبيان المعز قبل أن

[264] الفخر الرازي ج 2 / 143.
[265] الطبري ج 2 ص 591.

تولد) يطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد، فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين، فاحتملنا ذلك، وخلّيناهم وذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا: لم نجد في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين ذلك أم لا؟.

قال: نفعل، فلما طال عليهم ونفذت نفقاتهم، كتبوا أسماءهم في رقاع، ورفعوها إلى الوزراء، وقالوا هذه أسماؤنا وأنسابنا، فإن سألكم أمير المؤمنين عنّا فأخبروه، ثم كان وجههم إلى أفريقية، فخرجوا على عامل هشام فقتلوه، واستولوا على أفريقية"[266]. وهذه الأفعال المذكورة لولاة بني أمية، هي التي تفسرمعنى قولهم : "يجب قتل البربرية".

ميسرة المدغري من أكبر زعماء الأمازيغ: إنه "سيد قومه، وشيخ قبيلته، وهو العالم بأنساب البربر[267]، ووقع الإجماع علي زعامته بعد موت عكرمة البربري مولى ابن عباس بالقيروان، فآزرته مكناسة والأفارقة وبرغواطة وهو زعيم الأمازيغ ضد الولاة لدى الخليفة هشام بن عبد الملك الذي أهمل شكايتهم، وهكذا تسنى له **توحيد القبائل في كافة ربوع المغرب الأقصى**، وبويع بالإمامة، وقتل عمال بني أمية الجائرين كعامل طنجة عمر بن عبيد الله المرادي، ثم اتجه إلى سوس، وقتل إسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب، وتمت له السيطرة على المغرب الأقصى، وانفصل عن نفوذ الشرق بالقيروان، لكن المؤرخين يعزفون عن سرد تلك الوقائع لكثرتها وطول ذكرها[268].

فهل للتاريخ دليل على إهمال بني أمية مسؤوليتهم إلى هذا الحد الذي يؤيد شكاية وفد ميسرة البرغواطي باسم الأمازيغ أمام قصر الخليفة هشام الأموي ؟ لنستمع إلى هذا النص الذي نقله ابن خلدون عما حكاه المسعودي في أحوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور فقال:

"أما عبد الملك فكان جبارا لا يبالي بما صنع، وأما سليمان فكان **همه بطنه وفرجه**، أما عمر فكان أعور بين عميان، وكان رجل القوم هشام .حتى أفضى الأمر إلى أبنائهم

[266] الطبري ج 2 ص598.
[267] ابن خلدون ج 6 ص 150.
[268] ابن عذاري البيان المغرب ص ج 1 ص 52.

المترفين، فكانت همتهم قصد الشهوات، وركوب اللذات، من معاصي الله جهلا باستدراجه، وأمنا لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة، واستخفافهم بحق الرئاسة، وضعفهم عن السياسة، فسلبهم الله العز، وألبسهم الذل، ونفى عنهم النعمة"[269].

عاقبة المترفين من بني أمية: " فكانت همتهم قصد الشهوات، وركوب اللذات، من معاصي الله جهلا" قد يقول البعض هذا تحايل على بني أمية من أعدائهم، قد يكون بعض من ذلك، لكن ما لم يشهد شاهد من أهلها، لنستمع إلى هذا الحوار بين أموي فر إلى عند ملك النوبة أيام السفاح المبيح العباسي إذ قال:

"أقمت مليا حتى أتاني ملكهم، فقعد على الأرض، وقد بسطت لي فرشٌ ذات قيمة، فقلت ما منعك عن القعود على ثيابنا؟ فقال: إني ملك، وحقٌ لكل ملك أن يتواضع لعظمة الله إذ رفعه الله، ثم قال لي: لم تشربون الخمر وهي محرمة عليكم في كتابكم؟ فقلت أجرأ على ذلك عبيدنا وأتباعنا، قال: فلم تطؤون الزرع بدوابكم والفساد محرم عليكم؟ قلت فعل ذلك عبيدنا وأتباعنا بجهلهم، قال: فلم تلبسون الديباج والذهب والحرير وهو محرم عليكم في كتابكم ؟ قلت ذهب منا الملك وانتصرنا بقوم من العجم دخلوا في ديننا فلبسوا ذلك على الكره منا.

فأطرق ينكث بيده في الأرض ويقول"عبيدنا وأتباعنا وأعاجم دخلوا في ديننا ثم رفع رأسه إليّ وقال: ليس كما ذكرت، بل أنتم قوم استحللتم ما حرم الله عليكم، وأتيتم ما عنه نهيتم وظلمتم فيما ملكتم، فسلبكم الله العز وألبسكم الذل بذنوبكم، ولله نقمة لم تبلغ غايتها فيكم، وأنا خائف أن يحل بكم العذاب وأنتم ببلدي، فينالني معكم، وإنما الضيافة ثلاث، فتزود ما احتجت إليه وارتحل عن أرضي "[270]. وردت في هذا الحوار حقائق نلخصها في النقط الآتية :

1- كانت المسيحية متجدرة في القرن الإفريقي منذ عهد الرومان، ومنها الإيمان بنبوة عيسى عليه السلام. وبوحدانية الله على المذهب البزانطي .القريب من الإسلام ..

2- وصلتهم بعثة رسول الله منذ ظهورها فقبلوها بعدما اختبروها واعتزوا بالهجرة الأولى إليهم من ظلم كفار قريش، وفي الحديث " اذهبوا إلى ملك فإنه لا يظلم أحد في ملكه أو كما في معناه" ولما مات الحبشي صلى عليه الرسول صلاة الغائب.

[269] مقدمة ابن خلدون ص 207.
[270] مقدمة ابن خلدون ص 207.

3- كان ملك النوبة على علم بكتاب الله وما حرمه وما قام به العرب من فساد في الدين وظلم للشعوب وانتهاك حتى حقوق الزرع، فاستوجبوا غضب الله عليهم.

4- كذّب ملك النوبة كلَّ ما دافع به المرواني وحذره من نقمة الله وطرده بأدب أقسى من ضربه المادي وإخراجه قاطعا الأمل في مساعدته.

5- كان من المنتظر أن يتعظ العباسيون بما سببه الترف لبني أمية ولكن هيهات! فأبناء هارون الرشيد " منهم الصالح والطالح، ثم أفضى الأمر إلى بنيهم فأعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهريا، فتأذّن الله بحربهم وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة، وأمكن سواهم والله لا يظلم مثقال ذرة"[271].

6- وهل كان ممن سبق هؤلاء المسرفين نموذجٌ اقتدوا به؟ بل كان عمر يرقع ثوبه بالجلد، وكان علي يقول: يا صفراء ويابيضاء غِرّي غيري، لكن في أيام عثمان اقتنى الصحابة الضياع والمال حتى فاض عليهم بشكل يصعب تصديقه، وهو الواقع. إلى أن حل الخلف محل السلف، فتمتع بالغنائم والفُـيُـوء ، فكثر المترفون ففسقوا فيها فحق عليها القول فصار ذلك تقليدا أعمى في سائر الأقاليم، بما فيها وطن الأمازيغ من حدود مصر حتى المحيط لم تنج من كلمة "أثخنّا فيهم".

مثل هذه الحقائق يجب أن تعاد كتابتها وتنشر وتوضح وتحلل ليعرف القارئ العاقل، وليفهم الكل سبب قلب الحقائق التي يرمي بها الخصوم دولة برغواطة في وطنها تامازغا،عندما رفعت شكايتها فلم تحظ حتى بمن يستقبلها،لنشر الوثائق، حتى لا يعيد التاريخ ما سلطه الخصوم قولا وتسجيلا وتفنيدا قصد تجريد المغاربة من مميزاتهم النبيلة التي أشاد بها ابن خلدون .وسجلها كتاب " مفاخر البربر" وما زال الواقع يشهد للمغاربة بخصال محمودة .وكما يقول المثل:" أيـنّـا نـلاّن غ يخْـسّ وُر ات سّـيـريـدن وامـان" ⵎⴰⵙⵙⵓ ⵜⵉⵎⵓⵍ ⵖ ⵜⵅⵔⵔ ⵙⵔ ⵎⴰⵜ ⵔⵔⵜⵜⴰⵜⵉⵍ ⵍⵓⵟⵓⵍ : ما كان أصلا في العظم لا يغسل بالماء.

فما العيب في إبراز الحقيقة في كل ما ألصقه الخصوم بدولة برغواطة كفتح المغرب عنوة وليس سلما لينهبوا الأرض ومن عليها، ونشر ذريعة ردة البربر (12) مرة،

[271] نفس المرجع ص 206.

وإرجاع أصل البربر إلى خارج القارة الإفريقية، والغاية من ذلك تشكيك الأمازيغ بأنهم ليسوا أصلا في وطنهم تامازغا، فاستمر ذلك الشك حتى أثبت البحث التاريخي حاليا حقيقة ما سجله ابن خلدون من أصالة الأمازيغ منذ قرون بقوله : **"وتأباه نسّابة البربر"** وبتكريس هذه الشكوك أنكر العرب دور الأمازيغ الإيجابي في الأندلس وفي السودان الغربي، ومساهمة المغاربة عبر التاريخ في بناء حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط. برّا وبحرا، سلما وحربا، غزوا ومغزواً، ومن ذلك نشر الإسلام في السودان الغربي بالسلم والتجارة والتصوف...

دور الدين في المجتمع: إن الدين الحقيقي هو السلم والمسالمة: "إن الدين عند الله الإسلام" وهذا المفهوم هو الذي رغب فيه الجميع، وهو ضروري لكل مجتمع يريد الاستقرار، لكنه سلاح ذو حدين: ضد الجهل وضد الظلم، وشعاره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت مسؤولية أولي الأمر منكم، وبذلك جاءت جميع الديانات السماوية التي تسموا بالمجتمع من أوحال الرذالة والظلم والطغيان، إلى مرتبة جعل الإنسان في أحسن تقويم. وهذا هو الحد الإيجابي.

أما الحد الثاني للدين السلبي فهو خراب ودمار وسفك دماء وقهر وإرهاب نتيجة استغلاله وتأويل نصوصه حسب إيديولوجيات فرضها القوي على الضعيف، من طرف إنسان ضد أخيه الإنسان، وهذا النوع كثيرا ما ابتلى به شمال أفريقيا، ابتداء من القرطاجيين الضيوف، إلى الرومان المستغيثين بهم، إلى الوندال العسكريين، إلى البزنطيين المستضعفين، إلى العرب الفاتحين قبل أن ينقلبوا إلى غزاة فاتكين بالأخضر واليابس، وأخيرا الاستعمار الأروبي الحديث.

ومن أعجب العجاب! كيف استطاع شمال أفريقيا أن يحافظ على هُويَته كل هذه القرون! وكيف استطاعت أمته مقاومة تلك الرواسب الدخيلة، وإن من استعرض تاريخ هذه الأمة قد يخرج منه بفلسفة غريبة تتلون كالحرباء، إنها فلسفة المرونة المعروفة حديثا في الاتحاد السفياتي، فعندما يباغثها سيل الوادي تلتصق بأرضها كشجرة الدفلى ريثما يمر السيل إلى غير رجعة، ثم ترفع رأسها شامخة مزهوة معلنة انتصارها في وطنها فتستمر الحياة العادية بمقاومة مناسبة.

أما إذا تعرضت لأمواج وهي في ظروف غير مناسبة للمقاومة، فأفضل سياسة هي جر الغزاة بالمناوشات وحرب العصابات، إلى مخانق الأطاليس حيث يمكن الإجهاز عليها بأقل جهد ممكن .وهذه السياسة كانت حتى ضد الأوبئة، فجبالهم هي حصنهم إلى ظرف مناسب.

أما إذا عزمت هذه الأمة على رد الفعل فحدود إمبراطورياتها لا تخفى على أحد، شرقا وشمالا وجنوبا، هذا كله واضح، ولكن كيف نوضح ما قيل وما يقال وما لقن خطأ ضد برغواطة بدون دلائل مادية تبرز الحق من الباطل، هذا في القديم؟ وهل ينسى المغاربة ما سمّى **"بالظهير البربري"** الذي لا وجود له بهذا الإسم، ولا أثر له في الجريدة الرسمية، ومع ذلك تحتفل بذكراه الأحزاب الكبرى في مغربنا وبقلم كبار كأنهم ليسوا من هؤلاء المغاربة ؟!؟.

هذا نموذج من الدعايات التي لا وجود لها، وإنما هي سلاح دعاية يقمع به كل من يقول ربّ الله بلغته الأمازيغية، وقد تلقينا هذا العنوان من أساتذتنا في الجامعة، وبعد تخرجنا لقنّاه نحن بدورنا لطلبتنا، ولم نستيقظ من سباتنا إلا بعدما ميزنا بين مصطلحات قانونية، فتبين لنا أن الظهير معناه هو النص الذي يحمل طابع جلالة الملك، والأمازيغ لا يصدرون قانونا بهذا الاسم لينسب لهم، ولما بحثنا في الجريدة الرسمية تبين إسناد النص إلى غير أهله، كما لا يوجد بها العنوان وليس فيه ما قوّلوه له، وإنما فيه **"إقرار الأمازيغ على عوائدهم وتنظيم ما يجرونه عليها من أعمالهم"** (ظهير السلطان مولاي يوسف بتاريخ 11 شتنبر 1914م).

وبتكراره وبالاحتفال به كل سنة وبأحرف بارزة على جرائد مَن صنع الأكذوبة، أثر ذلك تأثيرا بليغا لربطه بالدفاع عن إسلام البربر، **ورغم أن من خلقوا تلك الأكذوبة قد اعترفوا حاليا بذنوبهم** وأنهم إنما فعلوا ذلك حتى لا يخضعوا لسلطة الحماية، في الوقت الذي تجنسوا هم بالحماية فقد سببت تلك الأكذوبة قمعا نفسيا للأمازيغ حوالى قرن بكامله.

فإذا كانت تهمة "الظهير البربري" استغرقت كل هذه المدة، إلى أن افتضحت، فلتقارن بتهم ألصقت بدولة برغواطة لأكثر من أربعة قرون، والنتيجة أن الخصوم قد حملوا وزرهم.

إن أهمية وطن الأمازيغ تامازغا (شمال أفريقيا) الاقتصادية هي التي تغري بخيراتها عبر التاريخ، وهي التي خلقت للمغرب حسّادا وغزاة ومنافسين ومناوئين، فقد التمس الغزاة منذ زمان، فتاوي من فقهاء من جنس الخصْم والحَكم، حول "هل فتحت أرض المغرب عنوة أو صلحا أو مختلطة؟. وعن ابن القاسم فتحت عنوة بالسيف، معناه أنها ملك للغزاة بما فيها ومن فيها، وهذا مخالف للتاريخ.

والقول الثاني أنها فتحت صلحا، معناه دفع الجزية والجبايات والبنين والبنات ولو بعد إسلامهم، ثم دفع شبابهم وحده للموت في المعارك، وبعد الانتصار يأخذ الأسياد الغنائم ويضمض الأمازيغ جراحهم في انتظار معركة أخرى. وهذا لم يوجد في كتاب ولا سنة، ولكن من باب مع الأكل تأتي الشهية.

والقول الثالث مختلطة، معناه هرب بعضهم وتركوها فصارت خالية من أهلها، وذلك محض كذب. إلى أن **أفتى الفقيه الشيخ أبوجيدة** بأنها "ليست بصلح ولا عنوة" معناه أن أهلها الأمازيغ قبلوا الإسلام على أرضهم .كيف نتصور الآن عقلية أولئك الغزاة، الذين وضعوا وطن أمة بكاملها في مزاد علني بين فتاوي من لا يملك، ليزفها بجرة قلم أو بتصريح شفوي لمن لا يملك ولا يستحق، كأن الأمة الأمازيغية من سقط المتاع؟ أو من (خردة) مباحة للغزاة، ومن ليس كفئا لتسييرها وتعميرها؟.

فكيف لا ينكر هذا الشعب المزاد العلني كغنم في سوق النخاسة؟ أليس من حق الشعب أن تثور على أي غزو يسفك الدماء بلا حساب ؟ ويعلن انتصاره بشعار "أبشروا بالفتح، فقد أثخنّا في البربر " كما ورد في رسائلهم وفي كل مرجع كتب عن برغواطة.

صحيح، أنه من الظلم أن تجرد دولة بني أمية مما تستحقه من ماضيها المجيد، فقد وسعت الإمبراطورية الإسلامية، واقتبست من تاريخ الفرس ما يعتز به الإسلام والمسلمون، فقد قلدوا الدواوين، وتوسعوا في الأنظمة وضربوا العملات ومزجوا بين الشعوب تحت راية الإسلام، فشجعوا اللغة العربية وآدابها، وفسحوا المجال للشعراء والأدباء،وفي النهاية ابتليت دولتهم فكانت عاقبة أمرها على يد ولاة كانت سيئاتهم وبالا عليهم وعلى دولتهم.

أما ما نشير إليه هنا فهو موجه إلى بداوة الأعراب وخشونة طبعهم، وهم قادة أرغموا على الإسلام في عقر دارهم منذ البداية، فأفرغوا حقدهم في الأقاليم المجاورة .فكيف لا يحقد العرب وقد قتل سادتهم بالسيف كمعارضين للإسلام لعدم فهمهم الغاية منه، كما دفع شبابهم بعد قنوطهم من النجاة إلى مقارعة السيوف حتى أفنتهم المعارك، ومنهم من بيض الله صحيفته تحت راية الإسلام، وإن كانوا في أول الأمر ليس أمامهم إلا القتل والتقاتل، ولو فيما بينهم، كما هو ديدنهم، فتشبعوا بالرعب وتربوا عليه، يُرهِبون ويُرهَبون حتى ميزوا أنفسهم من دون الناس ترفعا من أن يكونوا كأسنان المشط على حد تربية الرسول صلى الله عليه وسلم.

وما فعلته بني أمية من الانتقام في الشعوب لا يرجع إلى غاية الإسلام أبدا، وإنما فرضت ذلك معاناة الأعراب، وما ترسب في نفوسهم من الانتقام من شعوب متحضرة مغلوبة أمام بداوة شظف العيش وضيقه، ،فالبداوة دائما تغلب التحضر إلى أن اكتشف البارود. وما تلاه من الأسلحة التي تفتك بشجاعة البدوي وهو بعيد عن المعركة.

فقد كان المسلمون متساوون كاسنان المشط، إلى أن أحدث معاوية أول مقصورة تحول بينه وبين الناس في الصلاة، **لكن بعدما طعنه خارجي**، وكذلك فعل مروان بن الحكم لما **طعنه يماني**، وهذا عمرو بن العاص أول من أحدث المنبر **ليعلو المصلين** في مصر وهم تحت أقدامه، حتى عنفه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ومحاربة ولاة بني أمية كانت بسبب ظلمهم في الشرق من طرف العرب أنفسهم، وذلك هو نفس ما وقع لهم في وطن تامازغا من طرف، المغاربة، وليس كراهة ولا ردة ولا عنصرية من الأمازيغ كما يستدل بذلك خصومهم كلما أرادوا تصدير مشاكلهم، ولنفرض أن شمال أفريقيا قد نضج وصار راشدا في جميع المستويات، وأنه لم يعد يرضى بوصية أحد شرقا ولا غربا، فما هو العيب إذا أعلن هويته؟ فهل الحضارة هي التي تُحرّف من هو حديث عهد بها؟ لنترك الجواب للتاريخ :

1- بالنسبة لما كان عليه العرب" من خشونة العيش وشظفه الذي ألفوه، فلم تكن أمة من الأمم أسغب عيشا من مضر، لمّا كانوا بالحجاز. ولقد كانوا كثيرا ما يأكلون العقارب والخنافس ويفخرون بأكل العَلهَز، وهو وبر الإبل يمْلهونه بالحجارة في الدم ويطبخونه، وقريبا من هذا كانت حال قريش ..إلى أن أكرمهم الله بنبوة محمد (ص)

فزحفوا إلى أمم فارس والروم فابتزوا ملكهم، واستباحوا دنياهم، فزخرت بحار الرفه لديهم "[272].

2- وليس العرب وحدهم هكذا في الخشونة فها هي الشعوب الجرمانية كانت أكثر همجية لا يقلون عن الوحوش الضارية فعلت الأفاعيل - في ظرف وجيز- بعظمة الأمبراطورية الرومانية بدون رأفة ولا رحمة، فسماهم التاريخ الشعوب المتبربرة المتوحشة وعددهم أحد عشر شعبا دخلوا في الإمبراطورية المذكورة كالسرطان في الجسد.

3- نموذج موجات التتر والمغول من الوحشية بالمكان، قصرت عنها أسود الغاب التي تكتفي بالحاجة الظرفية، ولا نستثني ما فعل الإنسان بأخيه الإنسان باسم الفتوحات من هنا وهناك، ولكل عهد مبرراته وظروفه الخاصة.وليس لذيذ الحياة دائما في الرفاهية، فهذه زبيدة امرأة هارون الرشيد تتمنى لو رجعت إلى بداوتها العربية الفسيحة الأرجاء، حيث تتنفس الحرية بدلا من حياتها في القصور بالشام، وهي حرة عربية والإنسان ابن بيئته فقالت:

لبيت تخفق الأرواح فيه أحب إلي من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف

فمتى يتخلى الإنسان عن الوحشية؟ ومتى يهذب من مواصفاته والأنياب والأظافر ما زالت من أثر بداوة الماضي، ولهذا نجد الكتب المرسلة تؤكد على الرأفة والرحمة، وتوصي بأن الإنسان أخو الإنسان .لكن ماذا نفعل بموقع المسؤولية، وما تفرضه الظروف القاسية التي تبيحها القاعدة المشاعة **"ارتكاب أخف الضررين، وأدنى المفسدين"** بدعوى أن من يعمل دائما يتعرض للأخطاء لتحمله المسؤولية، إذ ليس ربّان السفينة كالنائم فوقها.والله يقول: "وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا "ومن الأمراض الجاهلية التي نهى عنها رسول الله منذ البداية: " يامعشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمَها بالآباء، الناس من آدم، وآدم خُلق من تراب ثم تلا الآية : "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

[272] مقدمة ابن خلدون ص 204.

فهل هؤلاء المظلومون البرغواطيون يعدون مرتدين؟ أم أن الذين حاربوهم في عقر دارهم هم الظالمون بقساوة لا تمت بصلة إلى الكتاب ولا إلى السنة، وخاصة بعدما رفع الأمازيغ شكواهم إلى أمير الشرق دون أن يسمح لهم حتى باللقاء بالمسئولين، فرجعوا ليدافعوا عن وطنهم بعدما نفذ صبر الجميع، وبلغ الظلم أشده " حتى كان زمان هشام بن عبد الملك فمنع البربر أرضهم (حرروها) وبقي من في الأندلس على حاله" (نفسه) ألا ينطبق هذا الجور على برغواطة ؟ وكان من السهل أن يعرف المغرب كله مقاومة لما جرى في أفريقية (تونس) ويحضرني هنا قول أحمد أمين المصري إذ قال:

"هذا العمل ليس بحاجة إلى تقديم أو تفريط، قد مضى زمن الطاعة، وحل محله زمن التمرد، هذه عصارة أقدمها إليك جرعة جرعة، وترشفها رشفة رشفة، إذا شاع الذوق السليم بين الناس شاعت بينهم السكينة، وإذا شاعت بينهم الخشونة ساءت المعاملات والسلوك، أرجوك أن تُرقي ذوقك إذا كتبت للناس، أو أنت تنسحب من بينهم إلى من تروقهم أخلاقك، حذار من أن تذهب بك الظنون مذاهبها، أو تتقاذفك التيارات فتصبح كهشيم تذروه الرياح، فكم من أمثالك جنت عليه القومية والحزبية وسلبته السامية واستعبدته الغواية" وهل تذكر المصريون هذه القولة؟.

الردة والتكفير: ومعنى الردة هو الإيمان بالدين ثم التراجع عنه علنا، وقد يظن البعض أن هذا المصطلح خاص بالعرب، لكنه موجود في الديانت الأخرى كالمسيحية، والذي يهمنا هنا هو شيوعها في موطن الرسالة المحمدية في عهد الرسول نفسه.

إذ هناك أفراد ارتدوا والرسول بينهم قال الواقدي: "أمر رسول الله (ص) بقتل ستة نفر وأربع نسوة، فذكر من الرجال من سماه ابن إسحاق ومن النساء هند بنت عتبة بن ربيعة، فأسلمت وبايعت، وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف، قتلت يومئذ، وقُريبة قتلت يومئذ، وفرتى عاشت إلى خلافة عثمان" ومنهم من فهم غاية الإسلام فتراجع وأسلم، فقبل الرسول رجوعه، ومنهم من هاجر حتى مات على كفره[273].

عن ابن الأثير قال "وكانت ردة الأسود العنسي أول ردة في الإسلام على عهد رسول الله (ص) حيث أخرج من اليمن خلفاء الرسول واستتب له ملك اليمن، - وهو من

[273] الطبري ج 2 ص 161.

سلالة القائد أبرها صاحب الفيل المرسول لهدم الكعبة، كما في سورة الفيل - واستطار أمره كالحريق وتبعه في الردة خليفته عمرو بن معديكرب "[274].

"قال عمرو بن معديكرب يا قيس: إنك سيد قومك اليوم، وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول: إني نبيء، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه، فإن كان نبيئا كما يقول، فإنه لا يخفى عليك إذا لقيناه اتبعناه، وإن كان غير ذلك علمنا علمه، فأبى عليه ذلك قيسُ بن مكشوح وسفّه رأيه"[275].

فهذه القصة تشبه تماما في كثير من الوجوه، قصة رحلة سبعة رجال الرگراگة المغاربة الذين سمعوا بظهور نبي، فذهبوا يستكشفون أمره، فسألوه عما يؤمنون به في قصة عيسى ومريم، فكان الجواب " إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم، خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون [276]."والعجيب أن قصة ابن معديكرب وقعت تقريبا في نفس الزمان.ونحن نعلم أن مصادرة الحكايات الشرقية انتشرت في المغرب ولو كانت من الأساطير". وأما أخبار الردة فإنه لما مات النبيء (ص) ارتدت العرب، وتضرّمت الأرض نارا، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشا وثقيفا كما ذكرنا سابقا.

ونفهم من هذه القولة: أن القرآن الكريم كمصحف كامل لم يصل بعد إلى أولئك المرتدين، إذ لم يصلهم مجموعا كما في المصحف العثماني إلا فيما بعد، وحتى عندما قام الخليفة الثالث عثمان لم يصل شمال أفريقيا إن صح ذلك - إلا نسخة واحدة، فكيف يكفي هذا العدد لأمة بكاملها ؟ مع العلم أنه بالعربية القريشية التي يعجز القراء حتى الآن عن استغنائهم عن المعاجم لفهمها، فكيف بمجتمع أمازيغي في بلاد برغواطة؟ وحتى إذا وصل منه ما وصل فبحروف آرامية بلا شكلٍ ولا نقط، إلى زمن حجاج بن يوسف، وهنا نفهم أن ما وصل إلى دولة برغواطة ما هو إلا عن طريق بعض المحفوظات من القرآن، بالإضافة إلى أحاديث مر عليها قبل جمعها حوالي قرنين من الزمن حتى بالنسبة للعرب أنفسهم.**وهنا يجب تقديرنا واعترافنا لمن قام بتلك المجهودات.**

---

[274] الكامل في التاريخ ج 2/ 212.
[275] الطبري ج 2 /197.
[276] سورة آل عمران الآية 59.

كل هذه الاعتبارات لم تراع .فسهل على المرتدين العرب أن ينظموا "أساجيعهم " التى حاكوا بها القرآن الكريم حسب ما وصلهم من الآيات، فنسجوا على منوالها وسموها قرآنهم حسب فهمهم، إذ لو وصلهم قوله تعالى " وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم [277]". لما أنكروا استمرار رسالة محمد بن عبد الله (ص).

وما وقع لعمر بن الخطاب لا يخلو من أمور ثلاثة: إمّا أنه لم يطلع على هذه الآية، حتى ذكره بها أبوبكر الصديق، أو أنه نسيها فأنكر موت الرسول، فأنذر من يصرح بموته، أو أنه آمن بأن الرسول محمدا سيرجع كما ورد في الإنجيل بالنسبة لعيسى، إلى أن قرأ عليه الصديق أبو بكر تلك الآية المذكورة .وقد حار العرب منذ البداية في فصاحة القرآن بالنسبة إليهم، كما كانت تسلبهم فصاحة كبار شعرائهم في مواسمهم المعروفة، كذيقار وذي المجنة، والشعر ديوان العرب كعادة شعب أميّ.إلى أن نزلت الآية :"وما علمناه الشعر وما ينبغي له"[278].

لكن العرب لا يفرقون بين الوحي والإلهام منذ البداية، كما لا يفرقون بين النبيء والكاهن، ولا بين التلقي من مَلَكٍ ولا من الجني، بسبب مستواهم الفكري.ولكي نفهم ما دار بين الطرفين نورد بعض الآيات في الموضوع.

قال تعالى: "فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون"[279]، وقوله تعالى: "وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين"[280]. وهل كان المخاطبون في الجاهلية يدركون هذا المستوى؟ وغير ذلك من الآيات التي ترفع من مستواهم الفكري؟ لكن لجحودهم وتكبرهم كالوليد بن المغيرة المخزومي بعدما عجز عن الإتيان بمثله، قال:"إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر"[281]. وتعد هذه القولة بداية للتحدي من الآخرين. فقد كان الشعراء هم سادة الفكر المحلي والقبلي، ولما جاء القرآن أنزلهم من مرتبتهم وقلل من مكانتهم ومن شأنهم، إلى أن أمر حسان بن ثابت بالرد عليهم.

---

[277] آل عمران الآية 144.
[278] سورة يس الآية 69.
[279] (سورة الطور الآية 29.
[280] سورة الشعراء الآية 192.
[281] سورة المدثر الآية 25.

ومن ذلك ما نجده لدى الرواة في عهد الفتوحات الأولى كإحراق خزانة الإسكندرية، وهي أكبر دليل عما أصيبت به الحضارة الإنسانية، وفي رسالة عمر بن الخطاب - إن صحت - حول مصير تلك الخزانة ما يكفي في الموضوع، إذ طبق نفس المصير في شمال أفريقيا.

وقد يقول البعض: فما العمل إذا وصلت المضاهاة إلى مستوى جرأة مسيلمة بن حبيب الذي كتب إلى رسول الله (ص) هذه الرسالة:" من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ،سلام عليك،أما بعد فإني قد أشركتُ في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون"[282]. ونفهم من كلمة "نصف الأرض" في هذه المراسلة ما يعرف بشبه جزيرة التوابل،أي ما يسمّى فيما بعد بالجزيرة العربية.

فرد الرسول (ص) بهذه الرسالة: "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب: السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يؤرثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين"[283]. وبعد موت رسول الله ارتد عمرو بن معديكرب في قومه بعد إسلامه[284].

دوافع الردة في المجتمع البدوي:

1- انتشار القبلية: - باستثناء بعض المدن - إذ تشتت قبائل العرب في صحراء شاسعة نشأوا على الدفاع عن مجالهم الرعوي، وتشبثوا بحرية شبه مطلقة، أكسبتهم الاعتماد على النفس لقساوة بيئتهم، والدفاع عن مجالهم القبلي، ومن الصعب أن ينقاد مثل هذا الشعب بسهولة.

2- تعصبهم وعدم خضوعهم لغيرهم، ولو كانت لهم فيه مصلحة مجتمعهم.

3- لا يرضى العرب بأن تحكمهم قبيلة قريش المتحكمة في رحلتي الشتاء والصيف

4- لا يتصورون نزول وحي من السماء على بشر مثلهم ولذلك أنكروا الإسراء.

5- لا يفرقون بين القرآن وبين أسجاع الكهنة وبلاغة الشعراء في مواسمهم المعروفة.

---

[282] ابن هشام ج4 ص 247.
[283] ابن هشام ج4 ص 247.
[284] نفسه ج4 ص 231.

6- لا يميزون من يخبرهم بالمغيبات بواسطة الوحي أو بالإلهام إو بالجن أوبالشياطين أو بالتخرصات والأكاذيب، ولكنهم يعتقدون في العادات والثقافة البدوية.

7- كانت الشهادة بالإسلام لا تكلفهم شيئا، ما دامت منحصرة في النطق بها في البداية

8- لما مات الرسول تنبأ عدد منهم لسد الفراغ بين قبائلهم كموت زعيم في نظرهم

9- لما وقع ربط الصلاة بالزكاة " رفضت القبائل العربية دفع الزكاة، وارتد الأعراب جملة وتفصيلا.، وقد اجتمع وفود القبائل بالمدينة لعاشر من متوفى رسول الله، فعرضوا الصلاة على أن يعفوا من الزكاة "[285].

10- ومما قاله أتباع طُليحة وهو عيينة بن حصن"والله لأن نتبع نبيئا من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبيئا من قريش، وقد مات محمد، وبقي طليحة [286]". ومما ورد في الكامل لابن الأثير: "وكان طليحة قد تنبأ في حياة الرسول (ص) فوجه إليه النبيء ضرار بن الأزور، ومات النبيء وبقي طليحة على ما هو عليه.

ومما ورد "أن هؤلاء لم يرتدوا عن الإسلام لبغضهم إياه، أو كراهتهم له، وإنما ظنوا أن الإسلام قد انتهى بوفاة الرسول، أضف إلى ذلك أنهم لم يخرجوا عن عقيدة التوحيد التي هي عماد هذا الدين"[287].

وبقطع النظر عن صلاة أنيس **بالإيماء** واقفا في عهد رسول الله، فهذا طليحة المتنبئ أمر قومه بالعبادة وقوفا بدلا من الركوع والسجود، وهذا ما أسقطه الرواة على بعض برغواطة لقولهم وبعض صلاتهم **إيماء** (مثل صلاة الصحابي أنيس) ، **وبعضها وقوفا** (كصلاة طليحة) وبعضها **كصلاة المسلمين**، وهذا ما نقله كتاب الشرق فألصقوه بدولة برغواطة بحدافيره وهاهو الشعر العربي يميز بين صلاة المؤمن وصلاة المنافق[288] :

كم من مصل ما له من صلاته سوى رؤية المحراب والخفض والرفع
تراه على سطح الحصيرة قائما وهمته في السوق في الأخذ والدفع

---

[285] الطبري ج2 ص 262.
[286] الطبري ج 2 ص 262.
[287] حسن إبراهيم حسن ج 1 ص 151.
[288] سمير المؤمنين لمحمد الحجار ص 40.

فهل فعلت برغواطة نصف ما فعلته خزيمة ونبيها طليحة؟ وهل اطلع خصوم البورغواطيين على تاريخ مراحل الإسلام؟ وكيف عالج تلك الصعوبات رجالٌ في مستوى المسؤولية ؟ فهذا الجارود قد جمع قبائله بعد ردتها فقالوا "لو كان محمد نبيا لم يمت" قال لهم : "أتعلمون أنه كان لله أنبياء فيما مضى ؟ قالوا نعم، قال: فما فعلوا؟ قالوا ماتوا، قال: فإن محمدا قد مات كما ماتوا، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فأسلموا وتبثوا على إسلامهم".

فما أحوج البورغواطيين في عهدهم بهذا النموذج، وليس بتسليط إخوانهم الأمازيغ عليهم لإفنائهم،قصد الاستلاء على سهول وطنهم تامْسْنا وضمها إلى الفاطميين في الشرق.

دفع عرب الجزيرة إلى الفتوحات : كان ذلك من أهم أسباب تخليهم عن الردة ، فاندفعوا إلى الفتوحات في الشام، حيث الخصب وحضارتي الفرس والرومان، كما وجدوا في ذلك ما يشبع غرائزهم المادية والروحية كالمجاهدين، كما اندمجوا في نظام وتنظيم جديد، دون أن ننسى ما استهلكته المعارك منهم وخاصة شباب الجزيرة.

وبمقارنة بسيطة نجد نفس الشيء وقع للبربر في شمال أفريقيا، عند ماتنازلوا بدورهم عن الاستمرار في مقاومة الجيوش الفاتحين فاندفعوا كذلك أو دفعوا كجيوش وكرأس رمح لفتح الأندلس، ومن ثم قتل من قتل، وتمتع من تمتع، ففتح الأندلس بالنسبة للأمازيغ، كفتح الشام بالنسبة لعرب الجزيرة، إذ لما نجحت خطة الخليفة الثاني في الشام، طبق مثلها موسى بن نصير في فتح الأندلس بقوة أمازيغية.

ومن عبقرية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، دفع كثافة سكان الجزيرة إلى الشام، لأنه رآى نظرية الخليفة الأول أبوبكر الصديق، عالجت فقط جانبا لا يكفي، إذ قال: " والله لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه" ففعل، وجاهد واجتهد، إلا أن ذلك كلف كثيرا، لذلك وجه عمر تلك الكثافة البشرية الصحراوية إلى الجهات الثلاث: نحو الشرق حيث الإمبراطورية الفارسية المنهارة بسبب حروبها مع الإمبراطورية البزنطية المنهوكة بدورها ضد الفرس لمدة مائة سنة، كما اندفع العرب نحن فلسطين، ونحو الغرب، حيث مصر المفتوحة كباب لشمال أفريقيا، فكانت هذه الجهات هي التي امتصت قوة

البدو لإفراغ تلك الطاقة، إما بالاستشهاد في المعارك، أو بالاشتغال بالغنائم، أوبالانتشار كالأقلية بين الأمم والشعوب في الأقاليم المفتوحة.

ونفس الشيء وقع لشباب الأمازيغ في شبه جزيرة أيبيريا، بدلا من استمرارهم في مقاومة العرب الفاتحين لمدة سبعين سنة .لكن العرب استفادوا من خيرات الشام، بينما الأمازيغ عزلوا عن خيرات الأندلس، مما جعلهم لم ينسوا مقاومتهم كلما دعت الضرورة إلى التشبث بهويتهم الأمازيغية. ومعلوم أن ردة العرب وقعت قبيل نهاية حياة الرسول (ص) ثم استمرت كعصيان من هنا وهناك، دون الرجوع إلى الشرك بالله؟ وإلى عبادة الأوثان بعد فتح مكة - كاللاة والعزى ومناة وهبل واحتلال الكعبة، وإنما رفضوا الزكاة مع قبولهم الصلاة، بدعوى أنها أخت الجزية.

أما برغواطة فقد رفضوا الجزية وسلب أبنائهم وبناتهم بعد إسلامهم، فأرسلوا وفدا إلى أمير دمشق لرفع الظلم لكن دون جدوى . كما أرسل العرب أنفسهم وفدهم إلى المدينة يقرون بالصلاة ويرفضون الزكاة ؟ والحق " أن المرفوض هو ظلم الولاة كما قيل في ردة كُرْديسْتان (كُورْدار) من جهة الأكراد سنة 110 هـ "[289].

وهنا نتساءل عن معنى الردة:، قال تعالى : "يا أيها الذين آمنوا من يرتدد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه"[290].

فالإسلام هو النطق بالشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في انتظار تذوقه والتمتع بحلاوته بعد تطبيق أركانه تدريجيا عن طريق التربية والتعليم والقدوة الصالحة، ليرتقي المسلم من الإسلام إلى مرتبة الإيمان إلى درجة الإحسان! لكن في رسالة أبي بكر تحيين الزكاة وإن كانت أركان الإسلام لم تفرض دفعة واحدة.

وفيما يخص رمي الأمازيغ بالردة، فهم عكس العرب، فثورتهم ضد ظلم ولاة بني أمية وما ارتكبوه في شمال أفريقيا مسجل في التاريخ، لا يمكن إنكاره، فرجالهم في مقدمة المعارك يقتلون، وعند الغنائم يحرمون، وبناتهم وغلمانهم يسلبون، وبماشيتهم يهتكون ويعبثون، كل ذلك مسجل حاضر معلوم.

---

[289] الطبري ج4 ص 135.
[290] سورة المائدة ص 54.

ألا يمكن إعادة قراءة شكاية الأمازيغ إلى مركز الخليفة الأموي التي تبرز أنواع الظلم الصارخ، مما أدى إلى فرض الدفاع عن النفس؟ وهل من المعقول أن يطالب الأمازيغ باعتذار من ورثة من فعل ذلك بأجدادهم؟ كما طلب اليوم من دول الاستعمار أن تعتذر على الأقل لورثة من سفكت دماء أجدادهم بلا حساب؟ أنا لا أطالب بذلك، ولكن المنطق يفرض أكثر من ذلك.

فإذا كان قادة العرب على القوة التي فتحت الشام، فإن البربر (الأمازيغ) قد كونوا في شمال أفريقية (تونس) نواة للجيوش الإسلامية التي أتمت فتح بلاد المغربين بقيادة قواد من العرب،صحبة قواد من البربر معهم في البداية كملكهم كَسّوسيلا،(كسيلة) الأوربي الذي أسلم منذ البداية، على رواية، وجال مع الفاتحين في وطن الأمازيغ صحبتهم، إلى أن تغيرت وجهة نظر ولاة بني أمية، من أبي المهاجر إلى عقبة، كما أهانوا كُسوسيلا ولعنوه بدون خطإ يذكر، ثم احتقروه وهو ـ ملك البلاد ـ بسلخ معزاة أمام الجميع، وهو حديث عهد بالإسلام، وهو الذي فتح الباب لأبي المهاجر منذ البداية .فكان رد الفعل من جنس العمل ضد نخوة عربية.

"ومن قادة الأمازيغ في شمال أفريقيا طارق بن زياد اللمطي أو النفزي وهو من سبي البربر"[291]. الذي تعرض للإهانة بدوره، وسيق إلى الشرق حيث جهل قبره حتى الآن! فبماذا تفسر إهانة طارق وقتله وإخفاء مدفنه وتزوير خطبته لتزوير جنسيته؟.

وصالح بن طريف البورغواطي الضابط الذي احتل طريفة منذ البداية، قد أصيب باللعنة مع قومه بورغوطة إلى جانب كُسوسيلا ويوليان الغماري بإجماع التلاميذ في القسم كلما ذكروا في الكتاب المدرسي،.ويوليان الغماري هذا هو حاكم سبتة وتاجرها وهو الذي هيأ الزوارق،"عندما عزم طارق على غزو الأندلس، واستنفر البربر فجعل يوليان يحمل البربر على الزوارق اثنى عشر ألف التي تختلف إلى الأندلس"[292].
ويوليان الغماري هذا هو الذي سماه الشيخ محمد الخضري في تاريخه "**بطريق رومي**" بدلا الغماري الأمازيغي[293]. فما سبب هذا التزوير والتغيير حتى في مستوى تاريخ الخضري!.

---

[291] برفنسال نخب تاريخية ص 12.
[292] الرقيق ص 42.
[293] تاريخ الأمم الإسلامية ج 1 ص 133.

ورغم دور يوليان هذا التاريخي لم يطلق اسمه حتى الآن على زورق واحد، أو على مرفإ من مراسي وطنه في سبتة، أو على سفينة تمخر عباب مضيق جبل طارق، ومدينة يوليان سبتة ما عدا واديا بقي يحمل اسمه كمعجزة في قبيلة أنجرا (أسيف يوليان) وبفضل هذه الشخصيات وفي أقل من نصف قرن، تم فتح بلاد الأندلس بتضحيات تلك الطاقة البشرية ونحن اليوم بحاجة إلى ربط حوض البحر الأبيض المتوسط بالصداقة وبالتنمية وبتبادل الاقتصاد ومد الجسور السلمية المثاقفة، فالعالم قرية مشتركة، وبفضل صداقة المغرب وتفتح نظامه صارت خيوط الكهرباء تمد المغرب من إسبانيا، كما صارت أنابيب الغاز تمد إسبانيا من المغرب، فحل التفاهم والمصلحة محل الكراهية، وربط التبادل الاقتصادي بين الشعبين في اتجاه إيجابي نحو التفاهم والتعاون لمصلحة الجميع، ويجب استمرار ذلك في اتجاه إيجابي أكثر نحو المحيط الأطلسي.

المد العربي وجزره : والحق أن الزحف العربي الشرقي لم يدم طويلا، وذلك لارتكاب أخطاء عجلت بإرجاع هذا التيار إلى حيث منطلقه، ابتداء من طموحات موسى بن نصير الذي عين أولاده على شمال أفريقيا والأندلس؟.وذلك لا يخفى على الحكم المركزي في الشرق، كما تفانى في إرضاء حكام دمشق بالبنين والبنات من شباب الأمازيغ، مما أبغضهم، كما أسند بطولات غيره لنفسه، وأخيرا غضب هذا القائد العربي موسى على البطل الأمازيغي طارق، في قصة طويلة تستحق من الفنانين فِلماً لفترة من التاريخ ـ لا للتشفي ـ ولكن حتى لا يتكرر ذلك عبرة لمن يعتبر.

وهذا جزء من الكل، ومع ذلك يلام الأمازيغ على ثورتهم ضد الظلم، ومن حق كل إنسان أن يثور ضد الظلم، ومن حق الأمازيغ أن يكافؤوا على ما قدموه من خدمات، كما كانوا يؤملون، ومع اعتناقهم الإسلام لم يعاملهم العرب معاملة النظير للنظير، كما يقول القرآن، بل عاملوهم معاملة السيد للمسود، ونعتوهم بأقبح النعوت.ألا فالتحلّ المرحمة محلّ التنابز بالألقاب.

" فإذا كان للبربر عذر الذود عن ذمارهم، فالعرب لم يلجوا القلاقل والثورات إلا من باب الطموح الجامح، وحميّة العصبية التي لم يفلّ حدّها لا الإسلام، ولا التحضر ولا الانتقال من قحل الرمال إلى خصب السهول، فقد حملوا معهم في أثقالهم ذكريات

وقائعهم وأيامهم... وبمجرد فتور خصومهم البربر، أداروا أطراف رماحهم وسيوفهم إلى نحورهم"[294].

وكانت عاقبة أمر أولئك الولاة ما سجله التاريخ .ونعوذ بالله من انتقام الشعوب المظلومة، ومن ذلك رد فعل تلك المعاملة "أن انتحل البربر مذهب الخوارج المضطهدين بدورهم في الشرق من طرف حكامهم، فتفرقوا في البلدان، ومنها شمال أفريقيا الذي كان يلائم نزعاتهم الديمقراطية كما قيل وروج؟ وأخذوا يثيرون الفتن والقلاقل في وجه العرب حتى إننا إذا تتبعنا حوادث سنة 130هـ /747م تبين لنا ضعف نفوذ الخليفة الأموي في هذه البلاد"[295].

ويجب الانتباه إلى الغاية من تكرار دور الخوارج الشرقيين في تحريك البربر، إذ الهدف من ذلك إيحاء بأن الأمازيغ لا يثورون ضد الظلم لولا تسرب أفراد مطرودين من العرب، كأن الأمازيغ ماشية لايحركهم إلا غيرهم!.

"فابن عذاري يروي أن الخوارج الصفرية عندما دخلوا القيروان سنة 140هـ / 758م ربطوا دوابهم في المسجد الجامع ـ بالقيروان ـ، وقتلوا كل من كان من قريش"[296]. لا شك أن هذا العمل تولد نتيجة ما تعرض له الخوارج في الشرق، فانتقموا ممن لا ذنب لهم،.وتلك الجرائم لم تسجل على برغواطة أبدا،.وحتى إذا كان لأولئك أدنى عذر فما بال المسجد الجامع المتخذ مربطا للدواب، ناسين أن المساجد لله؟ ففعلوا ماكان يفعله غزاة الإسبان في المكسيك بمعابد الإنكا وليسطيك، وما فعله المسيحيون بمساجد الأندلس، وما فعل اليوم بمساجد العراق وسوريا، وما فعلوه بأضرحة مالي، فهل فعلت برغواطة مثل هذا الفعل بمساجد تامسنا ليستحقوا المرويات المذكورة؟ ثم كم عدد الخوارج الذين وصلوا هاربين إلى القيروان بتونس ففعلوا كل تلك الأفاعيل؟ !؟.

هنا نقطة الاستفهام: أليس من الأمازيغ مفكرون ومنظرون ومكونون ليقوموا بالثورة ضد ظلم الولاة؟ ولماذا يسند قيام الثورة لخوارج الشرق؟ أليس الظلم كافيا أن يحرك المظلوم؟ بلى. ولذلك ففي إسناد الأمر إلى الخوارج الشرقيين من هذا النوع من

---

[294] محمد الطالبي ص 104.

[295] تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 2 ص 204.

[296] ج 1 ص 70.

الانتقامات ليس إلا من باب جزاء سيئة سيئة مثلها، .صحيح أن معركة الأشراف ضد الأمازيغ هي التي "فنيَ فيها حماة العرب وفرسانها وأبطالها وعددهم سبعون ألفا فقتل الثلث وهزم الثلث، وأسر الثلث فانهارت السلطة الأموية لتظهر السلطة العباسية فجهزت الفرس لغزو الأمازيغ إلى أن انهزموا بدورهم.

أما المحرك الحقيقي في وطن الأمازيغ، فهو ظلم الولاة، وإن كان الهدف من إسناد الفكر الثوري دائما إلى الشرق، هو ألا يستيقظ الأمازيغ وألا يتعلموا " لماذا؟ وكيف ؟ ومتى؟ وأين؟ لأن الآخر يفكر لهم وهم هديٌ من النَّعَم.! فهل أنتم كذلك أيها الأمازيغ؟ كلا وألف كلاّ.بل نحن عقلاء.

وليس أن يخضعوا كماشية تساق إلى المذبحة في المعارك، أو كالدجاج في السلة يذبحون عند الحاجة, وهذه النغمة المخدرة، غرست بدقة في تاريخ شمال أفريقيا تحت شعار".

إن البربر يعيشون دائما تحت الظل "معناه أن الغير هو الذي يحركهم، ويستدلون بأمثلة لا محل لها من الإعراب ولا من اللحن .ورحم الله ابن خلدون إذ قال ـ بعد سرد أقوالهم المزيفة **"وتأباه نسّابة البربر"** وذلك كله لغرس فكرة التبعية لكل من ثار على حساب الهوية الأمازيغية .

من هم الخوارج في شمال أفريقيا؟: إنهم الذين قادوا الثورة في وطن تامازغا، وكثيرا ما يفهم من هذا العنوان أنهم كلهم غرباء، أليسوا من شباب الأمازيغ أنفسهم أولئك الذين سلبهم بنو أمية من وطنهم شمال أفريقيا؟ ومنهم بعض الشرقيين المضطهدين اللاجئين، ومن المعروف أن الدعاة الأول للخوارج المشهورين في شمال أفريقيا ثلاثة :عكرمة الأمازيغي مولى ابن عباس، وسلمة بن سعد، وابن مغيطر، وكلهم أمازيغ، أليس معظم زوجات أمراء بني أمية من بنات شمال أفريقيا الأمازيغيات المسبيات ؟ مثل أم عبد الرحمان الداخل " وأكد مورسيي أن عبد الرحمان بن معاوية الأموي نزل عند قبيلة نفزة الضاربة بتلك النواحي"[297]. وقضى هناك زمنا عند أخواله لأن أمه من سبايا نفزة [298]". وذُكر بأنه من حفدة بني يزناسن، ولأمر ما

---

[297] Histoire de l'établissment des arabes 67.

[298] ابن عذاري ج 2 ص 62.

كون دولة في الأندلس بسهولة تثير الإعجاب؟ فلماذا إذن ينكر دور المغاربة ذكورا وإناثا في التاريخ؟..

إن مؤرخي الشرق قد أنكروا ذكر شخصيات مغاربية و تاريخهم، فشغلوا البلاد بفتنهم في الشرق وفي الأندلس، والعجيب أن ذلك تكرر مرات بدعوى الانتماء المكرس، إلى أن نص دستور المغرب لسنة 2011م على هوية المغرب التي ميزته عن غيره جغرافيا وإنسيا فنص على ما كان يناضل المغاربة من أجل تحقيقه عبر قرون.بفضل ملك شاب عرف تاريخ المغرب ونفذه، ولذلك نجا المغرب وحده من الفكر المخرّب بشعار **"الربيع العربي الذي سماه غيرهم لهم"** وهم يخربون بيوتهم بأيديهم وبسلاح أعدائهم، وبالتالي امتصاص اقتصادهم واستهلاك شبابهم، وهم لا يشعرون، ونحن نتألم للجميع، ونتحسر على مصيرهم،فكم يلزم الشرق العربي لبناء حضارات الأمم الغابرة المارة هناك؟ من السوماريين إلى البابليين إلى الكلدانيين إلى حضارة الإسلام؟.

كان الشرق مبتلى بنزعات تلو نزعات، فكلما خرب أهلها بلادهم صدّروا ذلك إلى شمال أفريقيا، وذلك ديدنهم عدة مرات، ولولا اتفاق الأمة المغربية على الدستور المذكور، لأعاد التاريخ مصائبه، ورغم أن هذا الدستور ينص على أن المغرب ينتمي إلى **المغرب الكبير** فإن البعض ما زال يصرح في القنوات المغربية بمصطلح القذافي بمراكش " **المغرب العربي**" أليس ذلك تغييرا لنص الدستور المغربي؟ لنترك الجواب لأصحاب القانون.أما إنسية المغرب فقد جسدها إمتداد أطاليسه من المحيط إلى برقة. دون قطع الصلة بمكة والمدينة والقدس والأنظمة المعتدلة في الشرق.

ومع الأسف، فها هو مهبط الوحي في الشرق اليوم صار مولد الفتن والشقاق والتطاحن، وكل حزب بما لديهم فرحون، هذا خارجي ثار على أتباعه، وهذا يعد شعبه وفصيلته من أعدائه، وذاك شيعي يؤول الكتاب لمحاربة خصومه، وآخر سني يفسره ليوافق أهدافه ويفجر معالمه، وثالث مدبدب بينهما يرجئ الأمر في انتظار نضج أفكاره. وكتاب الله في المجامع يدعو أين حقي. ورحم الله من قال:" يا أمة ضحكت من جهلها الأمم"؟.

لماذا انهارت دولة برغواطة المقاومة لمدة أكثر من أربعة قرون؟ لنفسح المجال لقاض من قضاة التاريخ :إنه ابن خلدون الذي قسم عمر الدول أطوارا فمرت بها دولة برغواطة هكذا :

1- طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من الحالة السابقة.

2- استبداد صاحب الدولة الظافرة على قومه وأهل عصبيته والاستئثار بالملك دونهم، وبخيرات البلاد دونهم، إلى أن يتمنوا زواله لكثرة المترفين حوله. كما تقول الآية الكريمة " وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا"[299] (سورة الإسراء ص 16).حسب قراءة **أمّرنا كثّرنا منعميها** ورأسائها فخرجوا عن العدل كما يقع للدول في نهايتها.

3- طور الفراغ والدعة لتمام الشيء فيبدأ نقصه ويقترب زواله ولات حين مناص.

4- المسالمة والاقتناع بما حصل.وهي بداية التراجع.

5 - الإسراف والتبذير وهو آخر الأطوار وينتهي بالانقراض.

إن جل هذه المواصفات غير بعيدة عن دولة برغواطة، منها فرض الضرائب على الإمارات الخاضعة لها، ثم انكماش سلطة عاصمتها **مدينة أنفا** إلى حد انحصارها في سهول تامسنا في آخر عمرها، وذلك ما يفسر شبه انفصال إمارة أغمات وتادلا.وسجلماسة وطرق القوافل نحو الصحراء، كما فرضت عليها حروب دفاعية مادية إلى أن استعمل الدين بعد اتهامها بالزندقة، فتولى رباط سلا محاربتها بعشرة آلاف إلى عشرين ألف محارب إلى أن أوشكت على الانهيار.

أسباب انتشار الزندقة: "أصلها في الشرق، كانت وسطا بين النصرانية والزرادشتية (أحد أنبياء الفرس مثل زرادشت، وماني، ومزدك) وشعائرها قريبة الشبه بشعائر الإسلام كعدد من الصلوات في اليوم والليلة (أربع أو سبع) ولهم طهارة قبل الصلاة كالوضوء عند المسلمين"[300].

وبمصطلح الزندقة أيضا حوربت برغواطة، وقد أثارت مسألة الوضوء خلافا، وخاصة في مناطق الجفاف، إذ هناك من ينكر هذه الميزة، فخفف الإسلام بالتيمم

---

[299] سورة الإسراء ص 16.

[300] (تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 2 ص 116.

بشروط مقبولة، وقد أدرك العالم المتحضر أهمية النظافة التي نص عليها الإسلام، وأكد عليها الرسول ورغب فيها وقال: "ألنظافة من الإيمان".

وأما إنكار ذلك والرجوع إلى ما نهى عنه الدين، فذلك صفة بهيمية، وما نسمع الآن من الفحشاء والمنكر في أروبا، فليس بجديد، فقد ظهر في الشرق قبلهم.والقرآن يقول: " قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد"[301]. أي لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء ولا إرادة، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك، وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنى بعضهم ببعض، وكذلك نساؤهم كنّ قد استغنين بعضهن ببعض أيضا. فقال تعالى "وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم، إنهم أناس يتطهون"[302]. قال قتادة **"عابوهم بغير عيب"**.

وهذه العبارة الأخيرة هي مما آخـذ به أولئك الخصوم دولة البورغواطيين بما في ذلك عاداتهم ومبالغتهم في النظافة عند الوضوء، فقالوا إنهم يغسلون السرة، كأن فرائض الوضوء وسننه ومستحباته ومكروهاته في ذلك العهد، كانت مقررة في الكتاب المدرسي تقرأ وتحفظ مثل اليوم ؟ ولم يسجل عنهم فسق ولا فعل قوم لواط، ولكن الكتاب الشرقيين يسقطون ما لهم على غيرهم.

مع العلم حتى الآن لو سئل كثير اليوم عن عدد الأحاديث التي تناولت الوضوء وحده والخلافات الواردة بين الرواة لعجز عن إحصائها، فكيف بحفظها ومعرفتها وتطبيقها، وما السبب في ذلك الخلاف؟ نعم، فالقرآن وضح الفرائض لمجتمعه بكل سهولة، لأنه مبني على التخفيف من أجل الترغيب والتحبيب، ثم متى وصلت آيات الوضوء إلى برغواطة.؟ "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين[303]"؟. فما فائدة التشدد اليوم في كل ما ورد من الروايات حول نصب اللام وخفضها في"أرجلِكم" ألم يكف ما اتفقت عليه الأمة ؟ وخاصة مذهب مالك عند المغاربة.وهو حصن حصين لهم؟.

مع العلم أن الحياة في المجتمع البدوي مبنية دائما على التخفيف، والمجتمع البورغواطي فلاح بالدرجة الأولى، والفلاح خاضع لمهنته، يتعب ويعرق ويحمل

[301] سورة هود الآية 79.
[302] سورة الأعراف الآية 82.
[303] سورة المائدة الآية 6.

وينقل ويغرس ويسقي ويشذب ويقطف ويحمل الإنتاج على كتفيه، شأنه شأن الفلاح اليوم في الضيعات المختلفة، ولا بد من مراعاة ظروف المكان وشروط المهنة، أما المتشددون فمهمتهم التكفيروكفى.

فهل يمكن اليوم لطبيب جراح أثناء العملية أن يترك المقص ويهرول للصلاة في وقتها ودماء المجروح تنزف؟ وقس ذلك على سائق القطار والمعلم في القسم، ومراقب الحدود، وهكذا في كل موقف تترتب عنه مسؤولية عامة.

وبما أن المياه متوفرة في دولة برغواطة، فما المانع إذن من غسل البدن كله وليس الرأس والسرة فقط،؟ بل الاستحمام أفضل إن لم يكن ضرويا حسب المهنة، وبعد ذلك يبدأ الشخص في الوضوء الصغير، نعم قد يتهمهم فقيه اليوم بارتكاب المكروهات كالزيادة في غسل الأعضاء والإسراف في الماء قبل أن يقول الشيخ خليل بعد قرون **"تقليل ماء بغير حد"**. وأخيرا فهل ارتكاب مكروهات الوضوء تكفر؟ كما كفروا بها دولة برغواطة؟ أم أن التكفير كلمة لغو مألوفة؟

ثم هل المؤرخون الشرقيون الذين عابوا على برغواطة تلك الزيادة في الوضوء قد وفروا للعرب في جزيرتهم ما يشربون وبما يتوضؤون ؟ وهل قاموا بإرشاد الناس؟ أو إنما بحثوا عما يكفرون به برغواطة؟ "والخوارج أنفسهم من الكفر فروا"أو أنهم لما لم يجدوا ما ينتقدون به برغواطة أعلنوا فتواهم، فنفذ الآخرون محاربتهم المقررة مسبقا، وهم يبحثون فقط عن الذريعة فعابوهم بغير عيب "إنهم أناس يتطهرون".

ولا أظن أن القدر الذي سفك من الدماء شرقا وغربا من أجل الإسلام، ولكن من أجل أوامر السلطة المركزية في عهد من سجل عليهم التاريخ ما سموه بالبطولات، وشحنوا بها غيرهم، وذلك كلما أحسوا بخطر يهددهم محليا، قاموا بتصدير فتوى تنفذ في الحين، أما الحيثيات فهناك دائما من يُصدرُها من الفقهاء بأسلوب بلاغي يُـري الظلماءَ كالنور، ونموذجهم مازال مستمرا من هنا وهناك وهنالك، وهذا الخليفة هشام بن عبد الملك لما بلغه ما فعل الأمازيغ بولاتهم يقول :**"سأغضب غضبة عربية"** ولكن هيهات، فقد كانت آخر قوة له في هذا الغرب.

ولنستمع إلى وصية السلطان المهدي العباسي لابنه:موسى قائلا:: "تجرد لهذه العصابة (الزنادقة) فإنها فرقة تدعو الناس إلى ظاهر حسن، كاجتناب الفواحش والزهد في

الدنيا، والعمل للآخرة، ثم تخرجها إلى تحريم اللحم ومس الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرجا وتجوبا، ثم تخرجها من هذه إلى عبادة اثنين: أحدهما النور، والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق لتتفذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فارفع فيها الخشب، وجرد فيها السيف، وتقرب بأمرها إلى الله لا شريك له، فإني رأيت جدك العباس في المنام قلدني سيفين وأمرني بقتل أصحاب الاثنين"[304] (تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 2 ص 117) هذه صفات الزنادقة في الشرق فهل توجد صفة واحدة من هذه في مجتمع برغواطة ؟ وهذه فتوى السلطة المركزية من وحي المنام.! ولا يبعد ـ كعادة مؤرخي الشرق ـ أن أسقطوا أوامر المهدي العباسي المنامية على خصومه في الشرق ، أن يسقطوها على برغواطة في الغرب، وإلا فلا مجال لذلك.

هذه رسالة رسمية، وما دام فرض تطبيقها من المنام، فلا مجال للفكر فيها، ولا حتى للتفكير في مناقشتها ولا تصديق الاغتسال بالبول، إلا أن عاقبتها كانت أخطر، من ذلك، إنها لم تعالج الأوضاع، ولا أرجعت الدهماء إلى العلاج المستطاع،.وها نحن نرى أن مصطلح الزندقة أطلق على الخصوم في الشرق فصدر الحكم بتجريد السيف فيهم، ثم سلط ذلك على برغواطة في أقصى الغرب قياسا على الشرق، وما لوحظ في الوضوء لوحظ في الصلاة، فمتى تنتهي هذه الأمة من تكرار ما قتل بحثا وتكرارا وتقريرا والقرآن قد وضح كل شيء وهو ملك للعالم وليس حكرا على أحد.

ونحن لا نستبعد بقايا المسيحية في برغواطة، فقد جاء في التلمود المشنة 13:"والصلوات ثلاث وهي: صلاة الصبح وصلاة الأصيل وصلاة الغروب"[305]. وهي نفس صلوات المتنبئ طليحة عند العرب. وكلمة التلمود هي التعليم .وهذه الإشارات دليل على أن القرآن عمل بالباقيات الصالحات من الديانات السابقة، مما جعل قبوله لدى كثير من الشعوب المفتوحة، ثم قربه المبشرون إلى ما عندهم، فانتشر التبشير بالمسيحية في الوقت الذي تراجع فيه التبليغ لدى الفاتحين.وجاء في

[304] تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 2 ص 117.
[305] التلمود شمعون يوسف مويال ص 130.

الإنجيل البرّ الحقيقي :"والصوم والصدقة، وعندما تصلون لا تكونوا مثل المرائين الذين يحبون أن يصلوا واقفين في المجامع وفي زوايا الشوارع ليراهم الناس"[306].

وفي القرآن الكريم ورد فيه لفظ الصلاة " حوالي 36 مرة، وهي عماد الدين، لذلك قال صلى الله عليه وسلم " صلوا كما رأيتموني أصلي"وللفظ الصلاة معان كثيرة منها أنها " من الله رحمة، ومن الملائكة استغفار، ومن الآدميين دعاء" فأيها لا حظ الكتاب الجغرافيون الشرقيون على برغواطة في ذلك العهد؟ لنستمع إلى ما أوردوه وسجلوه واستنكروه على برغواطة:

1- إن برغواطة كانوا يصلون "وعدد صلواتهم خمس في النهار وخمس في الليل"لكن الكاتب لم يفرق بين أنواع الصلوات الخمس المفروضة والأخرى السنية والمستحبة والأشفاع والوتر والترويحات والشكر لله والسجود له وعددها والضحى وتحية المسجد والتهجد وسجدات القرآن، "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" أنا لا أقول بأن برغواطة وصلوا إلى هذا المستوى من التعبد. كلاّ.لكن على الأقل وصفهم الواصفون بما وصلهم مما جاءت به الطقوس الدينية.

2- لماذا أهمل الكاتب تأثير اليهودية الدينية ولماذا لم يشر إلى عدد الصلوات الثلاث في التلمود وهي "الصبح وألأصيل والغروب" وهي قريبة من خمس صلوات مع العلم أن الكاتب أورد عن برغواطة " أن طريف أبا ملوكهم من ولد شمعون بن يعقوب بن إسحاق " ولا شك أن هؤلاء الأمازيغ آمنوا بنبوة موسى الكليم وبرسالته. قال تعالى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيئون" أهمل الكاتب تأثر برغواطة بذلك لمحاربتهم وعزلهم لكي تستمر العداوة بين العرب واليهود، وذلك موثق في القرآن الكريم، لا تمحوه الشهور ولا السنون قال تعالى:"وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها" راجع ابن عباس[307].

3- أورد الكاتب فكرة المهدوية عند برغواطة، وذكر أن نبيء الله عيسى سيصلي وراء إمام برغواطة، لكنه لم يلاحظ تأثرهم بالمسيحية التي لا تجحد، وخاصة ما لا يقدح في العقيدة الصحيحة.

[306] إنجيل متى ص 9.
[307] سورة الأحزاب الأية 27.

4- أورد الكاتب بعض الاختلافات في الصيام عند برغواطة، وخاصة ما يتعلق بأسماء الشهور، إذ للأمازيغ شهورهم الخاصة،(منها أتقاس، ويسّي إتقّاسن) فما ذا يقابل رجب عند برغواطة ؟ الذي يصومونه؟ وعن الديانات الإسلامية ومنها قوله تعالى :" إن عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم "ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، ولا يبعد أنهم استمروا على ما بلّغ لهم " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم" فصاموا رجب إلى أن وصلتهم الآية " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن "والقرآن كان ينزل منجما حسب الوقائع والأحداث لمدة طويلة، والعمل به لا بد من التبليغ، فمتى توصلت برغواطة بالمصحف كاملا؟ كل ما نعرف أن الخليفة الثالث هو الذي جمع القرآن الكريم فيما بين دفتي المصحف، فنسخت له أربع نسخ للامبراطورية الإسلامية كلها؟!.ويجب ألا ننسى أن تقدم الشهر الهجري عن غيره كل سنة ب 11يوما.

5- وحتى إذا فرضنا أن دولة برغواطة - وهي في أقصى الأرض كما أطلقه الشرقيون - فمن يستطيع أن يقرأ الآيات الكريمة، وهي غير منقوطة ولا مشكولة، وعلى ماذا كتبت، هل على رقٍّ منشور؟ أو على سعوف نخل؟ إن الذي غطاه السكوت هو اللغة الأمازيغية والكتابة التي كتب بها قرآن برغواطة؟.

فقد أشير إلى إلحاقهم بشمعون وباليهود عامة، فهل كانت برغواطة تكتب بالعبرية؟ ما دام متنبؤهم كذلك؟ وحتى الآن لم نعثر لبرغواطة على خط خاص بهم، ما عدا الخط الزناتي والأرقام الزناتية المهندسة (المعروفة اليوم بالشيفر arabes فهي مغربية الأصل) وغاية فتاوي الخصوم هي إخراجهم من موطنهم بدون بحث عن تأويلات أخرى، وهكذا فتح باب الجهاد فيهم من كل جهة.، فتامسنا في المغرب تشبه بين الرافدين في العراق، فمن هو مؤسس هذه الدعوة المبنية على سفك الدماء بلا حساب؟.إن أطماع الغزاة دائما هي الاستيلاء على بحبوحة سهول تامسنا. وللمقارنة بين هذه السهول في المغرب مع سهول بين الرافدين بالعراق مرتكز القرامطة أوردنا ما يأتي:

رأي ابن خلدون في القرامطة: لنترك هذا المؤرخ يقربنا إلى أن ما روجه الشرقيون على القرامطة في العراق و هو ما نسمعه يردد على برغواطة:في المغرب قال: "هذه الدعوة لم يظهرها أحد من أهل نسب العلوية ولا الطالبيين، وإنما قام بها دعاة المهدي من أهل البيت على اختلاف منهم في تعيين هذا المهدي ...وانتسب بعض مزاعمهم إلى دعاة الإسماعيلية الذين كانوا بالقيروان، ودعوى هؤلاء القرامطة منافية للشرائع والإسلام في الكثير من مزاعمهم في سواد الكوفة سنة 278هـ / 891 م وأن الصلوات المفروضة خمسون كل يوم، ولقب كرمط بالكاف (لاحظ تقارب وجود التحريف في بربط الأمازيغية) واستجاب له جمع كثير، وجعل عليهم نقباء، وسمّاهم الحواريين، ثم زعم أنه الذي بشر به أحمد بن محمد بن الحنفية، وأن أحمد نبيٌّ وقرئ بينهم كتاب زعموا أنه جاءهم من داعية المهدي نصه بعد البسملة

"يقول الفرج بن عثمان الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه المنجد لأوليائه بأوليائه، قال: إن الأهلة مواقيت للناس ظاهرها لنعلم عدد السنين والحساب، والشهور والأيام، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي، واستخبر خلقي، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختياري ألقيته في جنتي، وأدخلته في نعمتي، ومن زال عن أمري وكذّب رسلي أدخلته مهانا في عذابي، وأتممت أجلي، وأظهرت على ألسنة رسلي، فأنا الذي لا يتكبر علي جبّار إلا وضعته، وعزيز إلا أذللته، فليس الذي أصر على أمره ودام على جهالته وقال لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين، أولئك هم الكافرون، ثم يركع ويقول في ركوعه مرتين: سبحان ربي ورب العزة تعالى عما يصف الظالمون، وفي سجوده الله أعلى مرتين، الله أعظم مرة واحدة، والصوم مشروع يوم المهرجان والنيروز والنبيذ حرام، والخمر حلال، والغسل من الجنابة كالوضوء، ولا يؤكل ذو ناب ولا ذو مخلب، ومن خالف وحارب وجب قتله، ومن لم يحارب أخذت منه الجزية" ومن هؤلاء من تنبأ ولقبه" "المدثر" المذكور في القرآن، واجتمع القرامطة على زكرويه وأخرجوه من الجب الذي كان مختفيا فيه منذ عشرين سنة"[308].

فليقارن هذا النص القرمطي مع ما ورد في النص البرغواطي، وكل ما جرى في المشرق نقلوه إلى المغرب، فالقرامطة فعلوا أفاعيل "قتلوا العباد، وخربوا البلاد،

[308] ابن خلدون ج 4 ص 85.

ونهبوا الأموال، وقتلوا الحجاج، وقلعوا باب البيت والمئزاب، واقتلعوا الحجر الأسود ورحلوه إلى البحرين لمدة خمس وعشرين سنة، فتوقف أداء الركن الخامس في مكانه إلى أن تدخل المغاربةالفاطميون لرده، فرجع". فهل فعلت برغواطة الأمازيغية عُشر مِعشار ما ذكر عن القرامطة ليصفوا بالمارقين الزنادقة الكفار؟ (نفس المرجع)

رأي ابن خلدون في الأمازيغ: (البربر) "جيل عزيز على الأيام، وأنهم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم، كثير جمعهم، مظاهرون للأمم العالم وأجياله من العرب والفرس ويونان والروم، لكنهم لما أصابهم الغناء، وتلاشت عصابتهم بما حصل لهم من ترف الملك والدول التي تكررت فيهم، قلت جموعهم، وفنيت عصابتهم وعشائرهم، وأصبحوا خولا للدول وعبيدا للجباية، **واستنكف كثير من الناس عن النسب** فيهم لأجل ذلك" (نفس المرجع)

ثم قال:"وإلا فقد كانت أوربة عاصمة أميرهم كسيلة عند الفتح كما سمعت. وزناتة أيضا حتى أسر أميرهم وزمار بن مولات، وحمل إلى المدينة إلى عثمان بن عفان، ومن بعد ذلك هوارة وصنهاجة، وبعدها كتامة، وما أقاموا من الدول التي ملكوا بها المغرب والمشرق، وزاحموا بني العباسيين في ديارهم وغير ذلك منهم كثير" (نفس المرجع)

"وأما تخلقهم بالفضائل الإنسانية، وتنافسهم في الخلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم، ومراعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار، وحماية النزيل، ورعي الأذمة والرسائل والوفاء بالقول والعهد والصبر على المكارم، والثبات في الشدائد وحسن الملكة والإغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام، ورحمة المسكين، وبر الكبير، وتقدير أهل العلم، وحمل الكَلّ وكسب المعدوم، وقِرَى الضيف والإعانة على النوائب، وعلو الهمة وإباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب، غلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه، فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف، **لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون إسوة لمتبعيه من الأمم**، وحسبك ما اكتسبوه من حميها، واتصفوا به من شريفها أن قادتهم إلى مراقي العز وأرقت بهم على ثنايا الملك، حتى علت على الأيدي أيديهم، ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم، وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الأولى.

فبُلُكّين بن زيري (القمر) الصنهاجي عامل إفريقية للعبيديين، ومحمد بن خزر والخير ابنه وعروة بن يوسف الكتامي القائم بدعوة عبد الله الشيعي، ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة بالمغرب، وعبد المؤمن بن على شيخ الموحدين وصاحب الإمام المهدي، وكان عظماؤهم من الطبقة الثانية السابقون إلى الراية بين دولهم، والمعاهدون لملكهم بالمغرب الأقصى والأوسط كبيرهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بنو مرين، وياغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد، ومحمد بن عبد القوى، ووزمار كبير بني توجين، وثابت بن منديل أمير مغراوة أهل شلف، ووزمار بن إبراهيم زعيم بني راشد المتعارضين في أزمانهم المتناغين في تأثيل عزهم والتمهيد لقومهم على شاكلته بقوة جمعه، فكانوا من أرسخهم في تلك الخلال قدما، وأطولهم فيها يدا، وأكثرهم لها جمعا، طارت بهم في ذلك قبل الملك وبعده أخبار، **عني بنقلها الأثبات من البربر وغيرهم.** وبلغت في الصحة والشهرة منتهى التواتر(نفس المرجع)

"وأما إقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم بأحكام الملة ونصرهم لدين الله، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين كتاب الله لصبيانهم والاستفتاء في فروض أعيانهم واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم، وتدارس القران بين أحيائهم، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم إلى أهل الخير والدين من أهل مصرهم للبركة في آثارهم، وسؤال الأعداد عن صالحهم وإغشائهم البحر أفضل المرابطة والجهاد، وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ إيمانهم وصحة معتقداتهم ومتين ديانتهم التي كانت ملاكا لعزهم ومقادا إلى سلطانهم وملكهم". (نفس المرجع)

"وكان المبرز منهم في هذا المنتحل يوسف بن تاشفين، وعبد المؤمن بن علي وبنوهم، ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم وبنوه ..وكثير من هذه الأخبار لو انصرفت إليها عناية الناقلين لملأت الدواوين، ولم يزل هذا دأبهم وحالهم إلى أن مهدوا من الدول وأثلوا من الملك ما نحن في سبيل ذكره"[309]. هؤلاء جدودكم يا من استنكف من الانتماء إليهم على حد قول هذا المؤرخ العظيم، أليس هذا النص تاجا على رؤوس المغاربة أجمعين ؟

[309] ابن خلدون ج 6 ص 106.

هذا المستوى الذي سجله التاريخ للأئمة الأمازيغية هو الذي أصر حساد المغرب على إخفائه بترهاتهم، فعندما طبعت مقدمة ابن خلدون أول مرة في الشرق أقسم طابعها قائلا: **"والله لو لم أخف أن تكون هناك نسخة أخرى لابن خلدون لحذفت مدح البربر هذا من الكتاب"**.

وعلى هذ المنوال يريد المستلبون أن يطفئوا نور تاريخ الأمازيغ بإخفاء الحقيقة ولو بجرة قلم، أو بإسقاط مثالبهم على غيرهم، ولعنة التاريخ تصب على من أنكر الحقيقة، فما رأي القارئ الكريم في هذا الجزء مما سجله ابن خلدون في المصدر المذكور، ولماذا لم يروج هذا الاعتراف يا من يشك في عظمة الأمة المغربية قديما وحديثا؟ وقد أورد مؤرخ سوس سيدي محمد المختار السوسي "أن إحدى شجرة الأنساب لعائلة ذكرها طالت حتى اقتربت من آدم عليه السلام" ولا أدري لماذا يتسلق البعض الانتماءات وهو يعرف الحقيقة ؟ والرسول (ص) يقول "من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.

ولبرغواطة حظ كبير من هذا الوصف الكريم، اعترف لهم بذلك كثير من المنصفين، فكيف لا والأصل تتبعه الفروع، فمصمودة وزناكة وزناتة الأمازيغ من أرومة برغواطة، لكن حسادهم أهملوا تاريخهم المجيد، وكرسوا مثالب مستوردة من باب الإسقاط، لكن ما زعموه "تأباه نسّابة البربر" كما قال ابن خلدون نفسه.

علاقة المرابطين ببرغواطة: من الصعب قبول ما أورده البعض في علاقة المرابطين ببرغواطة، والدليل على ذلك اختلاط الروايات حول الاستضام بين الطرفين، وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه، ومما يؤيد هذا الشك، روايتي المسيحيين: ليون أفريكان الحسن الوزان الفاسي الإيطالي، ومارمول كاربخال البرتغالي، وقد يكون الداعي إلى ذلك ما حققه يوسف بن تاشفين في الأندلس، كما أن مليون قتلى من برغواطة، وتخريب مائات من المدن في تامسنا، وكونه أميرا في ذلك الوقت وليس أبوبكر، أضف إلى ذلك اختلاف الروايات حول عبد الله بن ياسين، مع إهمال علاقته بواكّاك ..كل ذلك فيه نظر؟ وهناك رواية قامو بدفع ما عليهم كما فعلت مع عبد المؤمن.

1- نعم كان ملك برغواطة هو حاميم بن منّ الله أقنع الشعب بتامسنا بألا يؤدي إلى ملوك فاس خراجا ولا طاعة لجورهم، ولكونه أيضا نبيئاً ..فأصبحت في يده السلطتان الروحية والزمنية في هذا الإقليم، وتفاوض الطرفان على أن يتركوا له التصرف في تامسنا، ويحتفظوا هم بمُلك فاس.

وبعد تأسيس مدينة مراكش، عمل يوسف بن تاشفين فورا على أن يستولي على بلاد تامسنا، فبعث إليها عددا من الفقهاء السنيين المتشددين البعيدين عن سلوك المرونة والسفارات بين الدول. داعيا السكان للتخلي عن مذهب (قمين "والصواب مذهب حاميم"..**فتجمعوا في مدينة أنفا وقتلوا الوافدين عليهم**، ولم تمض ثلاثة أيام حتى قطع يوسف بجيشه نهر أم الربيع، ووصل إلى تامسنا، فعدل البرغواطيون عن القتال معه لقوته، وحاولوا عبر نهر أبي رقراق في اتجاه مدينة فاس، تاركين إقليمهم، فأباح الملك يوسف حينئذ هذا الإقليم وسكانه لجيشه، فأصبح طعمة للنار والدم والنهب وتقتيل للكبار والصغار حتى الأطفال الرضع، وقد خرب هذه البلاد طوال الشهور الثمانية التي قضاها فيها، حتى لم يبق ظاهرا من المدن، - لا يخلو هذا من المبالغة، لأن برغواطة ما زالت مستمرة بقوتها في تامسنا بعد ذلك، كما وقع مع قوة عبد المؤمن، ولعل المؤرخين المسيحيين: مثل الحسن الوزان ومارمول كاربخال يسقطان مجازر الأندلس على برغواطة - تشفيا بعمل يوسف بن تاشفين؟.

وفيما يخص قتل رسل المرابطين في أنفا، بما فيهم عبد الله بن ياسين، فهذه التهمة غير صحيحة، وكل ما في الأمر هو قلب الحقائق، فأسقطوا قتل رسل الشيعة بسجلماسة من طرف أميرها اليسع بن مدرار - وهو مع برغواطة - على محل أنفا من طرف برغواطة، ليحل قتالهم كما ورد عند غير واحد مثل ابن خلدون "ولما ملك أبو عبد الله الشيعي إفريقية (تونس) سار إلى المغرب، فخافته زناتة، فدخلوا في طاعته، فأرسل إلى اليسع أمير سجلماسة الذي سجن المهدي الشيعي عنده يتلطفه خوفا عليه بعد قتل رسله، إلى أن تمكن في احتلال سجلماسة وأنقذ مهديه[310]. (ابن خلدون بتصرف ج 3 ص 264) ويظهر أن رسل الفاطميين المقتولين في سجلماسة أسقطوا على انفا، وخراب سجلماسة من طرف العبيدي الشيعي أسقط على يوسف ، وخراب سجلماسة وهجرة أهلها أسقط على تامسنا. وما آفة الأخبار إلا رواتها.

[310] ابن خلدون بتصرف ج 3 ص 264.

والواقع هو أن خلافا وقع بين المؤرخين حول مصير المهدي لاشتباهه **بآخر يدعى بسطام** فأطلقه اليسع، ومنهم من ذهب إلى أنه قتله قبل هربه إلى صنهاجة بالصحراء،لكن قبض عليه بنو خالد فسلموه للشيعي أبو عبد الله الكتامي فقتله ومن معه، كما ذكر أنه لما وجد مهديه مقتولا تبنى شخصا آخر، وهو خادمه " فأخرج الرجل إلى العساكر وقال: هذا هو المهدي..ثم قتل أعيان المدينة "ثم أمر المهدي بإحراق سجلماسة فأضرمت فيها النيران"[311]. وأما إسناد المعركة الأولى فكانت بقيادة أبو بكر إذ لم يتول يوسف الحكم بعد.

وهكذا أسقط الفاطميون الشيعة إمارة بني مدرار بسجلماسة عام 297هـ على برغواطة، ففتح الباب نحو دولة برغواطة في تامسنا، فاستمر "مصير المهدي من مشكلات التاريخ الإسلامي"[312].

أما ملك فاس فبدلا من حماية المستجيرين به، فقد التقى بهم على وادي أبي رقراق بأمتعتهم وعائلاتهم مجهدين يكادون يموتون من الجوع، فأثخنوا فيهم ولم يفلت من يدهم إلا من غرق أو من قفز إلى أسفل الصخور تلك هي الصورة التي هلك بها ذلك الشعب الأبي الذي لم يجد من يرشده، والذي يبلغ تعداده مليون نسمة من كل جنس وكل سن[313].

2- نلاحظ أن صراعا كان بين ملوك فاس وبين ملوك برغواطة في تامسنا إلى أن وقعت المعاهدة بين الطرفين، وكانت غاية فاس هي الاستيلاء على سهل تامسنا فلم يتم لهم ذلك، كما أن قتل مليون من البشر في وادي أبي رقراق فهل كان سكان تامسنا بهذا العدد؟..

3- يظهر أن المرابطين اغتنموا ضعف برغواطة بسبب مقاومتهم لملوك فاس دفاعا عن تامسنا، فانتهزوا فرصة فيهم فاستولوا على جزء من تامسنا، لكن في عهد أبي بكر وليس في عهد يوسف،لأنه لم يتول بعد، كما انتهز ملوك فاس اعتراضهم فقضوا على من التجأ إليهم وهم في حالة من الضعف، فأجهزوا عليهم رغم المعاهدة السابقة بينهم.

[311] ابن عذاري ج1 ص 210.
[312] محمود إسماعيل الخوارج ص 216.
[313] الحسن الوزان ج1 ص154 + مارمول.

ووقعة وادي أبي رقراق مشكوك فيها فاختلط الأمر بوقعة وادي بهت التي ذكرت في قصيدة تتشفى فيهم. كما مرت.

4- فقد أورد مارمول كاربخال نفس المآسي التي حلت ببرغواطة حيث أهلك يوسف السكان العاجزين عن الرحيل، بينما تعرض ملوك فاس لمن استغاث بهم فأفنوهم، لكن يوسف قضى على أهل فاس بدورهم بعد ذلك[314].

5- أما عبد الهادي التازي فقد لخص ما ذكر وتأسف على ما وقع. فصارت تامسنا خرابا من أجل الاستيلاء على سهول تامسنا[315].

والحق أن ما ورد هنا لا يخلو من إشكالات، ومن الشكوك في المعلومات،منها أن برغواطة لم يُقض عليهم نهائيا كما زعم وتكرر، وإلا فبماذا نفسر استمرار وجودهم بتامسنا حتى في عهد الموحدين، حيث ألحقوا هزيمة بقوة عبد المؤمن الموحدي وسلبوا أموالهم وأسلحتهم في أول الأمر إلى أن أسترجعوها منهم فيما بعد، وتكرار "القضاء على برغواطة" الغاية منه تلقين الناس بأن البربر أجهزوا على إخوانهم البربر الكفرة! مع العلم أن برغواطة كانوا يصومون ويصلون ويكرمون الضيف كما نص على ذلك المؤرخون وليسوا كفارا يجب قتلهم جميعا حتى النساء والشيوخ والصبيان والرعاة والفلاحين، ثم لماذا لم يخيروا بالجزية لأن الهدف تامسنا ؟

6- وكما وظف البعض دور المرابطين في القضاء على برغواطة، وظف الأخرون ملوك فاس في إجهاز من التجأ إليهم من برغواطة، ونفس الشيء وظفوه في الركراكة ضد برغواطة، والكل باسم الإسلام، والغاية هى الإستيلاء على موقع تامسنا وإمكانياتها ولكي يتهيأ من أحاط بهم من الجهات لغزو من بقي منهم بعد استحلال دمهم، كأنهم كفار قريش وعبدة الأوثان في مكة رغم وجود الإسلام في تامسنا، كما لا يوجد فيها صنم ولا وثن، لكن فيها تامسنا الغنية يجب أن تحتل، لنقارن بين عرب مكة وأمازيغ برغواطة فيما يأتي :

1- **وصف قريش:**فهل ما وصفت به قريش ينطبق على برغواطة؟ ورد في حديث جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي إذ قال: " أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية، نعبد

[314] مارمول كارباخال ج 1 ص 304.
[315] التاريخ الدبلوماسي عبد الهادي التازي ج 5 ص 8.

الأصنام وناكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ..فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرمه علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا من ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان، من عبادة الله تعالى، ونستحلّ ما كنا نستحلُّ من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وأحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك! ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك "[316].

2- **وصف برغواطة:** استفدنا من النص السابق كيف كانت أخلاق قبيلة قريش، مما لا يحسدون عليه، وشهد شاهد من أهلها، أما برغواطة فشهادة الآخرين وهي مردودة عليهم ما لم نعثر على من هو مقطوع بصدقة، فليس عندنا نص كامل حول برغواطة يسمح لنا بعقد مقارنة، وإن كانت بعض المصادر والمراجع لم تبخل علينا بدلائل كلها من صميم مجتمع لا يخرخ عن التوراة والإنجيل والفرقان في إطار إسلام عام جاءت به الديانات المذكورة " نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان "[317].

ففي عهد محاصرة تامسنا كانت المسيحية منتشرة في السهول الأطلسية كما ورد عن مدينة نفيس: " مدينة قديمة أزلية غزاها عقبة بن نافع رحمه الله، وحاصرها وفيها الروم والنصارى البربر سنة 62هـ "[318].

وكلمة النصارى البربر هذه تعني المغاربة المسيحيين التي وصف بها سبعة رجال القدماء أصحاب رحلة الركّراكّة الذين منهم سيدي واسمين الذي تسلم رسالة من رسول الله فجددوا إسلامهم، فبلغوه لقومهم برغواطة أي بلغوا ما تلقوه كطهارتي

[316] ابن هشام ج 1 ص 360.
[317] سورة البقرة / 2 + 3.
[318] كتاب الاستبصار في غرائب الأمصار ص 208.

الوضوء الكبرى والصغرى والصلوات والركوع والسجود والقيام بالصيام وبالزكاة والأعشار وبإكرام الضيف وبالأمن في البلاد وبالقصاص، وبقتل السارق ولهم تشريعات غالبا خليط من الرسالات السماوية. مما جعل المؤرخين يؤاخذونهم ببعض الاختلافات التي يجهلون مصدرها، وهم قوم لا يعرفون العربية التي وردت فيها أسماء الله الحسنى مثل الله والإله والرب والصمد والغفور والرحيم والخالق وقد يؤاخذ على برغواطة تكرار مقدس اسمه "ياكوش معناه " الذي لا أول له ولا آخر" وهذه الصفة خاصة بالله وحده. فالمدلول إذن واحد، وهو الله تعالى، لكنهم آمنوا به باسم آخر في لغتهم لتعدد أسمائه تعالى "ولله الأسماء الحسنى فاعوه بها".

فإذا أضفنا كل هذا إلى علاقاتهم ومعاهداتهم السلمية والحربية وتنظيماتهم الاجتماعية واستمرار دولتهم لقرون معروفة، لا يسعنا إلا أن نقول: إن برغواطة حوربت طمعا في وطنها تامسنا، وليس لرفضها بوحدانية الله، وقد استمرت في الوجود، ولها دور في جهاد المرينيين بالأندلس.وقد يلاحظ على برغواطة زيادة أو نقص في طقوس العبادات لقلة من يفقه الناس في أمر دينهم.

ثلاثة أحوال في الصلاة: لاحظ المؤلفون على برغواطة بعض المبالغة في الوضوء وفي الصلاة وفي القبلة وفي الصيام، وذلك يرجع إلى تدرج هذه في الزمان، ولقلة من يفقه الناس في أمور دينهم، ولجهل العرب باللغة الأمازيغية، ولأن الغزاة كان همهم الجانب العسكري والإثخان في العباد، والمبالغة في النهب والسلب، فعن عائشة أم المؤمنين قالت: "افترضت الصلاة على رسول الله (ص) أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة، ثم إن الله تعالى أتمها في الحضر أربعا وأقرها في السفر على فرضها الأول ركعتين، ولتراجع الآية "واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والإبكار"[319].

ففي هذا الباب هناك من يقول "إن الفرض والركن بمعنى واحد، وعرفوا الفرض بما يثاب على فعله، ويعاقب على تركه، كما يقال للصلاة ركن من أركان الإسلام، مثل الأركان الخمسة، وأولها النية، وهي الإرادة الجازمة لأداء الصلاة لله وحده "[320].

[319] سورة آل عمران الآية 41.
[320] كتاب المذاهب الأربعة ج 1 ص188.

عن معاذ بن جبل قال: "أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل االصيام ثلاثة أحوال، فأما أحوال الصلاة فإن النبيء (ص) قدم المدينة وهو يصلي سبعة عشر شهرا إلى بيت المقدس، فنزل قوله تعالى " قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها، فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره " فوجهه الله إلى مكة فهذا حول.

ثم قال: "وكانوا يجتمعون للصلاة وأذن بها بعضهم بعضا، حتى نقسوا وكادوا ينقسون(يخلون) ثم إن رجلا من الأنصار يقال له **عبد الله بن زيد** بن عبد ربه أتى رسول الله فقال يا رسول الله: إني رأيت فيما يرى النائم، ولو قلت إني لم أكن نائما لصدقت، إني أنا بين النائم واليقظان، إذ رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران فاستقبل القبلة، فقال: " الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله ..ـ مثنى ـ حتى فرغ من الآذان، قال رسول الله **"علمها بلالا فليؤذن بها"** فكان بلال أول من أذن بها، ثم وقع لعمر مثل ذلك، فهذان حولان.

وكانوا يأتون الصلاة سبقهم النبيء ببعضها، فكان الرجل يشير إلى الرجل إذن كم صلى؟ فيقول واحدة أو اثنين فيصليهما، ثم يدخل مع القوم في صلاتهم، قال فجاء معاذ فقال: لا أجده على حال أبدا إلا كنت عليها، ثم قضيت ما سبقني قال: فجاء وفد من سبقه النبيء ببعضها فقال فثبت معه فلما قضى رسول الله قام فقضى، فقال رسول الله **"إنه قد سن لكم معاذ فهكذا فاصنعوا"** فهذه ثلاثة أحوال.

فإذا كانت الصلاة في مهبط الوحي قد مرت في ثلاثة أحوال والرسول (ص) حاضر، وهو إمام، وتلك الحالات مرت كلها تدريجيا، وليست كما وصلت إليه اليوم من فرائض وسنن ومستحبات ومكروهات، فعلى ماذا يدل ذلك؟ نفهم منه أنه بداية تأسيس دولة إسلامية على يد رسول رب العالمين بتنظيمه وتربيته وتعليمه ومشاركته ومساهمته في بناء مجتمع صالح للمستقبل بدءا بالتي هي أحسن مبشرا ونذيرا قابلا بعد التوحيد كل ما لا يقدح في العقيدة، مع إضافةالأحسن كما فعل الصحابي الجليل معاذ بن جبل باجتهاده والرسول شاهد وقال:"فهكذا فاصنعوا".

فإذا كان الأمر بالنسبة للصلاة التي هي عماد الدين هكذا، فكيف يكون الأمر بالنسبة لباقي الأسس التي بني عليها الإسلام من حيث التفسير والتبليغ والتطبيق في مجتمع برغواطة؟ ومن أكبر مميزاته الأمية والبداوة والأنفة والقوم حديث عهد بالإسلام؟ ياليت الجزولي كان مثل معاذ.

فيما يتعلق بالصلاة: "يرى كثير من المحدثين أن الصلاة فصلت ليلة المعراج، وعلى هذا لزم أن يكون من أول البعثة، وقد أغرب بعض الرواة فجعله قبل أن يوحى إليه، ولكنهم لم يعولوا على هذه الرواية، وقد جعله ابن إسحاق بعد فُشوّ الإسلام بمكة في قريش وفي القبائل كلها، ولكنه سرد تاريخه قبل أن يذكر وفاة عمه أبي طالب، ويلزم من ذلك أن الرسول وأصحابه لم يكونوا في أول الأمر يصلون الصلوات الخمس، وإنما كانوا يصلون صلوات أخرى، وبذلك قال جماعة من المحدثين.وخلاصة القول إن الصلاة فرضت على المسلمين من أول الدعوة، وبعد ذلك بزمن لم يحدد تماما فرضت الصلوات الخمس، فعلمه الوحي أعداد ركعاتها وأوقاتها والشكل الذي تفعل به"[321].

دليل انتشار الصلوات في المغرب قبل الفتح: "وكانت ولاية طارق على طنجة والمغرب الأقصى في سنة 85هـ وفي هذا التاريخ، تم إسلام أهل المغرب الأقصى، وحولوا المساجد التي كانت بنتها المشركون إلى القبلة، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات "[322]. (نخب تاريخية ليفي بروفنسال عن ابن عذاري ص 12) يقصد بالمشركين هنا اليهود والمسيحيين والخوارج والشيعة والمعتزلة وكل من خالف مستوى ثقافة مسجل الأحداث، والذي يهمنا هنا هو انتشار انحراف محراب المساجد إلى جهة القدس في المغرب قبل معرفتهم بتحويل القبلة، أو لجهلهم بالجغرافية، أو أن ليس هناك من يرى الأمر وجوبا إلا بعدما انتشر الفقهاء في البلاد.

نعم فرضت الصلاة وكانت ركعتين، فزيد في صلاة الحضر ركعتان، فكانت زيادة في الخير، **ومما آخذوه** على الخليفة الثالث عثمان بن عفان قالوا: "أتمّ الصلاة في السفر"، وكانت لا تُتَمُّ، قال "ألا وإني قدمت بلدا فيه أهلي فأتممت لهذين الأمرين، أوَ كذلك ؟ قالوا اللهم نعم "[323].

والصلاة عماد الدين، وجد فيها المصلي ما يقربه إلى ربه، "إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر " وهي نفس المبدأ عند جميع الأديان، وللفظ الصلاة معان كثيرة، كلها خير وتهذيب ومنها " وصل عليهم إن صلواتك سكن لهم".

---

321 اريخ الأمم الإسلامية الخضري ج 1 ص 91.
322 نخب تاريخية ليفي بروفنسال عن ابن عذاري ص 12.
323 الطيري ج 2 ص 651.

فإذا كانت كل هذه الخلافات واضحة في مهبط القرآن، فكيف وصلت كل هذه الأحوال إلى دولة برغواطة الأمازيغية المصمودية المستمرة لعدة قرون؟ فهل وصلتها الصلاة بأقسامها من فرض إلى سنة إلى نفل، إلى مكروهات إلى مبطلات؟ وهكذا في الوضوء من مشروعيته وفرائضه وسننه ومكروهاته وكيفيته ونواقضه ومستحباتها ودوره في النظافة. إلى أن نظمها ابن عاشر للمغاربة رضي الله عنه في منظومته لتحفظ عن ظهر قلب، وتطبق في المجتمع تدريجيا.

كما نظمها فقهاء سوس باللغة الأمازيغية كثر الله أمثالهم في وطننا تامازغا، فتفقه المجتمع بأقل جهد من ذكور وإناث، تقليدا لما بدأ به الإسلام قبل بناء المدرسة وانتشار المخطوطات، فعرف الناس دينهم بلغتهم مباشرة بلا واسطة منتظرة، وبذلك تذوق الأمازيغ حلاوة الإسلام الحنيف، والحمد لله على ذلك.المجهود، إذ لو انتظر المسلمون التفقه بلغة واحدة وبدون نعمة الإعلام المعاصرة، لما بلغهم جميعا حتى الضروريات من علوم الدين، وليت القوم أدركوا هذه الفتوى **"علمها بلالا فليؤذن بها"** بمثل هذه المنظومة الأمازيغية تعلم المغاربة قواعد الإسلام **دون انتظار تعريبهم** ومن ذلك منظومة الصلاة:

تاژالّيت أس تلاّ د لمعريفا د للوضو
ّتأياموم وُر تنجّيم أصاحب وُلاحجاري
ئغ نيت لاّن وامان د صّاحت نـ لابداني
ئمّاك ئغ وُر لّين نّان لكتوب تزري
ياند ئقانّ أد ئسّكي يسّكي تالّي يزكّاني
ئمّا غيد يان كّيس يسّكين أنكّوف أدكّاني

ومن منظومة الوضوء وهكذا في سائر العبادات بالأمازيغية:

أيكّان شّروض لّوضو د وامان غوسنين ئفرض كّيسن
وُدم د نّيت ئفاسّن يخف ئضارْن دّالك يزديتي
سّونت يفاسّن أس يزْوار ئمي تينزار يراردي
أمحاس ئ يْخف ئمزكّان وُلا ّتارتيب غ لفارضي

من المؤاخذات على برغواطة في أحوال الصلاة :

1- لاحظ أولئك المؤرخون الجغرافيون استقبال القبلة عند برغواطة نحو القدس بلا ضبط.

2- والرسولَ(ص) "كان يصلّي بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه، فلما هاجر إلى المدينة لم يمكنه الجمع بين مكة والمدينة في اتجاه واحد، فاستدبر مكة (16) شهرا فنزل قوله تعالى : " قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنولينّك قبلة ترضاها، فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره"[324].

3 -فكان ذلك أول نسخ في الإسلام، ماذا حدث ؟ بالنسبة ليهود المدينة، قالوا: كان محمد يتبعنا في كثير من ديننا، والآن فهذا انقلاب خطير "سيقول السفهاء من الناس ما ولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها" ؟[325]. بالنسبة للمسلمين تساءلوا عن صلواتهم وصلوات من مات منهم في جعل بيت المقدس في فلسطين قبلة لهم في حياتهم، فكان الجواب ؟ " وما كان الله ليضيع إيمانكم، إن الله بالناس لرؤوف رحيم"[326]. **ألا تشمل هذه الآية برغواطة ؟**

4- هكذا حلت مشكلة القبلة بآيات لا تقبل المعارضة .إذ بها غفر للمسلمين وعزلت اليهود.

5- وفيما يخص برغواطة المستمرين في الاتجاه نحو بيت القدس حسب ما لاحظه المنتقدون، فهل توصلت برغواطة بخبر تحويل القبلة؟ نحن لم نعثر على من بلغ لهم ذلك، ثم إن مصطلح "النسخ" بعيد جدا عن فهم برغواطة، مع العلم أنه أول نسخ في الإسلام، وحتى لو وصلهم شفويا يصعب تصديقه لبعد المسافة بين الشرق والغرب، إذ لا يتصور منهم أن يقبلوا ذلك التحويل من الشمال نحو الجنوب، كما قبله جيران رسول الله، ما عدا اليهود.

ثم ما هو مستوى المسلمين في علم الجغرافية في ذلك العهد؟ فهذا عقبة بن نافع لم يعين محراب مسجد القيروان إلا عن **طريق الرؤيا**، فحل مشكل خطوط الطول والعرض،

---

[324] سورة البقرة / 144 .
[325] البقرة الآية 142.
[326] البقرة الآية 143.

وهذه محربات مساجد الموحدين متجهة كلها نحو الجنوب، عكس التي للمرابطين، رغم أنها على الصواب لتقدم العلوم الفلكية عند المرابطين، ومع ذلك الصواب كفرهم الموحدون.وهم على خطإ.

6- فإذا كان الواقع هو هذا، فلماذا تحارب برغواطة بجهة قبلتهم ؟ فهل لنسبتهم لليهود على رواية من ألحقهم لينفر الناس منهم، فظلوا على القبلة الأولى ؟ التي أسرى الله بعبده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فلم يصل تحويل القبلة إلى برغواطة؟.ولذلك ركز الشريف الإدريسي السبتي في خريطته على مركز القبلتين في جهة طلوع الشمس بالنسبة للمغاربة، بينما في جهة غروب الشمس بالنسبة للخليج، والشمال بالنسبة لليمن، والجنوب بالنسبة للعراق وقس على ذلك، ونحمد الله على انتشار العلم ونحن نلاحظ كل بقعة من الأرض عيانا.

دور الرڭراڭة الأحرار:" تذكر المصادر أن الطبقة الأولى منهم كانوا مع روح الله عيسى. وآمنوا بما جاء به، وأنهم من الحواريين وعندما سمعوا ببعثة محمد(ص ً) سافر سبعة منهم إلى المدينة، واتصلوا به فخاطبهم بلسانهم، وحمّلهم رسالة الإسلام إلى بلادهم، وبعد عودتهم إلى رڭراڭة، نشروا الإسلام "[327]. وهم سبعة رجال على التوالي:

1- سيدي واسمين إلياس ضريحه في طرف جبل الحديد متسلم الرسالة من الرسول (ص)

2- أبو بكر أشمّاس بأقرمود إڭرُوامودْ (فدّان الزريعة)

3- أدوناس عبد الله ضريحه عند المناصرة

4- عيسى بوخابيا في طرف وادي تانسيفت

5- يعلى بن واطيل في أمزڭْر (معبر الوادي)

6- سعيد بن يبقى غرب وادي شوسران

7- صالح بن أبي بكر بإڭرُوامود

[327] درر الحجال في مناقب سبعة رجال ص 25 تحقيق د حسن جلاب.

"وخلد رڭراڭة حدث التجمع لقراءة الرسالة النبوية والتفرق في البلاد لنشر تعاليمها باجتماع الطوائف في عين المكان"[328]. وقد أطلعني الأستاذ محمد الصويري على نسخة موقعة من طرف عدول يفوق عددهم عشرين عدلاً تدافع عن صحابية الرڭراڭة، لكن هناك من ينكر الصحابة من الأمازيغ، بينما هناك لائحة طويلة للقائلين بصحة صحبتهم ومن ذلك:

1- ما ورد في مجلة المغرب عدد شهري يونيه ويوليوز 1936م

2- وللباحث ميشو بيلير[329] رأيه الخاص وهو "أن الذي زارته رجراجة هو صالح بن طريف البورغواطي الذي كان يتكلم بلسان البربر، فأشاعوا أنهم زاروا مكة، ونبي الإسلام." هنا تساؤل منها أن موطن الرڭراڭة بتانسيفت ليس بعيدا عن المتنبئ صالح بن طريف بتامسنا وأسفي من حكمهم، وأن الرسالة التي تجمعوا لقراءة ذلك المتنبئ كانت بلغة القوم وهي الأمازيغية المصمودية، وأن التفرق في البلاد لنشر تعاليمها بمثابة أمر من السلطة البرغواطية تلزم الطوائف الحاضرة قرب جبل الحديد.

3- لماذا اختيار هذا الموقع بالذات؟ " جبل الحدبد" إنه مكان مقدس يحتوي على بقايا الإنسان القديم، (ثمانين ألف سنة) كما في جبل إيغّود (إرْغود معناه مبارك) حيث بقايا إنسان يرجع إلى حوالي ثمانين ألف سنة، كما عثر على جمجمة إنسان في محجرة سيدي عبد الرحمان بأنفا أقدم مما سبق.

4- فيما يخص أسماء هؤلاء الرڭراڭة بالنسبة لقدمهم في التاريخ، لا يخلو من الشك في بعضها، فإلياس وعيسى أسماء عبرية، وأبوبكر وسعيد وصالح عربية، وواسمين وأدوناس و أشماس وواطيل ويعلى ويبقى أمازيغية.وقد حاولوا تعريب " يبقى" من فعل بقي، وكونوا له حكاية رغم أن صيغته أمازيغية مثل يبقى ويعلى ويهدى.

5- إن استمرار رسالة الرڭراڭة السلمية والوطنية لا ينكرها المغاربة في المغرب كله، ولذلك يسمون ارڭراڭن مفرده أرڭراڭ، وبقلب الراء لاماً صار ألڭلاڭ، جمعه إلڭلاڭن ذووا العصا الغليظة التي كانت لا تفارق جماعتهم عندما يجمعون الزكوات في البوادي، كما يطلق عليهم، وكلمة ألڭلاڭ مازالت مستعملة، وقاعدة قلب الحرفين

[328] نفس المرجع ص 25.

[329] Michaux Bellaires les confrêries religieuses p16.

مشاعة بين ژناكة ومصمودة حتى الأن، كما ذكر بها الأستاذ أحمد التوفيق في كلمة برغواطة، ورگراگة كانوا على علم باليهودية والمسيحية وبسببها رحلوا رحلتهم المذكورة، ودور العصا وحكمتها ومعجزتها لا تخفى عليهم في عهد موسى، وهي مذكورة في التوراة والقرآن قال تعالى: " وما تلك بيمينك ياموسى؟ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهشّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى"[330].

فرگراگة من برغواطة آمنوا بالرسالات السماوية اليهودية والمسيحية والمحمدية، فإذا صح إلحاق متنبئ برغواطة بنبي الله يعقوب عليه السلام، فذلك من باب تجديد ما مضى، أو لتشجيع انتشار اليهودية عند برغواطة.أما تكريس "جهاد الرگراگة في برغواطة المزعوم " فذلك من باب أمنية خصومهم، إذ متى استقل الرگراگة عن برغواطة؟ وأين ذكرهم وقوتهم في عهد المرابطين والموحدين والمرينيين إلى انهيار الوطاسيين وهم كقبيلة خاضعة لتعسفات الأعراب كما يقول المؤرخ الحسن الوزان، أما سياحتهم وجمع الصدقات فقد أدركناهم، ولم يخفّ تأثير زاويتهم إلا بعد تأسيس سبعة رجال في مراكش في عهد السلطان مولاي إسماعيل..

6- هناك عوامل أخرى لا تقبل أن يكون هذا الفضل للرگراگة، وخاصة نشر مضمن الرسالتين، إذ بهذا الفضل انتشر ذكر الرگراگة في المغرب كله، كما أن واحدا من رگراگة يسمى **يعلى** من تلامذة شيخ أغمات الذي أرسله لمحاربة برغواطة، لكن هذا التاريخ لا يناسب صحابة الرسول في عهده، وإن توافق الاسم والنسب،؟ كما أن صيغة يبقى أمازيغية.

وبأي فضل صار الرگراگة يجمعون الزكاة ولا أحد يعارضهم؟ وصاروا يحتفلون بذكراهم أبا عن جَدٍّ إلى أن تدخلت السياسة فاقتضى الأمر التخفيف على الأقل من هالتهم الساطعة في عهد الملك زيدان من السعديين، كما اقتضت الضرورة تعظيم سبعة رجال حضريين بمراكش موازاة لسبعة رجال بدويين في عهدالسلطان مولاي إسماعيل كما في قصيدتين مشهورتين.

7- يعرف الشرق العربي أن تخلي المغرب الأمازيغي عنه يصبح في مهب الرياح، ولذلك تشبث بجميع الوسائل التي تربط المغرب بالشرق، بشرط أن يكون تابعا لا

[330] سورة طه ىلآية 18.

متبوعا، مع أن هذا الأمر متداول بينهما حسب المد والجزر، ومن هنا جاء إنكار أن يكون للمغاربة صحابة الرسول (ص) فتشعب الموقف، ولكل دلائله وحججه الكثيرة، والعبرة بالتقوى وليس في اللسان عظم.

8- قد تكون زيارة رگراگة المسيحيين بمثابة التأكد من رأي النبيء الجديد في عيسى بن مريم، كما فعل ملك الحبشة عندما هاجر إليه المسلمون الأولون، وهم صحابة الرسول (ص) وهكذا فعل الرگراگة وهم الصحابة الأمازيغ المغاربة، لكن رفض حسادهم تلك الصحبة، فرد عليهم المغاربة حجة بحجة، ونفوا كل ما قوّله لهم غيرهم، وعندما يفحم الخصوم يتهمون غيرهم بالعنصرية..

ألا يكون الرگراگة المصامدة هم الذين بلّغوا لإخوانهم برغواطة المبادئ الأولى في الرسالة المحمدية التي حمّلها لهم الرسول محمد بن عبد الله، القائم بأمر الله، ومنها استقبالهم قبلة القدس على فرض أن زيارتهم كانت منذ البداية، إذ لم تنزل بعد آية التوجيه إلى الكعبة، وعلى هذا فتكون زيارة رگراگة في مدة ستة شهور التي قضاها الرسول (ص) وهو يقلب وجهه في السماء فولاه الله شطر المسجد الحرام .

ولكن متى توصلت برغواطة - وهم في أقصى الأرض - بقوله تعالى: " فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره" وعلى فرض أن هذه الآية نزلت بعد رجوع رگراگة، فمن بلّغ إليهم هذا التحويل إذن؟ ثم بأية لغة ؟ والإسلام في بدايته، والمسافة بعيدة، والأمية تضرب أطنابها، والانتقال من قبلة إلى قبلة استغلها المرجفون وشككوا في الدين المحمدي وأعلنوا ذلك جهارا وشوشوا على الدين الحنيف في مهبطه لعلهم يغلبون.

فقال تعالى: " سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها "[331]. فإذا كانت حالة السفهاء هكذا في مهبط الرسالة، فكيف يكون موقف الرگراگة وهو حديث عهد بالإسلام، وأركانه ما زالت تترى، وتؤخذ بالمصاحبة والإسوة الحسنة وبالتقليد تدريجيا في أقصى غرب الإسلام ؟.

9- وقد يكون استمرار برغواطة في اتجاههم نحو بيت القدس، عندما زارهم الكتاب الشرقيون، وهي قبلة اليهود، فوظفوا ذلك وجعلوه من الذرائع التي استدل بها

[331] سورة البقرة الآية 142.

الشرقيون على أن دولة برغواطة المصمودية القائمة على أكتاف القبيل الممتد من جنوب المغرب حتى شماله، هم من باربط بالأندلس،" بلغواطن " ثم حولوا الكلمة إلى برغواطة "وذلك مجرد تمحّل. ومعظم ماذكر لا يخلو من اجتهاد غايته كبح البحث في الموضوع، وسد الباب على كل مراجعة لإبقاء ما كان على ماكان.

لذلك ألحقوا أحد شخصياتهم بشمعون بن يعقوب، كجد أعلى لينفروا الناس عن هذا القبيل، لتسهل محاربتهم من أجل التمكن من موطنهم الاقتصادي تامسنا، مع العلم أن الأمازيغ لم يعادوا أبدا اليهود في جميع المستويات مثل العرب.ثم أضافوا اتهامات أخرى منها: أنهم من الشيعة أوالخوارج، ومن ثم إلى السلاح الأبيض الفتاك، ألا وهو عزلهم عن مجتمعهم بإطلاق الأوصاف الآتية عليهم".

مصطلحات التكفير: المروق والنفاق والزندقة والردة "وكلها مدافع تشحن الدهماء لسفك الدماء بلا حساب، سواء وردت الفتاوي من الشرق أو من الأندلس، أو ممّن تتلمذ عليهم من المغاربة، والغاية ضرب المغاربة بإخوانهم تنفيذا لأوامر غيرهم، والغاية هي الاستيلاء على اقتصاد موطنهم تامسنا مع استمرار التبعية التي رفضها المغاربة منذ ثورتهم العامة، وبسبب تمسكهم بمذهب مالك، فحققوا الاكتفاء الذاتي، وهذا ما لا يقبله من يطمع في فتح المغرب والأندلس مرة أخرى.

وكان إطلاق كلمة الردة هو بمثابة الحكم بالإعدام: وفي هذا الباب قد ارتد كثير من المسلمين في منبع الرسالة بمجدر ما سمعوا : "سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله"؟[332]. فكما لم يقبل أهل مكة إسراء محمد في ظرف وجيز بين المسجد الحرام بمكة وبين المسجد الأقصى في فلسطين على لسان النبيْ، كذلك ومثال،يصعب قبول برغواطة تحويل قبلة مساجدهم والقرآن لم يتوصلوا به كاملا ؟ إذ كان ينزل مفرقا حسب الأحداث والوقائع، فما أوردناه نماذج حلت الإشكالات في عين المكان شفويا.

فإذا كانت الأقلية الناذرة من الصحابة تبلغ شفويا وبأمانة إلى ما حولهم ما أنزل الله، فالعهدة على من يتهم برغواطة وهم مقصرون في عدم التبليغ، مع فقدان لغة التواصل بين الشعبين الأمازيغي والعربي، ولا ننس أن ولاة بني أمية اشتكوا من انتشار اعتناق

[332] سورة الإسراء الآية 1.

الإسلام بمجرد رفع الجزية، فرسالة الخليفة عمر بن عبد العزيز في الموضوع كالشمس في رابعة النهار، وقد لا يبتعد اجتهادنا عن الصواب، إذا قلنا إن رسالة الرسول لركّراكّة المغرب لا تبتعد عن رسالته (ص) للحبشي وهي من الرسائل الأولى كما يأتي:

رسالة الرسول إلى النجاشي:

"بسم الله الرحمن الرحيم ! من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام أنت، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى بن مريم فخلقه الله من روحه ونفخه، كما خلق آدم ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثتُ ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى!"[333].

قد يتسائل البعض عن أثر مادي لرسالة الرسول (ص) التي سلمها لسيدي واسمين من الركّراكّة، فإذا لم يمكن إنكار رحلة الركّراكّة لشيوعها واستمرار أثرها والسبب الذي دفعهم إلى استطلاع رأي المبعوث الجديد حول مريم وابنها عيسى عليهما السلام، فإن الركّراكّة كانوا من المؤمين بالمسيحية .والرسالة أعلاه إلى الحبشي مدارها قبول المؤمنين الهاربين بدينهم إلى الحبشة، كما أشهد الرسول نفسه على أن عيسى بن مريم روح الله، وبفضل إقرار تلك الجماعة المهاجرة بنبوة عيسى قبلهم ملك الحبشة.

أما من يقول بدليل مادي لمعظم رسائل الرسول، فمن الصعب العثور على مصاحف عثمان المشاعة، فكيف بتلك الرسائل؟ وهل كتبت في رق منشور؟ أو في ورق مصنوع؟ وبأي خط وبأي مداد وبأية كيفية للحروف المستعملة في ذلك العهد؟ ولعل ما اكتشف حاليا باليمن من ذلك الأثر الذي كتب في عهد الرسول (ص) فيباهي بها المسلمون ما تفتخر به المكتبات في العالم.

[333] د حسن إبراهيم حسن ج 1 ص 159.

بعث الله في الأميين رسولا منهم . أول ما بدأ به الوحي "اقرأ" في مجتمع لا يكتب.ومفهوم الأمية ليس من باب الاستغراق، والدليل على ذلك مكانة مكة التجارية، وملتقى رحلة الشتاء والصيف، وتبادل التجارة التي لا تنفصل عن الحساب والتسجيل وضبط المعاملات والقرآن يقول :"إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه" وهذا الآية تفرض محاربة الأمية بين البشر.

"أما أول من أدخل دين الإسلام للمغرب، فقيل إنهم رجال من ركراكة السبعة من المصامدة، وقيل كانوا اثنى عشر رجلا، اجتمعوا مع النبيء (ص) وكلكمهم باللسان البربري؟ وقيل إنهم لم يجتمعوا به، وإنما أسلموا على يد عمر، وعلمهم دينهم، وتوجهوا لمغربهم، ولما بلّغوا لقومهم، منهم من أسلم، ومنهم من أبى، وذلك عام ثمانية عشر من الهجرة 18هـ " وفي أيام عثمان أسلم مغراوة، مع أميرهم صولات عام أربعة وثلاثين[334]. ولا عجب في تعدد (قيل) في مجتمع تسود فيه الأمية قديما وحديثا.

ويرتبط موطن الركراكة بجبل الحديد الذي يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي (على الأصح) ابتداء من الضفة اليسرى لواد تانسيفت،فاصلا بين أقاليم حاحا ومراكش ودكالة، وتسكنه قبيلة تدعى ركراكة، تكثر الغابات وعيون الماء في هذا الجبل، كما يكثر فيه العسل وزيت أركان الخاصة بالمغرب على الأصح.

والسكان هنا فقراء فضلاء أتقياء، يسكن عدد كثير من النساك في قمة الجبل، ويقتاتون الفواكه والماء، هؤلاء الجبليون أمناء جانحون للسلم، إذا سرق أحدهم أو ارتكب أية جريمة أخرى نفوه لمدة معينة .وهم مغفلون إلى أقصى حد، إذا فعل أحد من هؤلاء النساك أي شيء عدوه من الكرامات ويسبب لهم جيرانهم من الأعراب كثيرا من المتاعب، فيؤدون لهم خراجا معلوما يتقون به شرهم، وقد غزا ملك فاس محمد (البرتغالي الوطاسي) هؤلاء الأعراب، ففروا إلى الجبل، لكن الجبليين (الركراكة) عندما وجدوا أنفسهم أقوياء بمساعة الملك، هاجموا الأعراب في المضايق، وتعاونوا مع جنود الملك في مطاردتهم فمزقوهم كل ممزق، ولما انتهت المعركة قدم الجبليون إلى الملك خيول القتلى من الأعراب، فكانت زهاء ثلاثة آلاف وثمانمائة فرس (3800) ولم يؤدوا بعد ذلك خراجا، وقد حضرت هذه الموقعة وأنا يومئذ في المحلة

[334] الترجمانة الكبرى ص 80.

السلطانية، وذلك عام (921)هـ وبلغ عدد المحاربين القادمين من هذا الجبل حوالي اثنى عشر ألف مقاتل"[335]. وهؤلاء الأعراب هم الذين عدهم البعض برغواطة.وقديما قيل: وما آفة الأخبار إلآ رواتها، والفقهاء لا يقبلون الجهاد في الأعراب وإن جاروا يعوضونهم بالبربر. .

وقفة لا بد منها:

1- وحسب ما أمدنا به المؤرخون منهم من عاصر الأحداث، نستفيد من بعض ذلك، أن الركراكة قبيلة وليست جماعة صغيرة محصورة في عدد سبعة أو اثنى عشر كما يريد البعض أن يتنقّص من شأنهم، وأنهم في جبلهم المتوفر على مقومات مهمة منها المادية والروحية .

2- وكلمة النساك تبرز لنا حالتهم كالرهبان لدى المسيحيين ،أو المتصوفين العباد الصالحين، مما يزكي تدينهم بالرسالات السماوية التي ختموها بالرسالة المحمدية.

3 - إن المجتمع المتدين لا يخلو من المصلحين والصالحين والأخلاقيين وأصحاب الخير والتوجيه والتربية والإحسان والصيام والاعتكاف والتعبد والتبرك بدعائهم، فكيف لا يوصف مثل هؤلاء بالكرامات ؟ كما لا يخلو مجتمعهم من بعض الخرافات، واستغلال طقوس ذلك المحيط.

4- ورد في النص أعلاه محاربة الركراكة لبرغواطة وجهادهم فيهم، ويقصدون بذلك مشاركة يعلى الركراكي المذكور الذي هو تلميذ الشيخ الأغماتي كما ذكنا، وذلك في بداية المرابطين، أما ما يزعمون من جهادهم وحروبهم فذلك ضد الأعراب مؤخرا في عهد الوطاسيين[336]. ومصدر الخطأ هو ورود اسم يعلى الركراكي من تلامذة الشيخ الأغماتي، وهم ثلاثة أرسلوا لقتال برغواطة، وليس يعلى الركراكي الذي هو من أصحاب واسمين السبعة القدماء منذ ظهور بعثة الرسول محمد (ص).وحتى لا تكون تلك الحرب ضد الأعراب في عهد الوطاسيين وبحضور المذكور، أسندوها لبرغواطة فانكروا النص بكامله؟!

[335] وصف إفريقيا الحسن الوزّان ج 1 ص 89.
[336] نفس المرجع الحسن الوزان.

وبصدد ذكر رسالة واسمين، نورد هنا عدة رسائل من الرسول منها: إلى هرقل قيصر الروم بالشام، وإلى المقوقس عظيم القبط بمصر، وإلى النجاشي ملك الحبشة في القرن الإفريقي، وإلى كسرى الفارسي في العراق،.لكن أين رسالته (ص) إلى الركراكة بالمغرب؟

"إن رسول الله خرج على أصحابه ذاة غداة فقال لهم: إني بعثت رحمة وكافة، فأدّوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا عليّ كاختلاف الحواريين على عيسى بن مريم ..إلى أن قال ابن إسحاق: ثم فرق الرسول (ص) بين أصحابه، فبعث رسائله[337].

ومما يؤيد عموم الرسالة للجنس البشري أن بلالا أول ثمار الحبشة، وأن صهيبا أول ثمار الروم، وأن سلمان الفارسي المسيحي العبد بالمدينة من أول من أسلم في السنة الأولى من الهجرة، ولماذا لا يكون سيدي واسمين الركراكي الأمازيغي أول من تسلم الرسالة من الرسول؟ .قال تعالى: "وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون"[338].

فلماذا ينكر البعض وصول التوراة والإنجيل إلى الركراكة الأحرار؟ وفي نفس الوقت يقبلون وجود ذلك في أقطار أخرى، كما ينكرون صحابية الركراكة رغم من أثبت ذلك ؟ فالإسلام ليس حَكَراً لقوله تعالى: "وتلك الأيام نداولها بين الناس " مما جعل عمر ابن الخطاب يبشر العجم بمشاركتهم، بينما الصميل الأعرابي بالأندلس قال: "وتلك الأيام نداولها بين العرب".

ثلاثة أحوال في الصيام: فإن رسول الله (ص) قدم المدينة، فجعل يصوم في كل شهر ثلاثة أيام، (نفس الشيء عند برغواطة) وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام، ونزل قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم، "إلى قوله" وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين "فكان من شاء صام، ومن شاء أطعم، مسكينا، فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرى" شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن " إلأية قوله: "فمن شهد منكم الشهر فليصمه"

[337] حسن إبراهيم حسن ج 1 ص 158.
[338] سورة يونس الآية 19.

فأثبت الله صيامه على المقيم الصحيح، ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حولان.

قال: وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلا من الأنصار يقال له **صرحة**، كان يعمل صائما حتى يمسى فجاء إلى أهله فصلى العشاء ثم نام، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح صائما، فرآه رسول الله وقد جهد جهدا شديدا فقال "ما لي أراك قد جهدت جهدا شديدا"؟ قال: "إني عملت أمس فجئت حين جئت، فألقيت نفسي فنمت، فأصبحت حين أصبحت صائما، قال: وكان عمر قد أصاب من النساء بعدما نام، فأتى النبيء (ص) فذكر له ذلك فأنزل الله عزوجل" أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم" إلى قوله : "ثم أتموا الصيام إلى الليل"، بعدما لخصنا ما سبق فما الذي أعابه الجغرافيون المؤرخون الشرقيون على دولة برغواطة؟:ومن المؤاخذات عليهم المبالغة في النظافة والوضوء.

تسرب المذاهب الشرقية إلى شمال أفريقيا:

1- تسرب المذاهب المنتشرة في الشرق بعد ما تشتت كالمذهب الشيعي المتشيع لعلي بن أبي طالب.وإن كانت فرق الشيعة حوالي خمسة وعشرين فرقة، منها معتدلة ومنها متطرفة.

2- الداعيان الحلواني وأبوسفيان كانا من أول من أرسلهما **ابن حوشب من اليمن** إلى المغرب، وبالضبط إلى قبيلة كتامة، ولما توفيا معا، قال لأبي عبيد الله الشيعي: " إن أرض كتامة في المغرب قد حرثها الحلواني وأبوسفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر، فإنها مؤطأة ممهدة لك، فازرع فيها بذور الدعوة، واسق هذه البذور حتى تنمو وتثمر، فيأتي صاحب البذر فيقطفها."[339] وبهذه الفكرة وحدها أصر الشرقيون وتلامذتهم على أن الأمازيغ جاءوا من اليمن بدون أن يثبتوا هناك علما جغرافيا أمازيغيا واحدا مثل " أدرار،أو أزاغار،أو أسيف، أو اركّان أو أسْلمْ أو أفتاس " ولما عجزوا أرادوا استلحاق تامازغا (شمال أفريقيا) بمرور الحلواني.المجهول الأصل في هذا الوطن.ومن هنا يزعم الشرق غزو تامازغا برجل.

[339] القرامطة د . مصطفى غالب ص 277.

3- كيف سلب أبو عبيد الله الشيعي قبيلة كتامة بكاملها ؟ قيل: لما التقى أبو عبيد الله الشيعي مع المشايخ الكتاميين في موسم الحج، فكان يشرح لهم بعض المسائل الدينية الغامضة، فتعلقوا به وأجمعوا على محبته،" وكان يسألهم عن أحوال بلادهم، وعن مبلغ طاعتهم لأميرهم، فكانوا دائما يجيبونه بأن ليس لأميرهم عليهم طاعة"[340]. وهي نفس القصة بين الأمير يحيى بن إبراهيم الكدالي مع الفقيه أبو عمران الفاسي بالقيروان، ثم تكررت القصة بين عبد الله بن ياسين مع برغواطة قبل ان يشجّع المرابطين الواصلين إلى تافيلالت لغزوهم، حسب رواية مشكوك في مسارهم من هناك إلى إلى أغمات كما ذكرنا.

4- بهذه السذاجة قدمت كتامة وطنهم مجانا للذي استولى على عقولهم " بوقاره وحسن هيئته وجلال منظره "؟!؟ فسألهم عن مكان فجٍّ الأخيار في بلادهم ؟ فأجابوه بأنه عند بني سلمان، .فقال لهم: إليه نقصد، وساروا إلى جبل يقال له إيكجان، وفيه فج الأخيار؟ . "هذا فج الأخيار وما سمي إلا بكم، لقد جاء على لسان النبيء (ص) أن للمهدي عليه السلام هجرة يبتعد فيها عن الأوطان، ينصره ويؤيده في هجرته الأخيار، وهم قوم اسمهم مشتق من الكتمان، فأنتم كتامة، وبوجودكم في هذا الفج سمي فج الأخيار"[341] ". يا للعجب ! بهذه السذاجة فتح المغرب.ويذكرني هذا بالشيخ أحمد الهيبة عندما دخل أمسكرود (بالدال) في مساراندفاعه من تيزنيت سنة 1912م قال:" أمسكرود ا معناه مسكٌ وردٌ؟ وهذا فال حسن" والكلمة أمازيغية مركبة معناها " مدخل إلى فوق الجدار: ئمي سـ ئكّي ؤوارود " ومنه تارودانت وقد أورد الضعييف في تاريخه " وتسلق عليه أرودان أي الجدار أو السور أو حافة من الجبال" وكم من لفظ أمازيغي أحالوه على المعجم العربي ففقد هويته".

5- خاطب الشيعي القوم قائلا "أنا صاحب البدر الذي أخبركم به أبوسفيان والحلواني".

والذي يهمنا ـ نحن المغاربة ـ من سرد هذه النصوص، أن كل من أراد أن يستولي بسهولة على المغرب، عليه أن يدلي بأوهن القصص، فكلمة أمون بمصر أمازيغية، واللغة ما زالت في واحة سوى، وبهذا الخيط يمكن قبوله في المغرب لو نجحت أحداث حرب الرمال سنة 1963م كما أن علاقة المغاربة بمصر قديمة، فالأمازيغية ما زالت

[340] القرامطة د . مصطفى غالب ص 278.
[341] القرامطة د . مصطفى غالب ص 279.

في واحة سوى بمصر،.وفرار بقية اليهود من فرعون التجأت إلى شمال أفريقيا بتورتهم الدينية قال تعالى: "إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيؤون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء..."[342]. وترجع هذه العلاقة إلى 3300 ق م كما في لوحة " **نارميت** "[343] والديانة اليهودية في المغرب سبقت المسيحية بكثير، وتاريخ مدينة إفران بالأطلس الصغير بسوس، أطول عمرا ثلاثة آلاف سنة.

وثورة الدوناتوست في شمال أفريقيا انطلقت من المسيحية ضد ظلم الرومان، لذلك سهل عليهم قبول ما جاء به النبيء محمد عليه السلام، الذي سلم رسالته لوفد الركراكة السبعة الذين كانوا من العلماء المغاربة المؤمنين بالنصرانية .بالإضافة إلى **طلسم رقم سبعة**.

6- لذلك كان السياسيون يستغلون دائما الجانب الديني وتأويله للأمازيغ، مستغلين احتكار النص الديني، مما جعل الفكرة المهدوية تتراكد في المغرب من هنا وهناك، وسبب ذلك كله قلة المعرفة في مجتمع يسمع ولا يقرأ (**يلمَزْ ولا يمْضَغْ**).

7- وهكذا صار وطن تامازغا مرتعا للمذاهب الأخرى، وخاصة الخوارج، لعدم اقتناع بعض المغاربة بأنهم ليسوا أصلا في وطنهم المغرب.فيتكرر نفس الشريط ، رغم تمسك المغاربة **بمذهب مالك منذ أن نقله الأمازيغي يحي...**

فحتى"دولة الأدارسة تحولت من فاس إلى الريف، ولم تتمتع هناك بالاستقلال الذي تمتعت به في فاس، حتى طردهم موسى بن أبي العافية، فأصبحوا تحت نظر المتغلب على بلاد المغرب، إما من الشيعة أصحاب إفريقية،(تونس) وإما من المروانيين أصحاب الأندلس، فكان عدم استقرارهم هو ما يفسر نذرة حضارة خاصة بهم"[344].

"قال القاسم: وإنما هاج هذا الحديث، أن ملوك بني أمية كانوا يكتبون إلى أمراء مصر: أن مصر إنما دخلت الإسلام عَنوة، وإنما هم عبيدنا نزيد عليهم كيف شئنا، ونضع ما شئنا" وهكذا ففي الوقت الذي كان يعاني فيه المصريون والأمازيغ التخفيف من معاملات أولاة الشرق، يقول هارون الرشيد للسحابة مفتخرا "**أمطري حيث شئتِ**

[342] سورة المائدة الآية 44.
[343] أندري جوليان تاريخ أفريقيا الشمالية ص 71.
[344] تاريخ الإسلام ج 3 ص 166 حسن إبراهيم حسن.

يأتني خراجك" مما زاد في بغض البربر لولاة العباسيين، فانضاف إسراف العباسيين إلى ظلم الأمويين، فر الخوارج من سيف العباسيين إلى جميع الجهات، بما فيها وطن الأمازيغ، ومنهم أبناء الأمازيغ الذين صادرهم الأمويون غلمانا فرجعوا ينشرون مذهبهم وليس عدلهم، فانتشرت الإمارات وتفرقت الكلمة.

وليس الظلم خاصا بالموالي فقط ، لكنه عم العرب كذلك بعد أن أسقط المعتصم العباسي سنة 217هـ أسماء العرب من ديوان العطاء، معتمدا على الأتراك، كما ساهمت محنة خلق القرآن في عهد المأمون في هروب كثير من الفقهاء، ولما ولي الواثق **"أمر أن يكتب على المساجد لا إله إلا الله ربّ القرآن المخلوق"** [345].

وكانت محنة خلق القرآن وما أثارته من الجدال، ما زاد في رفض الأمازيغ ظلم العرب أجمعين، سواء باسم الأمويين أو باسم العباسيين، وبعد خوض **ثلاثمائة وخمس وسبعين وقعة حربية في شمال أفريقيا** استقلت بلاد البربر عن الدولة العباسية كولاية تاهرت، وولاية سجلماسة، وولاية تلمسان، بالإضافة إلى دولة برغواطة على ساحل المحيط الأطلسي وعاصمتها أنفا لقرون طويلة، اعترف المؤرخون ب 461 سنة إذا لم نتوغل في محاكاة الدعوة في مكة.

كما ظهرت دولة الأغالبة في تونس والأدارسة في شمال المغرب، وهكذا ساهم ظلم الولاة في نشر الفتن، وتقسيم الوطن، وضعف الإمارات الإسلامية والقرآن يقول : "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم".

ونظرا لاتساع الفتوحات، فإن بني أمية - ومن بعدهم بني العباس - صار هدفهم هو جمع المال، ولو بظلم من ولاتهم، بدلا من الإسلام الحنيف، ولذلك اتهموا البربر بالردة كلما رفضوا ظلم الولاة، إلى أن استنكر الخليفة عمر بن عبد العزيز ذلك فأرسل من يعلم الناس أمور دينهم فاستقامت الأمور إلى حوالي سنتين لقتله بالسم.

وقد كان عمر بن الخطاب في الشرق " أول من جمع الناس على إمام يصلي بهم التراويح، في شهر رمضان، وكتب بذلك إلى البلدان، وأمرهم به في سنة أربع عشرة

[345] تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 2 ص 203.

وجعل للناس قارئين : قارئا يصلي بالرجال، وقارئا يصلي بالنساء" والقرآن لم يجمع بعد في مصحف واحد، كما ورد في الطبري[346].

(وعن عائشة أم المؤمنين التي اشتهرت بالرواية والفقه والفتيا والتاريخ والنسب ورواية الشعر والطب وعلم النجوم حتى لقد قال فيها رسول الله) "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء"[347].

فالعرب أبناء ظروف جزيرتهم، كما وصفها عمر بن الخطاب: "أنتم أناس عامتكم حضر في بلاد الله، وأهل بلد لا زرع فيه ولا ضرع، إلا ما جاء الله به إليه" [348] . ومعنى ذلك أنها تعيش على حساب الأقاليم المفتوحة، كما قنن ذلك الإسلام واقتنع به المسلمون.إلى أن جار الولاة، فكثر الغلاة، فثار القضاة، فها هو عمر بن الخطاب سن التراويح للرجال وللنساء، فمن كان يصلي ببرغواطة في ذلك العهد؟ وكم عدد الركعات التي وصلتهم في التراويح في عهد الخليفة الثالث؟ وفتح شمال أفريقيا لم يبدأ بعد، وهل في استطاعة برغواطة فهم لغة القرآن الكريم؟ وهنا لا يبعد ترجمته بالأمازيغية، لكن لا دليل على ذلك،ولم يبق إلا الاعتراف بخلق قرآنهم كما سجله المؤرخون.

بلاغة القرآن الكريم : من حق العرب أن تبهرهم بلاغة القرآن "فانساقوا إلى تقليده ومحاكاته، - مثل قرآن مسيلمة - وبلغ من افتتان العرب بالقرآن وإعجابهم به أن امتنع بعضهم عن قول الشعر، كما فعل لبيد ابن ربيعة أحد أصحاب المعلقات - إن صحت - فإنه "قدم على الرسول في وفد من قومه وأسلم وحسن إسلامه، واستغنى بالقرآن وقراءته عن شعره الذي نبغ فيه".

وهذا رأي علي بن أبي طالب في القرآن إذ قال: "جعله الله ريّاً لعطش العلماء، وربيعا لقلوب الفقهاء، ومحاجّا لطرق الصلحاء، وبرهانا لمن تكلم به، وشاهدا لمن خاصم به، وفلجا لمن حاجَّ به، وعلما لمن وعى، وحديثا لمن روى، وحكما لمن

[346] الطبري ج 2 ص 570.
[347] تاريخ الإسلام حسن إبراهيم حسن ج 1 ص 179.
[348] الطبري ج 2 ص 573.

قضى"[349]، وهذا طبيعي من علي، فقد تربى في بيت الوحي، وتروى من عين الفصاحة.

وهذا جان جاك روسّو منذ القرن 18 م قال: "من الناس من يتعلم قليلا من العربية ثم يقرأ القرآن ويضحك منه، ولو أنه سمع محمدا يمليه على الناس بتلك اللغة الفصحى الرقيقة، وذاك الصوت المقنع المطرب المؤثر في شغاف القلوب، ورآه يؤيد أحكامه بقوة البيان، لخر ساجدا على الأرض وناداه: أيها النبي رسول الله ! خذ بأيدينا إلى مواقف الشرف والفخار، أو مواقع التهلكة والأخطار، فنحن من أجلك نود الموت أو الانتصار"[350].

فأنى لغير علي بن أبي طالب هذا الإدراك المشحون بالإيمان؟ فإن وجد من غيره فمنطقي وعادي بالنسبة لمن آمن واشتهر من العرب بالورع والتقوى، وقليل ماهم، وكثير منهم أهل الجحود ممن سموا الأعراب المعروفين بالنفاق على حد وصف القرآن: "الأعراب أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، والله عليم حكيم"[351].

وتلك مراحل لا بد منها بالنسبة للعرب أنفسهم، ومن حقهم أن يتحققوا من صدق الذي بعث في الأميين منهم،.لكن ما بال برغواطة الأمازيغ الذين لا يعرفون لغة العرب ؟ وحتى إذا وجد منهم من تعلمها فأنى له فصاحة علي؟ ولا صوفية رجل الكنيسة جان جاك رُسّو، ولذلك فبلاغة القرآن الكريم مرتبطة بالإيمان به أولا، ولمن تشبع بهذه اللغة وكسب غنة القرآن في بيئتها منذ صباه، وما سوى ذلك ففيه نظر.إذ لا يخلو من تصنع.

وهكذا بالنسبة لبرغواطة، فقد تكون لغتهم الأمازيغية في ذلك العهد، من البلاغة بمكان بالنسبة إليهم، ولذلك شرّعوا بها لأنفسهم، وراسلوا بها غيرهم، وسيروا بها مرافق دولتهم، ومن الطبيعي أن يترجموا من الثقافات المحيطة بهم خلال قرون امتازت بقوة واستقرار ما هم بحاجة إليه، وبطول الزمان، بلغت لغتهم من التطور من عد التشريع

[349] حسن إبراهيم حسن ج 1 ص 192.
[350] حسن إبراهيم حسن ج 1 ص 193.
[351] سورة التوبة الآية 97.

بها قرآنهم الخاص، وقد رفض غير واحد أن يكون للأمازيغية ما وصفهم بها المؤرخون إذ قالوا " خلقوا قرآنهم وفيه العلم العظيم".

حاول كثير من المتعصبين أن يكون للمذاهب دور في تشريعات برغواطة، فسموا ذلك قرآنهم كفتوى لتكفيرهم ولمحاربة تشجيعهم حتى لا ينفصلوا عن الشرق، لكن الواقع لا يرتفع، فثمانون سورة من قرآنهم الخاص الذي وصف بالعلم العظيم، دليل على أن دولة برغواطة حققت الاكتفاء الذاتي، وتخلصت من تبعية الغير في الأرض ولا في السماء, فقد انتشرت بينها الرسالات السماوية، واكتفت بالعرف الأمازيغي في تشريعها (أزرف) العريق في القدم..وهكذا حققت الاكتفاء الذاتي اجتماعيا واقتصاديا وعقديا وأمنيا مع حماية وطنها طيلة قرون.

كثيرا ما يتساءل البعض عن السر في انتشار مذهب الخوارج بسرعة في وطن الأمازيغ، ومن الجواب " أن إسلام الخوارج مذهب ديني يُرضي الأخلاق وتقشف البربر الطبيعي، وسلاح يضمن التحرر السياسي لأناس أطلق فيهم عنان الجور، وخُمّس رجالهم ونساؤهم، وصُدّر بنوهم وبناتهم إلى أسواق أهل السلطة والثراء"[352].

من هذا النص ورد **"تقشّف البربر"** وهذا وصف مشاع تأباه بيئةالأمازيغ الغنية بالخيرات، فقد أنعم الله على وطنهم بموقع بين البحرين يساهمان بتدرج المناخ بشكل يُمكّن الغطاء النباتي المتنوع بفضل مناخ البحر الأبيض المتوسط، مما جعل الفلاحة متنوعة، والمياه متوفرة، والكثافة السكانية متمتعة، وكرم الضيافة معروف لدى المغاربة، وقد سجل المؤرخون ذلك حتى على برغواطة التي كفروها، كل هذه المواصفات وغيرها يدفعنا إلى أن نتساءل عمن أطلق التقشف في غير محله؟ فتبين لي أن ترويج ذلك شفويا إنما هو من باب **استغلال سخاوة الأمازيغ** وكرم ضيافتهم، ومقابل ذلك يرمونهم **بالتسقريم** والتقشف فما هو الهدف من ذلك؟ من الجواب استغلال امكانات الأمازيغ مهما حاول من إرضاء من لا يحترم أدب الضيافة .وقد ساهم الخوارج في شمال أفريقيا في " الفتك بالجيوش العربية في غزوة الأشراف بالجزائر سنة 122هـ / 740م ثم في معركة وادي سبو سنة 123هـ / 741م ثم استمرت المعارك لمدة قرن بكامله.

[352] محمد الطالبي ص 102.

دولة برغواطة من قبيل المصامدة: قيل عنهم الكثير معظمه زور وبهتان، أصيبوا بمحاربة من يريد أن يستولي على موقعهم الذي وصفه الحسن الوزان الفاسي بقلمه :

"وهو في الحقيقة زهرة هذه الناحية كلها، كان فيه نحو أربعين مدينة وثلاثمائة قصر يسكنها عدد من قبائل البربر، وثار هذا الإقليم عام 323هـ/ 939م بتحريض داعية مبتدع يدعى حاميم بن منّ الله" (والصحيح أن حاميم المتنبئ هذا ظهر في جبال غمارة قرب تطوان عام 315هـ / 927م، أما الثائر بتامسنا من برغواطة فهو صالح بن طريف سنة 125هـ / 742م كما عند ابن خلدون).

وفي الستينات، وصل إلى الجامعة مجموعة قليلة من الطلبة السوسيين بالرباط ، حيث الخزانة العامة، فكلف الطلبة بإعداد أبحاث تحت إشراف أساتذتهم. كل في ميدانه. وهنا بزر البحث عن الثقافة الأمازيغية عامة، فاقتحمت الميدان ـ بشق الأنفس ـ جماعة قليلة أسست" الجمعية المغربية للبحث والتبادل الثقافي"ومنها الجامعة الصيفية، ثم ظهرت الجوانب التأسيسية :مثل "الشعر المغربي الأمازيغي" للأستاذ عمر أمارير، ثم رسالة الأستاذ أحمد بوكوسLangage et culture populaire au Maroc ثم رسالة الأستاذ علي أزايكو، ثم رسالة الأستاذ بودريس ثم مجلة تامازيغت سنة 1971م برئاسة أوزّين أحرضان، ثم صنع آلة الترقين بالحرف الأمازيغي تيفيناغ في نفس السنة، ثم مجلة الكلمة السوسية.سنة 1971م ثم الرسالة الجامعية "ألواح جزولة والتشريع الإسلامي" سنة 1970م للأستاذ محند العثماني ذك النموذج الفريد بتفتحه في وقته، ثم مجلة تيفاوت.. ثم ظهرت جمعيات وجامعات صيفية .فترسّم السؤال والتساؤل عن حق الهوية الأمازيغية في جميع الميادين. ولا يظنّنّ أحد أن كل هذه المراحل قطعت بسلام.

وورد في كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني المصري، قوله: والقرآن عماد لغة العرب الأسمى، وترجمته عماد اللغات التي ترجم إليها "إن علينا جمعه وقرآنه" أو وقُـرَآنَـه أي التتابع، وقيل بأنه من القرء بمعنى الجمع أو قرن الشيء بالشيء أي التدرج في تربية هذه الأمة علما وعملا حسب تيسير حفظه ابتداء من العرب الأميين وتسهيل فهمه والتدرج في إلغاء عباداتهم الفاسدة فحرم

عليهم ما يضرهم شيئا فشيئا ثم التدرج في فرض قواعد الإسلام كالصلاة قبل الزكاة والصيام قبل الحج[353].

ومما حضر لي في هذا الباب وضعية معظم المسلمين " أما غالب مسلمة اليوم فقد اكتفوا من القرآن بألفاظ يرددونها، وأنغام يلحنونها، في المآتم والمقابر والدور، وبمصاحف يودعونها بركة في البيوت، ونسوا أن البركة العظمى في فهم القرآن وتدبره[354].

ما المقصود بالتغني بالقرآن؟ عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله (ص) **"إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا، وتغنوا به، فمن لم يتغنّ به فليس منا".**

قال ابن كثير: "الغرض شرعا إنما هو التحسن بالصوت الباعث عن نذير القرآن وفهمه والخشوع، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقي فالقرآن يُنزَّه عن هذا ويُجلُّ ويعظم أن يسلك أداءَ هذا المذهبُ، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك"[355].

والآن نرجع إلى الأمازيغ الذين ذهبوا إلى الشرق مثل ميسرة المدغري ومن حقنا أن نتساءل عمن أخذ وهل جاء بالروايات السبع أو العشر أو بالروايات الشاذة أو بالواحدة وأيها جاء بها مثل رواية ورش التي وصلتنا فيما بعد، والتي تمسك بها المغاربة رغم منافسة روايات أخرى، إلى أن قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المغرب بإصدار مصحف جلالة الملك محمد السادس برواية ورش المعروفة في المملكة المغربية.

وهنا نتساءل ،كيف فهمت برغواطة تلك الروايات وتلك التفسيرات وكيف استطاعوا أن يستوعبوا تلك الطاقة اللغوية التي لم تظهر معاجمها إلا بعد ذلك بكثير، بل حتى الحديث المفسر للقرآن لم يجمع بعد ولم ينتشر إلا بعد قرنين، ومع ذلك نص المؤرخون على أن من برغواطة من يحفظ القرآن ويفسره ويؤوله على قرآنهم الخاص.فهل هذا إسلام أو كفر؟.

---

353 مناهل العرفان ص 13.
354 النص المؤسس ومجتمعه ج 2.
355 البناء في كتاب المأثورات مكتبة المنار الإسلامية الكويت ص 52 (السنة 19/ 6 / 2005م).

حوار العامري في شهر الصوم: قال العامري: يا ابن عبد المطلب - يقصد النبيء محمدا (ص) - أشهد بالله الذي لا إله غيره أنّ أمْرك حقٌّ فأنبئني بأشياء أسألك عنها، فقال النبيء " سل عنك" وهي لغة بني عامر، وكان يقول لمن سأله " سل عما شئت وعما بدا لك" فدار بينهما سؤال وجواب من ذلك ما نستدل به على فرض **صوم شهر؟** كرجب عند برغواطة ؟

قال العامري يا ابن عبد المطلب: أخبرني إلى ما تدعو؟ قال: " أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وأن تخلع الأنداد، وتكفر باللاّة والعزّى، وتقرّ بما جاء من الله من كتاب أو رسول وتصلّي الصلوات الخمس بحقائقهن، وتصوم **شهراً من السنة** ..." [356] .(الطبري ج 1 ص457) ولم يعين النبيء شهرا بعينه إلى أن اشتهر شهر الصوم بنزول القرآن فيه ونفهم من هذا النص أن برغواطة لم يبلغهم أحد بتعيين شهر رمضان المعظم.ولذلك لا يستحقون التكفير. بصوم رجب.

وفي **الوضوء** عند برغواطة هو غسل السرة والخاصرتين، ثم الاستنجاء ثم المضمضة وغسل الوجه ومسح العنق والقفاء وغسل الذراعين من المنكبين،ومسح الرأس ثلاث مرات ومسح الأذنين كذلك، ثم غسل الرجلين من الركبتين.هذا ما رواه الملاحظون.فهل عن معاينة أم عن رواية؟ وهو الأقرب إلى الصحة لبعدهم عن تامسنا كما سبق ذكره.؟

والقرآن يقول : "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا..." والسنة هي التي بينت أفعال الوضوء .فمتى وصلت السنة إلى برغواطة؟ وعلى أي مذهب ؟ وهل توفرت وسائل التبليغ في ذلك العهد ؟ وهل من أتى بفرض وترك ندبا أو لم يخبر بسنة يستحق التكفير ؟!

فالآية آمرة بالوضوء عند القيام إلى الصلاة، فكان واجبا في ابتداء الإسلام، ثم نسخ فلما كان يوم الفتح توضأ رسول الله ومسح على خفيه، وصلى الصلوات بوضوء واحد. قال **"إنّي عمدا فعلته ياعمر".**

---

[356] الطبري ج 1 ص457.

والحق أن برغواطة عملوا بما وصل إليهم شفويا من قواعد الإسلام، وربما ترجموا ذلك بلغتهم وعملوا به فاستغنوا بذلك على اختلاف المذاهب الشرقية المتلاطمة بين التأويلات والتفسيرات والباطنيات الإسماعيلية والظاهريات المختلفة، والانطلاقات من اللغة والنحو والتورية والناسخ والمنسوخ، "فقراءة النص وتأويله لم تنزل معه، وبالتالي ليست هي إلهية، وإنما هي إنسانية، والدليل على ذلك ما توفر بين أيدينا من معارف وعلوم ومناهج تسمح لنا في إعادة قراءة النص المقدس لأنه حر مرتبط بالحياة"[357].

التعدد في تشريع برغواطة: ولنستمع إلى غزو إدريس الأول سنة 172هـ /788م "اتخذ جيشا كثيفا من وجوه زناتة وأوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم وخرج غازيا بلاد تامسنا ثم زحف إلى بلاد تادلا،.وكان أكثر هذه البلاد لا زالوا على دين اليهودية والنصرانية، وإنما الإسلام بها قليل، فأسلم جميعهم على يده"[358].

من حقنا أن نناقش هذا النص ونلاحظ مايأتي:

1- ورد في هذا النص أن المولى إدريس الأول جمع القبائل المذكورة في زمن قليل ومدته أربع وستين شهرا في المغرب، فكيف استطاع في هذه المدة القصيرة أن يجمع ما حول واليلي من القبائل ؟ وأن يكوّن العدة والعدد اللازمين لغزو تامسنا وما ذكر من جبال منيعة؟ وسهول واسعة وبرغواطة ما زالت على أشدها؟ ثم كيف استطاع إخضاع قبائل وهم أغلبية متدينة باليهودية والنصرانية كما اعترف بذلك، فصارت مسلمة وحسن إسلامها في هذه المدة القصيرة ؟.

2- ورد في هذا النص أن معظم تامسنا وهي السهول الغربية كلها كان دين أغلب سكانها يهوديا ونصرانيا، وهذا يزكيه ما قيل في متنبئهم من أصل شمعون بن يعقوب بن إسحاق فيما يتعلق بيهودية فيهم، واليهود يتوضؤون، ولكن ما هي كيفية وضوئهم أولا؟ وما هي كيفية وضوء برغواطة؟ وما هو المأخوذ من الوضوءات الثلاث الإسلامي واليهودي والنصارى؟ وبعد ذلك يمكن أن نميز ما اتهمت به برغواطة من زيادة أونقص في الوضوء، فقد ورد في إحدى الغزوات أن المسلمين يشتطون في

---

[357] سامر إسلامبولي ص 12.
[358] (الاستقصا ج 1 ص 156.

وضوئهم فقال النبي (ص) "**ويل للأعقاب من النار**" فما هو النقص الذي لا حظه الرسول في تلك الغزوة فصححه؟ نفهم من ذلك إهمالهم للأعقاب مؤخر القدم.

3- مجتمع برغواطة مصمودي أمازيغي لغة ودينهم كما ورد إلا قليل"فأسلموا جميعهم على يده" مع العلم أن حروبا طاحنة كانت بين برغواطة وملوك فاس إلى أن انتهت بمعاهدة سلمية للتفرغ إلى حروب زناتة، فكيف يقبل ذلك كله وسياتي المرابطون يحاربون برغواطة بدعوى أنهم لم يسلموا؟ فأين عمل إدريس الإسلامي في وطن برغواطة تامسنا ؟ كما ذكروا في النص المذكور؟ فإذا صدقناه فيجب أن نكذب المرابطين ونتهمهم بغزو المسلمين مثلهم، وهؤلاء بدورهم يقولون بالقضاء على برغواطة، فإذا بالموحدين ينهزمون أمام قوة برغواطة إلى حين ادعائهم القضاء عليهم، فإذا بالمرينيين يشاركونهم في انتصاراتهم في الأندلس،.وهذه كلها نماذج من تناقضات ماضينا، والشك في ثقة بعض الرواة.

4- والحق أن ترحيب إمارة أوربا الأمازيغية بمولاي إدريس الأول - زيادة على محبتهم بأصله وفصله - فإن لهم في توليته الرمزية مآرب أخرى، منها قطع الصلة باستنزافهم من طرف السلطة المركزية في بغداد، ومنها أن حمايتهم لإدريس لكي لا يتهموا كما العادة بالردة عن الإسلام وعن أهله، بل هم آووا ونصروا من هو أحق بالخلافة من هارون الرشيد وبني العباس الذين ورّثوا العمّ ! وبذلك صار أمر الرشيد خارج طاعة المغاربة، فصار الشرق شرقا، والغرب غربا بعد إعلان إمامة الأمازيغ ببيعتهم لمولى إدريس.وقليل من أدرك عمق هذه الفكرة.

أما انتشار اليهودية في المغرب فهي أكثر مما ذكر، وحتى في سنة 921هـ كان " في مدينة **تادنيست** بحاجة مائة منزل لليهود، ومعظم السكان من اليهود هم الذين يملكون دار السكة ويضربون لسكان المدينة نقود الفضة. وقد خربت تادنيست عام 918هـ وفر سكانها إلى الجبال وبعضهم إلى مراكش، لإن جيرانهم من الأعراب تواطؤوا مع قائد ملك البرتغال المقيم بأسفي وكان هؤلاء الأعراب يريدون تسليم المدينة للنصارى، فاتفق السكان جميعهم وغادروها ولم يعد يسكنها غير البوم والغربان"[359]. فكيف خفي

[359] الحسن الوزّان وصف إفريقيا ج 1 ص 78.

كل هذا عن صاحب الاستقصا؟ بفرض الإسلام بغزوة المولى إدريس الأول في أقل مدة؟ والمنطق يفرض أن الديانات السماوية كانت كلها تتعايش في دولة برغواطة.

"وكان الحسين بن زكرويه يزعم بأنه الإمام المهدي الذي تروج الدعوة الإسماعيلية باسمه لكن أهل دمشق لقبوه بالقرمطي وسموا أتباعه بالقرامطة تحقيرا لهم لإبعاد الناس عنهم وعن عقيدتهم .."[360]. (نفس التحريف في باربط البورغواطيين وكونهم يهودا ينتسبون إلى نبي الله يعقوب والغاية تنفير الناس منهم ولمحاربتهم).

"وهذه رواية أخرى جاء على ذكرها النويري والطبري والمنصوري حول ادعاء آل زكرويه إمامهم منذ بدء حركتهم في بلاد الشام، وأن الحسين بن زكرويه كان يصف نفسه بالمهدي المنتظر والقائم بأمر الله، الحاكم بحكم الله، الداعي إلى كتاب الله "[361]. إن التهمة التي حوربت بها برغواطة هي نفس ما حوربت بها الحركات الإسماعيلية وأصل هذه من القرامطة، ومن الصعب جدا أن يصدق العقل ما رواه خصوم القرامطة، وخاصة العباسيين الذين "اتهموهم بالإلحاد والثورة ضد الدين والشرع".

"وذكروا أن هذه التشنيعات ألصقها بالقرامطة **علماء أهل السنة** الذين ناصبوهم العداء، ووجهوا إليهم أقسى الفريات والتهم، وذلك تنفيذا لتعاليم الخلفاء العباسيين الذين كانوا يخشون انهيار دولتهم على يد القرامطة أو الإسماعيلية"[362].

والحق أن ماكان يروج في الشام في ذلك العهد يندى له الجبين،" بلغت عدة المسلمين المقبوضين عند الروم ثلاثة آلاف رجل وخمسمائة امرأة فأمر الواثق الخليفة ببغداد بفدائهم .ووجه من يمتحن الأسرى من المسلمين، فمن قال منهم: "**إن القرآن مخلوق، وإن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فدي به، ومن لم يقل ذلك ترك في أيدي الروم**"[363].

الصلاة عماد الدين والزكاة روحه: "صلوا كما رأيتموني أصلي" ونحمد الله على اتفاق المسلمين على ما هي عليه في مغربنا، وإلا فقد مرت في حالات بسبب تعدد الرواة واجتهادات في تفسير الآيات الكريمة، فإذا افترضنا عدم وصول كل هذه

[360] كتاب القرامطة بين المد والجزر ط دار الأندلس ص 374 الدكتور مصطفى غالب.
[361] نفس المرجع ص 442.
[362] نفس المرجع ص 445.
[363] الطبري ج 5 ص 285.

الخلافات التي عند القرامطة إلى برغواطة بالمغرب ،فإننا نجد في صلواتهم قليلا مما كان في الشرق الأوسط، مما يؤكد لنا أن برغواطة إما أنها لم تتوصل بالآيات في سورة النساء من قوله تعالى "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة. إلى كتابا موقوتا"[364]. بينما وصلتهم الأحاديث من أحزاب شيعية متعددة، أو خوارج متطرفة، أو مرجئة متوسطة وحتى إذا وصلتهم الآيات الكريمة كيف ترجمت لهم إلى الأمازيغية؟ ولها تفسيرات بالعربية في مهبط الرسالة ومن أقرب الناس إلى الرسول (ص) من عدد الركعات في السفر والحضر، وعددها في التقصير، وفي حالة الخوف والأمن.وكيفية الصلاة في الجهاد أمام العدو.لقوله تعالى: "وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ..."[365].

ولذلك قلت الحمد لله الذي وفق المغاربة إلى اجتناب الخلافات، كما أن لمذهب مالك دورا كبيرا في سد الباب أمام التأويلات، والحق أن مسئولية التبليغ تقع على المسئولين.

ويكفي أن نشير هنا إلى أن فرنسا وحدها شهدت في الموسم الأدبي لسنة 1991م ثلاث ترجمات لكل من: رينه خواي، وأندريه شوراكي، وجاك بيرك ووصل عدد ترجمات القرآن باللغات الأروبية إلى 47 ترجمة ..ويرى محمد فريد وجدي أن "وضع القيود غير المعقولة في مسألة نقل القرآن يقضي عليه بهزيمة منكرة، تقع نتائجها علينا وعلى أعقابنا قرونا طويلة، ذلك لأن من شأن هذه القيود أن تقضي بحبس الإسلام في الدوائر العربية"[366].

من نتائج احتكار القرآن :

1- إن هذا الاحتكار يخالف ما فعله الرسول (ص) في رسائله إلى المرتدين وإلى الكفار وإلى أهل الكتاب من اليهود والمسيحيين، وكلها لا تخلوا من الآيات التي يبلغ معناها بالترجمة حسب لغة المرسول إليه، بالعربية إلى المرتدين بالجزيرة وبالعبرية، إلى اليهود، وبالسريانية إلى المسيحيين، وبالفارسية إلى الفرس، وبالقبطية إلى المصريين، وبالحبشية إلى إفريقيا السوداء، ولا ندري ما حظ برغواطة حسب رسالة

[364] سورة النساء الآيات 101-103.
[365] سورة النساء الآية 1 + 2.
[366] حمد صالح البنداق عن ذاكر ص 74.

الرسول المسلمة إلى واسمين ضمن سبعة الرجال الركراكة؟ ولماذا أختفي أي أثر لذلك دون الرسالات الأخرى؟...

2- ومن القيود المفروضة على القرآن، ما ورد من تفسيرات الآية الكريمة " لا يمسُّه إلا المطهَّرون "[367]. والمراد بالقرآن ههنا المصحف لرواية مسلم عن ابن عمر أن رسول الله (ص) نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو؟ أضف إلى هذا النهي قلة المصاحف المكتوبة في ذلك الوقت، والدليل على ذلك أن مجهودات الخليفة الثالث سيدنا عثمان لم يتجاوز عدد المصاحف أربعة.

3- أما القيود الواردة في تفسير الآية الشريفة، فإذا كانت ضرورية في ذلك لغيرة المسلمين على القرآن، فإنها الآن نكتفي باحترام قدمها التاريخي.

4- وفيما يخص الغرب الإسلامي وخاصة برغواطة، فليس من المبالغة إذ قلنا إنهم لم يتوصلوا بما كان ضروريا حتى من مذهبنا المالكي بما فيه التبليغ، وقد " روى الإمام مالك في مؤطئه عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، أن الكتاب الذي كتبه رسول الله (ص) لعمرو بن حزم أن لا يمس القرآن إلا طاهر.."[368] ويزكي ذلك سبب إسلام عمر.

5- والحق أن هناك تفسيرات تبيح نشر الكتاب الكريم، فعن ابن عباس أنه يعني " الكتاب الذي في السماء، والمطهرون يعني بهم الملائكة، عند الله، أما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس، والمنافق الرجس، وفي قراءة ابن مسعود: ما يمسّه إلا المطهرون، ولما زعمت كفار قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين رد عليهم القرآن " وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون، إنهم عن السمع لمعزولون"[369]. ولهذه الأقوال كلها لا ضير في مبالغة المسلمين على المصحف الكريم، والمحافظة عليه حتى لا يتعرض لنقص أو زيادة أو إهانة وخاصة قبل ظهور الطباعة لجتانبيرك التي حررت الإنجيل من احتكار الكنيسة، والآن ساهمت في نشر المصحف الكريم في العالم كله.

[367] سورة الواقعة الآية 79.
[368] ابن كثير ج 4 ص 268.
[369] سورة الشعراء الآية 21.

وقد ورد في الحوار العجيب الذي جرى بين عبد الله بن سلام الذي ارسله اليهود، وهوأكبر علمائهم، ليسأل النبيْ محمد بن عبد الله، عما عندهم من مسائل، ليحاربوا هذا النبيْ. وإليك جزءا من هذا الحوار"روي عن عبد الله بن عباس قال: لما بعث النبي (ص) كتب كتابا إلى يهود خيبر **فقال: ياجبريل، ما الذي أكتبه إليهم** ؟ فأملاه جبريل فقال أكتب.

كتاب الرسول إلى يهود خيبر:

بسم الله الرحمان الرحيم من محمد رسول الله إلى يهود خيبر، أما بعد :فإن الأرض لله يؤرثها من يشاء من عباده، والدين الخالص لله والعاقبة للمتقين، والسلام على من اتبع الهدى وأطاع الملك الأعلى، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم."

فلما توصلوا به أتوا به عالمهم أشماويل: عبد الله بن سلام وقرأه عليهم ثم قال لهم قد علمتم أن في التوراة علامات تعرفونها، وآيات لا تنكرونها، تظهر على يد محمد الذي بشر به موسى بن عمران، فإن يك هذا أطعناه وهو رجل أمي لا يقرأ ولا يكتب وأنتم بين أظهركم التوراة وتكتبون وتقرأون، فإني قد أستخرجت من التوراة 1404 مسألة من غوامضها، فإن أجاب عنها فهو الذي بشر به موسى، فإن عجز لا نتبعه".

حوار عبد اللـه بن سلام مع الرسول: وصل إلى المسجد فقال "السلام عليك يا محمد أنا أشماويل بن سلام، والسلام على أصحابك الأعلام، فقالوا وعلى من اتبع الهدى السلام، فأمره النبي (ص) بالجلوس في المسجد، فقال له ما تريد يا ابن سلام ؟ فقال يا محمد: أنا من علماء بني إسرائيل، وممن قرأ التوراة، وفهمها وعلمها، وأنا رسول اليهود إليك، ومعي رسائل قد سألوك أن تبينها لهم وأنت من المحسنين.

فقال النبي: قل ما بدا لك فقد أخبرني بها جبريل عن الملك العلام، وإن شئت أخبرتك بها قبل أن تفوه بالكلام، فقال أعلمني بها لكي ازداد يقينا، فقال يا ابن سلام: لقد جئتني ب 1404 مسألة استخرجتموها من التوراة ونسختها بخطك.وقال صدقت يا مجمد وأنت الصادق الأمين

يا محمد: أنت نبي أم رسول الله؟ فقال إن الله جل وعلا بعثني نبيا ورسولا وخاتم النبيئين أما قرأت في التوراة " محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم؟ تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا".

قال: صدقت يا محمد، أمكلم أم موحى إليك ؟ قال يا ابن سلام " إن هو إلا وحي يوحى ينزل به جبريل الأمين عن رب العالمين" قال صدقت يا محمد فأخبرني كم كتابا أنزل الله تعالى ؟ قال" أنزل مائة كتاب وأربعة كتب خمسين صحيفة على شيت، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل الزبور على داود، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد." قال" صدقت يا محمد، لم سمى الفرقان فرقانا؟ قال: "لأن آياته وسوره مفرقة لا كالصحف والتوراة والإنجيل " قال صدقت يا محمد، فهل من القرآن شيء من الصحف ؟ قال نعم قال وما هم يا محمد؟" فقرأ النبي (ص) "قد أفلح من تزكّى وذكر اسم ربّه فصلّى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخر خير وأبقى، إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى" قال صدقت يا محمد.

فأخبرني ما ابتداء القرآن وما ختمه؟ قال:"ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم، وختمه صدق الله العظيم " قال" قال صدقت يا محمد.فأخبرني عن خمسة خلقها الله بيده. قال: " جنة عدن خلقها الله بيده، وشجرة طوبى خلقها الله بيده، وصور آدم بيده، وبنى السماء بيده، وكتب الألواح لموسى بيده، قال: صدقت يا محمد،.قال: فأخبرني من أخبرك بما أخبرت ؟ . قال:" أخبرني جبريل " قال: صدقت يا محمد عمّن؟ قال: عن ميكائيل. قال: عمّن؟ قال" " عن إسرافيل" قال: عمّن؟ قال: " عن اللوح المحفوظ " قال: عمّن؟ قال: " عن القلم" قال: عمّن؟ قال: " عن ربّ العالمين " قال: وكيف ذلك؟ قال: " يأمر الله فيكتب على اللوح وينزل اللوح على إسرافيل، ويبلّغ ميكائيل جبريل " قال: صدقت يا محمد.

فأخبرني عن جبريل في زي الذكران هو أم في زي الإناث ؟ قال: " في زي الذكران " قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما طعامه وشرابه؟ قال: يا ابن سلام ،طعامه التسبيح وشرابه التهليل " قال: صدقت يا محمد، فأخبرني ما طوله وعرضه، وما صفته وما لباسه؟ قال ياابن سلام: " الملائكة لا توصف بالطول والعرض، لأنهم أرواح نورانية، لا أجسام جثمانية، ضوؤه كضوء النهار في ظلمة الليل، له أربعة وعشرون جناحا

خضراء مشبكة بالدر والياقوت، مختومة بالدر واللؤلؤ والمرجان ،عليه وشاح، بطانته من استبرق وهي تأخذ بالبصر، وطهارته الوقار وإزاره الكرامة ووجهه كالزعفران، لا يأكل ولا يشرب، ولا يسهو ولا يملّ ولا ينسى، وهو قائم بأمر الله تعالى إلى يوم القيامة".

قال: صدقت يا محمد.فأخبرني عن بدء خلق الدنيا وأخبرني عن خلق آدم قال: " نعم، إن الله سبحانه وتعالى تقدست أسماؤه، وجل ثناؤه، ولا إله غير، خلق آدم من طين بيده، وخلق الطين من الزبد، وخلق الزبد من الموج، وخلق الموج من الماء.

قال: صدقت يا محمد .فأخبرني عن آدم لم سمي آدم ؟ قال: " لأنه خلق من طين الأرض وأديمها" قال: صدقت يا محمد.قال: فآدم خلق من طينة واحدة أم من الطين كله " قال: " يا بن سلام :بل خلق من الطين كله، ولو خلق من طينة واحدة لما عرف الناس بعضهم بعضا ولكانوا على صورة واحدة " قال: صدقت يا محمد. فهل لذلك مثل في الدنيا ؟ قال: " نعم أما تنظر إلى الدنيا محشوة من تراب أبيض وأحمر وأصفر وأغبر وأسود وأزرق، وفيه عذب وملح ولين وخشن ومتغير ومنتن، وكذلك بنو آدم "

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني لما خلق الله آدم، من أين دخلت فيه الروح؟ قال: "دخلت من فيه" قال: صدقت يا محمد. أدخلت فيه رضاً أم كرها ؟ قال: " بل أدخلها الله كرها وأخرجها كرها".

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني ما قال الله لآدم ؟ قال يابن سلام : " قال الله لآدم [اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين] قال: صدقت يا محمد. قال:فأخبرني كم حبة أكل من الشجرة ؟ قال: " حبتين " قال: وكم أكلت حواء؟ قال: " حبتين" قال: صدقت يا محمد. فأخبرني ما صفة الشجرة وكم غصنا كان لها؟ وكم كان طول السنبلة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان للشجرة ثلاثة أغصان، وكان طول كل سنبلة ثلاثة أشبار " قال وكم حبة كانت في السنبلة ؟ قال: " خمس حبات" قال: صدقت يا محمد. قال وكم سنبلة فرك ؟ قال: "فرك سنبلة واحدة " قال: صدقت يا محمد. فأخرني عن صفة الحبة كيف كانت؟ قال يا ابن سلام : " كانت بمنزلة البيض الكبار " قال: صدقت يا محمد.

فأخبرني عن الحبة التي بقيت مع آدم، ما صنع بها؟ قال: " نزلت مع آدم من الجنة فزرعها في الأرض، فتناسل منها الحب في الأرض وبورك فيها "

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن آدم أين أهبط من الأرض قال: "أهبط من أرض الهند " قال: صدقت يا محمد. فأين أهبطت حواء؟ قال " بجدة " قال: صدقت يا محمد فأين أهبطت الحية ؟ قال " بأصبهان" قال: صدقت يا محمد. فأين أهبط إبليس؟ قال: "ببيسان" قال: صدقت يا محمد

ما أغزر علمك وما أصدق لسانك! فأخبرني ما كان لباس آدم لما أهبط من الجنة ؟ قال : "لبس ورقات، ومن ورق الجنة، وكان متشحا بالواحدة متّزرا بالأخرى معتّما بالثالثة" قال: صدقت يا محمد. فأخبرني بأي مكان اجتمعا ؟ قال: "بعرفات" قال: صدقت يا محمد. فاخبرني عن أول بيت وضع للناس، قال: " بيت الله الحرام".

قال: صدقت يا محمد. فأخبرني عن آدم، خلق من حواء أم حواء خلقت من آدم؟ قال: "يابن سلام بل حواء خلقت من آدم، ولو خلق آدم من حواء لكان الطلاق بأيدي النساء"، قال: صدقت يا محمد.

قال ابن سلام : فمن كُله خلقت أم من بعضه ؟ قال عليه الصلاة والسلام " خلقت من بعضه، ولو خلقت من كله لكان القضاء في النساء، ولم يكن في الرجال، قال: صدقت يا محمد. فمن باطنه خلقت أم من ظاهره ؟ قال: "من باطنه ولو خلقت من ظاهره لكشفت النساء عن وجوههن كالرجال وما استترن" قال: صدقت يا محمد، فمن يمينه خلقت أم من شماله ؟ قال صلى الله عليه وسلم " من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان حظ الأنثى مثل حظ الذكر، وشهادتها كشهادته" قال: صدقت يا محمد. فأخبرني من أي موضع خلقت منه ؟ قال: "من ضلعه الأيسر" قال: صدقت يا محمد.

فأخبرني من كان يسكن الأرض قبل آدم؟ قال : "الجن" قال فبعد الجن ؟ قال :" الملائكة " قال فبعد الملائكة قال :"آدم وذريته" قال: صدقت يا محمد.كم بين الجن والملائكة وآدم؟ قال: "سبعة آلاف سنة" قال: صدقت يا محمد. كم بين الملائكة وآدم ؟ قال: "سبعة آلاف سنة" قال: صدقت يا محمد. هل حج آدم بيت الله الحرام؟ قال: "

نعم" قال يا محمد من كور رأس آدم؟ قال: "جبريل كوره" قال: صدقت يا محمد. هل اختتن آدم؟ قال: "نعم ختن نفسه بيده"[370].

هذا الحوار حسب النص جرى في المدينة، فقد يكون من أول الحوارات في الإسلام المباشر، ومن تتبع هذا الحوار الطويل أكثر من حزب من القرآن فسيجد فيه الكثير من المقبول والمردود، وهل اطلعت برغواطة على ذلك ؟ عن طريق من أخذ عن عبد الله بن عباس وعنه استمدت الفرق ما يناسب اتجاهاتهم؟.

وهذا هو بيت القصيد، وهل تعريب الأمازيغ هو الذي يشغل العرب قديما وحديثا؟ أم التمكن من خيراته، أو شغل الثوار بغزوه تخفيفا على السلطة المركزية بالشرق؟.

وقد كان الشرق كله متلاطما ولا علاج لفتنه إلا بتصدير الثوار لمحاربة الأمازيغ في شمال أفريقيا باسم الدين والدفاع عنه ضد ردة برغواطة، وتارة لفرض لغة قريش، وطورا لمحاربة عنصريتهم واستقلالهم، عن دمشق أو بغداد، وأخيرا قرروا أن البربر قد ارتدوا للمرة 12 مرة وهم كفار.

ولا عجب، فقد أنكروا فضائل المغرب، كما أنكروا مساهمة الفرس في بناء العربية وتأسيس الدولة العباسية، وما قدمته مدينة فاس لا يقل عما قدمته مدينتي البصرى والكوفة في العراق، والغاية هي فهم معاني القرآن مباشرة، وذلك ما يرفضه الشرق، مع أن العقيدة لله وحده، وهي مقبولة بجميع ألسنة البشر."

فإذا كان ياكوش صنما مجسدا فلا بد أن تكون له نعوت وصفات، فإذا كان هرماً مبنيا فمن المنطق أن يحافظ التداول على مكانه في السهول المغربية الأطلسية حيث دولة برغواطة، ولا بد أن يشتهر مكان تقديسه ومحل طقوسه، ولكن ذلك لا وجود له، فإذا كان في الجبال فهناك فقط كلمة ربما لها صلة "ب:أكوش" ومؤنثه "تاكوشت" والكلمة منتشرة في المغرب كله وتعني "جبلا مهندسا طبيعيا على شكل هرم" ومؤنثه تاكوشت، ومصطلحه الهندسي هو أورير، في نفس المواصفات ما عدا في الارتفاع، وكثيرا ما تتخذ " تاكوشت هذه "مقبرة مقدسة للقبيلة، أو تبنى عليها مدرسة أو تبنى عليها قبة صالح، وتقام فيها معاريف في المناسبات الدينية.في كثير من جهات المغرب وما على المنتبه إلا أن يمعن في ذلك ؟

[370] خريدة العجائب وفريدة الغرائب ص 261.

فمعلومات ابن حوقل عن عقيدة البرغواطيين تنقسم إلى قسمين، ما سمعه من أخبار البرغواطيين الأوائل وادعائهم النبوة، ويؤخذ بتحفظ شديد، ثم ما رآه وعاينه من حياة البرغواطيين وتقاليدهم وشمائلهم وأخلاقهم والثقة فيه أكثر"[371].

(وأما تقديس يوم الاثنين عند برغواطة، فيرجع إلى ولادة الرسول، وإلى يوم نزول الوحي عليه[372] (الطبري ج1 / 528) وهناك منظومة في سوس بالأمازيغية يرددها الأطفال، وهم يراقبون بزوغ الشمس يوم عيد المولد، ويركزون فيهاعيونهم عند بزوغها فتتراءى لهم متراكدة، وفسر لهم تراقص الشمس بفرح ذكرى يوم مولد الرسول (ص) ومنها:

مرحبا يا تامغرا نـ رّسول المولودي

يلول ڤيس يژّولاّ ڤيس يسكر ڤيس تامغرا

فكيف توصلت بادية سوس بذكرى مولد الرسول؟ وعن طريق المؤرخ الطبري؟ ألا يرجع تقديس يوم الإثنين من طرف برغواطة إلى ما توصلوا به من يوم ولادة الرسول الذي هو يوم الاثنين حسب ما توصلوا به، بينما فضل غيرهم يوم الجمعة حسب ما لقن لهم كذلك، وما ذنب برغواطة إذا كانوا يحتفلون بيوم لذكرى تاريخية أو لموسم اشتهروا به، أو لانتصار يحتفل به، والمؤرخ لا يعرف السبب، وإنما سجل ما كان مخالفا لما عرفه، كتفضيل الأمم بعض مقدساتها في أيامها.وكثيرا ما تنتقل عادة أصيلة إلى أخرى ليست لها، ومثال ذلك **تاغونجا عروسة المطر** عند برغواطة إلى عاشوراء وفي **تونس بابانويل** إلى فاتح محرم السنة الهجرية مؤخرا.

اختلف المؤرخون في بداية ظهور برغواطة بعد اتفاقهم على وجودها واستمرارها في وطنها المغرب لعدة قرون.

"وقعت معكرة في حصن يسمّى أزكّي (جمعه إزكّويان مكان مقعر) قتل فيه يحيى بن عمر وقتل فيه بشر كثير وهم يذكرون بزعمهم أنهم يسمعون في ذلك الموضع أصوات المؤذنين عند أوقات الصلوات، والآن يحترمونه ولا يدخلها أحد منهم" ؟ إن خيال الصحراويين أوسع من الصحراء نفسها، ولكن لماذا توقفت تلك الكرامات حاليا؟

[371] مغربيات : محمود إسماعيل ص44.
[372] الطبري ج1 ص 528 .

ولماذا لا يستمر الآذان إلى الآن؟.وقديما قيل: "إذا كان في الشرق أنبياء، ففي المغرب أولياء" أنا لا أنكر الكرامات لأهلها، ولكن علامات الاستفهام ضرورية حول ما ذكر وما سجل:ففكر اليوم لم يعد يقبل كل ما قيل. وكان عبد الله بن ياسين مزواجا.

ثم هل ذلك خاص به أو أباحه لغيره، لكننا لم نعثر بعد على من ادعى منهن من المطلقات ولا من أصهاره، ولو واحدة حملت منه، كما أن كثرة الطلاق يعرضه للانتقادات، وهل ما يفعله من باب نكاح المتعة وفيه ما فيه؟ أو أنه على مذهب شاذ.

أما إلزام قبيلة صنهاجة بالسنة والجماعة وجميع من معه من الجيوش على حضور كل صلاة بل كل ركعة فعلى الأقل يلزم لتطبيق ذلك أن يكون هناك مراقبون بل موظفون يحصون عدد من تخلف عن الصلاة ومن تأخر عن الركعة الأولى أو الثانية أو الثلثة أوالرابعة، ثم القيام بتنفيذ عدد الضربات بدون زيادة ولا نقص. كما أن المراقبين خارج الصلوات في وقتها؟وعند الخلاف لا بد من الشهود وعدالة الشاهد، فقد يستمر ذلك طيلة النهار حول ما طرأ في صلاة واحدة، فكيف بإحصاء كل ما وقع في يوم بكامله؟ أنا لا أستهزئ بما يبرر به المسؤولون أفعالهم، سدا للمؤاخذات فيستمر التاريخ.

أما فتوى الفقيه في محاربة برغواطة فهي استمرارية منذ الانطلاقة في أقصى الجنوب، ومن الطبيعي الاستمرار ما دامت جيوشه أقوى من المستضعفين.كما أن هناك من رحب كما هناك من حاول المقاومة وهو ضعيف، لأن برغواطة استنفذت قوتها في مقاومة ملوك فاس، ويظهر أن عقد الهدنة معهم كان بسبب تطلعات المرابطين من الجنوب.

هناك من لا حظ أن غزو شمال المغرب من مدخل سجلماسة بعدد ذلك الجيش (2200) من الصعوبة بالمكان، فرجح البعض دخولهم عبر بلاد لمطة (أيت باعمران) القريبة من المحيط، حيث توجد تابريدا والمياه، بالإضافة إلى معرفة عبد الله بن ياسين بجزولة وموقع شيخه سيدي واكاك.فدخول الشمال من أكلميم أضمن للمرور.وعلى كل حال فهناك أضطراب في بعض ما أورده ابن عذاري بالنسبة لغيره.

حصار دولة برغواطة: " قال زمّور بن صالح: كان عسكره يناهز الثلاثةآلاف من برغواطة وعشرة آلاف من سواهم "وكان لملوك العدوتين في غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم آثار عظيمة من الأدارسة والأموية والشيعة وغيرهم"[373].

ومما استحل به البعض قتل برغواطة " أنهم قتلوا المرسول إليهم والمرسولون لا يقتلون، ولذلك ثم غزوهم " وما أكثر المرسولون المقتولون بين الدول، ومن ذلك قتل المعتمد بن عباد لسفير فيرديناند بإسبانيا " وهذا السفير يهودي وكان وزيرا لابن فرديناند، فتكلم بين يدي المعتمد ببعض ما جاء به من عند صاحبه، فأيأسه ابن عباد من جميع ذلك، فأغلظ له اليهوديّ في القول، وشافهه بما لم يحتمله، فأخذ ابن عباد محبرة كانت بين يديه، فأنزلها على رأس اليهوديّ، فألقى دماغه في حلقه، وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة.

واستفتى ابن عباد الفقهاء لما سكت عنه الغضب، عن حكم ما فعله باليهودي، فبادره محمد بن الطلاّع بالرخصة في ذلك لتعدي الرسول حدود الرسالة إلى ما يستوجب له القتل، إذ ليس له أن يفعل مثل ما فعل، وقال للفقهاء حين خرجوا: إنما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو"[374]. (البيان المغرب ص 131)

وكانت هذه القضية هي التي دفعت بالفنْش " أن يقسم بآلهته ليغزونّ بإشبيلية.. وعاث في بلاد المسلمين وخرب ودمر، إلى قبالة قصر ابن عباد، فكتب إليه زاريا عليه كثر مقامي في مجلس الذبان، واشتد عليّ الحر، فألقني من قصرك بمروحة أروّح بها على نفسي، وأطرد بها الذباب عني، فرد عليه الملك ابن عباد، قرأت كتابك، وفهمت خيلاءك وإعجابك، وسأنظر لك في مراوح من **الجلود اللمطية** (الدرقات الجلدية الباعمرانية المعروفة باللمطية) في أيدي الجيوش المرابطية تُروّح منك لا تروح عليك إن شاء الله"[375].

للرسول حرمة ما لم تتعد الحدود، فغضبة ابن عباد بسبب إصرار السفير على السماح لزوجة ابن فيرديناند (ملك إسبانيا) أن تلد في جامع قرطبة بإشارة القسيسين، ولا يقبل

---

[373] الاستقصا ج2 ص 17.
[374] البيان المغرب ص 131.
[375]البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ص131.

غيره من المعتمد، فمعناه إهانة المسلمين، ولما رفضوا وقعت معركة الزلاقة، وذيولها المستمرة لمدة ثمانية قرون، بسبب غضبة الملكين معا : فرديناند وابن عباد.

أما المرسول من المرابطين إلى دولة برغواطة فهو يطلب منهم الاستسلام التام بدون قيد ولا شرط، فتعدى الحدود فقتل، فكانت النتيجة استمرار المعارك لمدة طويلة، مما كلف جهودا لو وجهت إلى غير ما وقعت فيه لتغير وجه التاريخ، ولكن " لو" لا محل لها من التاريخ، والمهم من الفتوى إقناع المعارضة، والعهدة على المفتي. والمجالس مثل هذه أحوج إلى الحكماء وليس بمثل فتوى ابن الطلاّع، وإن كانت هذه المرة لمد عمر الإسلام في الأندلس إلى حين.

وفي التاريخ مشاكل يندى لها الجبين خلقها سفراء السوء منها: ورد في الترجمانة الكبرى أن الباشدور التركي قدم برسالة من السلطان عبد الحميد إلى أمير المؤمنين بالمغرب، أشاعوا فيها ما ليس فيها لصالح المغرب، ومع ذلك أكرمه أمير المؤمنين ورده قائلا لكاتبه السيد محمد بن عثمان" إذا بلغت للاسطانبول، فعرفهم أن هذا الرسول كذاب ولا يصلح للسفارة بين الملوك" وقال الزاياني: ولما وصل ذلك السفير ونحن على ظهر السفينة، إلى جوار بلاده" سرّح لسانه بالشتم في دولة المغرب وأهله، وهو يسمعني ذلك فواعظته المرة بعد المرة، ونهيته فلم يرجع عن فعله. فقمت إليه وأخذت بلحيته وقبضه خدامي وهو يصيح، فقلت والله يا ملعون لأتقرب بذبحك قبل الموت، إلى أن سرحوه من يدي وخلصنا من تلك الورطة"[376]. وها أنت ترى هذا النموذج كيف أراد أن يوقظ الفتنة.

وسفير فرنسا ديفال إلى الداي حسين بالجزائر الذي تعدى حدود حرمة المهنة فكان رد حسين بضرب السفير بالمروحة، فتطورت المشكلة إلى احتلال الجزائر، وهكذا إذا أسندت الأمور إلى غير أهلها فانتظر الساعة، أي انتظار نهاية المشروع وليس ساعة القيامة.

أما تفسير مدلول بلغواطن " بالمنحرفين "فذلك من فتاوي الخصوم، وهي على كل حال، أخف مما رماهم به غزاتهم، وهاهو الشيخ أبو محمد بن تيسينت بأغمات انتدب ثلاثة من تلاميذه لقتال برغواطة بتامسنا. فقتل الأول في المعركة، وهو داود بن يملول من صنهاجة، فقدم يحيى بن ويدفا الزناكي، فقتل، فقدم يعلى بن مّزلين

---

376 الزاياني الترجمانة الكبرى ص 86.

الركراكي باني رباط شاكر"؟[377]. ولا يبعد أن شيخ أغمات هو الذي أفتى بإطلاق كلمة المنحرفين على برغواطة بتامسنا.

ومحاولة احتلال سهول المغرب الأطلسية ليس حديث عهد، فقد انطلقت حدود اللمس الروماني من مصب أم الربيع حسب البحث إلى الرباط، إلى فاس إلى الشرق..

.وهذه رسالة رغبات الخليفة هشام بن عبد الملك الأموي منها: "أما بعد: فإن أمير المؤمنين لما رآى ما كان يبعث به موسى بن نصير إلى عبد الملك رحمه الله تعالى ! أراد منك مثله، وعندك من **الجواري البربريات المالنات للأعين، الآخذات للقلوب، ما هم معوز لنا بالشام وما والاه، فتلطف في الانتقاء وتوخّ أنيق الجمال، وعظم الأكفال، وسعة الصدور، ولين الأجساد، ورقة الأنامل، وسبوطة العصب، وجدالة الأسوق، وجثول الفروع، ونجالة الأعين، وسهولة الخدود، وصغر الأفواه، وحسن الثغور، وشطاط الأجسام، واعتدال القوام، ورخامة الكلام، ومع ذلك فاقصد رشدة المولد، وطهارة المنشأ، فإنهنّ يتخذن أمهات أولاد، والسلام**".

ومن رغب في المزيد فليراجع مدونة سحنون ليلاحظ فتوى كبار الفقهاء وأشدهم ورعا[378]. فكيف لا يثور البربر ضد هذه المعاملات ؟ وبأي كتاب وبأية سنة يلبي العامل عبد الله بن الحبحاب رغبات سلطات بني أمية، بعدما أعوزهم العثور على ذلك في الشام؟ ويعلم الله ما فعلوه بالخراسانيات والصقليات والتركيات، .وقد كانت "البربيات افضل الجواري على الإطلاق"[379].

وهذا مؤرخ ينص على أن "الفارين من خلفاء بغداد" أي المشارقة المسلمين هم الذين أحرقوا الإنتاجات الأمازيغية كما فعلوا بالفارسية " ولولا هذا النص الحي الموجود عند الحسن الوزان لما قبل أحد ما كان لحضارة تامازغا في الماضي.

" ونقل الكاتب أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القروي المعروف بابن الرقيق، أن موسى بن نصير لما فتح سقوما (مدينة واليلي) كتب إلى الوليد بن عبد الملك الأموي أنه صار لك من سبي سقوما مائة ألف رأس ! (100000 من البشر)،فكتب إليه الوليد : ويحك

---

377 نفسه ص 52.
378 مدونة سحنون ج 10 ص 336.
379 دراسات في تاريخ افريقية مجلد 18 ص 100.

إني أظنها من بعض كذباتك! فإن كنت صادقا فهذا محشر الأمة "[380]. ومن تتبع غزوات هذا البطل، وما نشر حولها من الإشاعات، لا يجد لها تفسيرا إلا فيما وصفه بها أمير المؤمنين الخليفة الأموي في دمشق بسورية الحالية.

هذه الفقرة وردت في عدة مراجع، والذي يهمنا فيها أن أمير المؤمنين الوليد، وصف عامله في وطن الأمازيغ وفي المغرب الأقصى بالذات، وما فعله بمدينة واليلي بجوار جبل زرهور بقبيلة أوربا بما عرف عنه بكذبات متعددة.

فموسى هذا والده نصير، كان من حرس معاوية بن أبي سفيان، فبعث إلى القيروان، فوجه البعوث في النواحي، وسبوا وعادوا، وبلغ الخمس من المغنم سبعين ألف رأس من السبي (70000)[381].

قال أبو شعيب الصدفي: " لم يسمع في الإسلام بمثل سبايا موسى بن نصير"[382]. ومن تتبع غزوات هذا البطل وما زعمه من الانتصارت، وما نشر حولها من الإشاعات، لا يجد لها تفسيرا إلا في وصفها بالكذبات، التي وصفه بها أمير المؤمنين الخليفة الأموي في دمشق بسورية الحالية..

وإلا فخمس مدينة سقوما مائة ألف مضروبة في خمسة تساوي خمسمائة ألف نسمة " 100000×5 = 500000." نسمة فهل هذا العدد يمكن أن أن تسعهم مدينة واليلي في ذلك العهد؟ ولنفرض أن ذلك العدد ممكن فهل هم مثل الدجاج في السلة وهم يعلمون أن موسى فعل ما فعل في نواحي القيروان وهو " 70000× 5 = 350000"نسمة.

فهل من المعقول أن ينتظر سكان واليلي هذا المصير؟ وهم في سفوح جبال الريف ومقابلة جبال الأطلس التي أعجزت الرومان لعدة قرون.وفي سنة 124هـ عين حنظلة بن صفوان على المغرب، واستقر بالقيروان وكتب إلى الخليفة هشام بانتصاره في معركة واحدة " وأحصيت القتلى في ذلك اليوم، فكانوا مائة وثمانين ألفا (180000) وبدلا من التأسف على تلك المجزرة إن صح العدد، قال الليث بن سعد: **ما غزوة كنت أحب أن أشهدها بعد غزوة بدر، أحب إلي من غزوة القرن والأصنام جهة نهر**

[380] الاستقصا ج 1 ص 96.
[381] نفسه ص 69.
[382] نفسه ص 96.

الشلف بالجزائر"[383]. لنترك الجواب لهذه الأسئلة :متى وكيف ولماذا وأين وما هي النتيجة ؟.

ثم كيف نلائم بين سبي مدينة واليلي بهذه الكثافة وقول المؤرخ: الحافظ أبو عبيد الله في جذوة المقتبس: "ولى موسى بن نصير إفريقية والمغرب سنة سبع وسبعين 77 وقال غيره سبع وثمانين87 وفي بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد : سنة 83[384]. ونلاحظ هذه الاختلافات فيما سهل، فكيف بما خفي وغبر. قال:.ولما قدم المغرب، وجد أكثر مدنه خالية لاختلاف أيدي البربر عليها " ـ وهذا يناقض حالة واليلي التي سبى منها ذلك العدد ـ ونحن لا نجرد هذا البطل من الكرامات، وما أسند إليه من البطولات والطموحات جنت عليه وعلى عائلته في النهاية، فقد حاول الانفصال عن الشرق، فعين أولاده على هذا الغرب الإسلامي.

ثم قال: "وكانت البلاد في قحط شديد، فأمر الناس بالصوم والصلاة وإصلاح ذات البين، وخرج بهم إلى الصحراء، ومعه سائر الحيوانات، ففرق بينها وبين أولادها فوقع البكاء والصراخ، وأقام على ذلك إلى منتصف النهار، ثم صلى وخطب الناس ولم يذكر الوليد بن عبد الملك، فقيل له ألا تدعو لأمير المؤمنين ؟ فقال: هذا مقام لا يدعى فيه غير الله عز وجل، فسقوا حتى رووا"[385]. فها هي المدن المغربية خاوية فكيف حصل على أكبر سبي..؟

فهل يعد ما ذكر اجتهادا أو خطأ قال ابن خلدون:" اختلاف الصحابة والتابعين إنما يقع في الأمور الدينية، وينشأ عن الاجتهاد في الأدلة الصحيحة والمدارك المعتبرة "[386].

صحيح أن الغزاة من الشرقيين والغربيين على السواء، أدركوا دائما خطورة أصالة حضارة شمال إفريقيا ودورها في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولذلك يسعى الغزاة دائما إلى محو الأصل وإلى غرس غيره في محله بما في ذلك تغيير كل ما يمت إلى التنمية الأصيلة بالوطن، كتغيير أسماء البشر، والأعلام الجغرافية بل حتى الحرف الأمازيغي المستنكر مؤخرا لأنه يكمل اللغة الأمازيغية في وطنها تمازغا، لأن العمل

[383] الاستقصا ج1 ص 113.
[384] بغية الرواد ص 77 طبع الجزائر سنة1903م.
[385] الاستقصا ج 1 ص 90.
[386] الاستقصا ج1 ص 41.

بـه يـوقظ الهويـة الوطنيـة، ويقوي المطالبـة بحقوق الإنـسان، ثـم يجُبُّ مـا تـراكم من المستوردات.المضادة لكل أصيل.

هذه خطبة رنانة، وفصاحة طنّانة، فهل كانت يالأمازيغية التي لا يعرف المرابطون إلا هي، ومنهم أحد القادة الكبار يوسف بن تاشفين، إذ كانت الخطب العامة الموجهة إلى قوتهم بالأمازيغية، وحتى إذا كانت بلغتهم هذه، فمن ترجمها بهذه السلاسة ؟ والحق أن ذلك من نوع ما أسند لطارق بن زياد، وإلا فإن جميع الخطب بلغة القوم الأمازيغ، منذ انطلاقتهم من الصحراء حتى الأندلس، ولما قيل ليوسف بن تاشفين " هل تعرف بلاغة هؤلاء الشعراء المداحين يامولاي ؟ أجاب: "إنما يريدون من مال الأمة ولا سبيل إليه".

وذكرعن خطبة الصالح سيدي أحمد أو موسى بالأمازيغية التي اعترف من حضر ببلاغتها،فقال أحد الفقهاء:ما أحلى وأبلغ كلام هذا الشيخ ليتها بالعربية أو كما قال .حتى لا يلحن،فأجابهم بقوله:

*** فما ينفع الإعراب إن لم يكن تقى * وما ضر ذا التقوى لسان مُعجّم ***

وما حوربت برغواطة إلا للاكتفائها الذاتي بلغتها وبسهولها الخصبة واستمرار دولتها عبر أربعة قرون، فليعد النظر من يشك في ذلك، فقد تعرضت برغواطة لهجوم جميع الإمارات الحديثة لحاجتها إلى تموين وتمويل وإرضاء جنودها.

"ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (543هـ /1148م) فيها ارتحل عبد المؤمن إلى سجلماسة فدخلها وأمّن أهلها، ثم رجع إلى مراكش، فأقام بها أياما، وخرج إلى غزو برغواطة فكانت بينه وبينهم حروب عظيمة،هزم فيها عبد المؤمن، ثم كانت الكرة عليهم، فأجال فيهم السيف، ولم يبق منهم إلا من لم يبلغ الحلم ".وهذا دليل قاطع على أن برغواطة لم يقض عليها المرابطون كما زعم الأنيس المطرب"[387].

والغريب في الأمر هو إطلاق كلمة " **القرآن**" على شريعة برغواطة ومنه:

[ئضوف اغ ربّي، وُر أس ئنتيل وُميا، غ ئكنوان وُلا اكال، وُر نلّي كرا نـ ربّي بلا كيبّي، وُلا تـليت أمرْواس ..]

---

[387] القرطاس ص 246.

وورد في الإنجيل : "فصلّوا أنتم هذه الصلاة، يا ربنا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك على الأرض كما في السماء".

والذي يهمنا هنا أن برغواطة كانوا يصلون ويصومون ويصدقون وينفذون العشر.

ونلاحظ أن معظم عناوين سور (قرآن) برغواطة كلها تقريبا وردت في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وذلك تقليد لما سبق إذ لا يعقل تغييرها، فلو غيرنا مثلا "سورة أيوب بسورة الصابر" لضاع المنسوب إليه في برغواطة، لذلك حافظوا على اسم عنوان:سورة آدم، وسورة أيوب، وسورة يونس، وسورة فرعون، وما ورد في القرآن من ذكر أعلام حيوانية ويوم الحشر وغرائب الدنيا.فإذا كان عدد سور القرآن الكريم 114 سورة ، فعدد سور قرآن برغواطة ثمانون سورة باللغة الأمازيغية.

وهي التي أدهلت الكاتب ببلاغتها وبيانها وتعبيرها عن معان دقيقة فسمّى ذلك الإنتاج "قرآن برغواطة" وكان من الأليق أن يسمى تشريع برغواطة، كما عبر به ابن خلدون في البداية، لكن هذا العنوان لا يكفر ! ما دامت برغواطة قد حافظت على معظم أركان الإسلام، كما ذهب طلبتهم إلى الشرق، فأخذوا عن أكبر الفقهاء المرموقين هناك، بما فيهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنه والحل الوحيد هو اتهامهم بخلق قرآنهم لغزوهم كما غزا أبو بكر قرآن أعراب الجزيرة لفرض الزكاة هناك.

ومن أهم الأسباب التي تمر عليها أقلام المؤرخين بشكل خافت ما يأتي:

1- كلما تلاطمت أمواج الخلاف والظلم والاضطهاد والإبادة في الشرق العربي إلا وكان شمال أفريقيا ملجئا لظالم إذا فشل، ولمظلوم إذا نجا من القتل من هنالك، ولطامع إذا وجد فراغا وجهلا في المغاربة، فيتمسكن حتى يتمكن، ثم ينهض ويسوق الدهماء باسم الدين كما تساق الماشية، هذا كله مسجل لكن عواقبه مسكوت عنه؟!..

2- جاء الإسلام بكلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، لكن كلما ذهب مغربي ليأخذ العلم النافع في الشرق، إلا ويرجع بفكر ثوري لا يبقي ولا يدر، ومثال ذلك حاميم البرغواطي والمهدي بن تومارت الموحدي، والمهدي الماسي المكاوي. واللائحة طويلة ستة في سوس وحدها؟!.

3- لماذا تذفقت المذاهب الشرقية على شمال أفريقيا فهل لفراغ لا موجب له؟ أم لإعادة الدولة الإسلامية منه بعدما انهارت في الشرق؟.نعم للعقيدة وقد رسخت، ولا لمحاربة الهوية.

4- مذهب الخوارج في القيروان في صراع مع مذهب المعتزلة، مما جعل المذهب الأول يدرك أهمية المغرب، فانتشر الجدال في أنحاء البلاد، في شأن الاعتزال.فما شأن المغاربة ؟

5- شارك في الجدال كل من أهل السنة في أفريقية والقيروان، بينما شاركت الإباضية في المغرب الأوسط ، فشغلوا المجتمع بالقضاء والقدر، دون أن يجزم فيه قائل بالقول الفصل ألبته، ومصمودة وزناكة وزناتة أي جميع شعب تامازغا لا يعرف ما يدور في مجالس أهل الكلام، إلى أن نضجت الكُمّثراة، فتعاونت الإيديولوجيات بالتناوب على محاربة دولة برغواطة المحاصرة بعد القضاء على أطرافها سجلماسة وتارودانت وأغمات وتادلا.

وبمرور الزمان، احتل موقعها وعفت ديارها ومقامها، ومع ذلك فالبحث ضروري في الموضوع، ومن أغرب الملاحظات قول صاحب الاستبصار: "ولولا خروج الكتاب عن قصدنا لذكرنا قرآنهم، وشرحنا ديانتهم" ثم ذكر القبائل الداخلة في هذه الديانة مثل باقي المؤرخين: "برغواطة، وجراوة، وَزْغاوة، وزَوَاغة، والبرانس، وبنو أبي قاض، ونجْطة، وبنو واعَم، ومَطغرة، وبنو يُوزَغ، وبنو دَمَر، ومطماطة،وبنو وارگيست، وبنو تاسْليت، ومن تديّن لهم من المسلمين: زناتة الجبال، وبنو تَليت، وبنو وانْسِيت، وبنو تانِيت، ولم يزالوا على تلك الديانة إلى عام 452هـ / 1060م.ولكي يزول ما ألصقته الكتّاب الجغرافيون ببرغواطة لا يتضح إسقاطه عليهم إلا بقراءة ما سجله ابن خلدون عن القرامطة للمقارنة[388].

من المؤاخذات على برغوطة إهمال الآذان" من المعلوم أن ماكان يحدث بسجلماسة ورقادة وكتامة التابعة من طرف عبيد الله الفاطمي بالمغرب الأوسط، سيكون له اتخاذ مذهب التقية من شر ما فعل بالناس وبأموالهم وبدينهم ومن ذلك:

[388] ج 4 ص 74.

أن أبا عبد الله الداعي قصد سجلماسة الخاضعة لبرغواطة، واستخرج عبيد الله من السجن، وقال هذا مولاي الإمام، فهو مولاكم، هو المهدي بن المهدي، سلالة الهداية، ففعل بأهل سجلماسة ما صنع باليهود، وقيل إنه تحصل له من التبر ومن الحلي وقر 120 جملا بايع بها لعبيد الله المهدي، وأقامه وأدخله القيروان، فكان يتساكر ويقتل جواريه ويرمي بهن خارج القصر، وزعم أنه من أهل البيت. بينما ذكر أبو بكر محمد بن الطيب في كتابه في وصف القرامطة أن جده سالم صلّبه المهدي العباسي على الزندقة.

ولما مات عبيد الله المتمهدي بالمهدية سنة 322هـ / 934م تولى ولده أبو القاسم فأظهر مذهبه "فمنه توريث البنت إذا انفردت بجميع المال كله" والله تعالى يقول: [وإن كانت واحدة فلها النصف] واسقط الرجم على المحصنين في الزنا، وأسقط المسح على الخفين، وأسقط من الآذان "الصلاة خير من النوم" ونادى في الصبح" حي على خير العمل، وعلى خير الشر"والصوم بالعلامة، والفطر بها لا بالرؤية، فيأتي قبل صوم يوم المسلمين بيوم، وقبل فطرهم بيوم، في أكثر الأعوام، وأحل المطلقة ثلاثا، وأسقط أيمان الحرج، ولولا خروجنا عما قصد إليه الواضع، لشرحنا ديانتهم، وبينا كفرهم، وسماهم الإخوة والمؤمنين، وأمر ألا يقيم الحد أحد إلا أبوه أو ابنه أو أخوه أو قريبه، ثم أمرهم بالجهاد لمن خالف مذهبهم، فقام عليه أبو زيد مَخْلد كان على مذهب الصفرية "[389].

فإذا قارنا مذهب عبيد الله المهدي الفاطمي هذا مع ما سجلته الكتاب الجغرافيون على برغواطة نجد أن ما فعله عبيد الله الفاطمي من المنكرات، لم يصل إلي عشرها إلياس البرغواطي، نعم هناك بعض المقاربات وأكثرها من المفارقات، فإذا عيب عن برغواطة المبالغة في الوضوء، فإن العبيديين يسقطون الوضوء على المحصن الزاني، وهما يلتقيان على الطلاق الرجعي، فإذا كانت برغواطة تربي الفتيات على الرياضة البدنية إلى حد قفز الفتاة لثلاثة حمر دون مس ظهورها، فإن العبيدي يفتض الفتيات ويقتلهن ويرميهن وراء قصره.

[389] الاستبصار باختصار ص 205.

فإذا كانت برغواطة عنونت "قرآنهم" باسماء الرسل والأنبياء ويؤمنون بالله وبمحمد نبياً، فإن عبيد الله بدّل وغيّر آية توريث البنت إذا انفردت، وجعلها ترث المال كله، فإذا كانت برغواطة تصوم رجب بالرؤية، فإن عبيد الله الفاطمي ينكر الرؤية، ويتقدم عن صوم المسلمين بيوم، ويتقدم بالعيد عنهم بيوم، فإذا كانت برغواطة موصوفة بالوفاء بالعهد وبمحامد الصفات، فإن عبيد الله لا دين له للجمع بين الأختيين في فراش واحد، بدعوى ملك اليمين، ثم قام، بقتل أبيهما بعد افتضاحه وصادر ماله.

ولاعهد له إذ قتل حتى من أقام له الملك، فإذا ذكر وجود عدة مذاهب عند برغواطة منها الصفرية، فإن عبيد الله أسند الجهاد في من خالفه **لمخلد الصفري**، ومن تتبع هذه الشبكة لا يستبعد أن ما كان من أفعال القرامطة والفاطميين في الشرق أسقطه الكتاب الجغرافيون على برغواطة لاستحلال قتلهم واحتلال موطنهم تامسنا رغم مقاومتهم 461 سنة على الأقل.

فهل يعفي ما أوردناه برغواطة من اتهامات خصومهم طمعا في وطنهم؟ وهل هذه المقارنة كافية للحد من لعنة برغواطة ولو عملا بقوله تعالى: "ولا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم" فما جزاء من يفعل ذلك ووهم يتلون الكتاب؟

وقد كان المحققون من نسابة البربر كسابق البربري المطماطي وابن خلدون ينكرون نسبة البربر للشرق ويجزمون بأن البتر والبرانس قبيلتان عريقتان في البربر، الاستقصا ج 1 ص 65 ولا داعي للخرافات بعدما سفه البحث العلمي كل الاستلحاقات الغاية منها التمكن من استغلال خيرات هذا الوطن المحسود.

مصمودة من معظم سكان المغرب: "مصمودة: من البرانس المستوطنين المتحضرين، وكانوا يؤلفون معظم سكان المغرب، أيام الفتح الإسلامي، حيث كانوا يشغلون أكثر المناطق الجبلية وسهول المحيط الأطلسي، ويعتبر الأطلسان الصغير والكبير موطنا للمصامدة اليوم وبينهم الشلوح.أما كتلهم الرئيسية القديمة فثلاث : برغواطة الذين كانوا يشغلون ما بين نهر أبي رقراق وأم الربيع، ونهر تانسيفت، وغمارة الذين يقطنون منطقة الريف وجبالة، ثم دكّالة فيما بين نهر أم الربيع ونهر تانسيفت التي تشغل ركراگة سهوله، وقد أنشأ المصامدة مدنا وقرى عديدة.

وتعاطوا الفلاحة التي لا تزال مهارتهم متجلية فيها في منطقة الشلوح، وساعدهم على ذلك إتقانهم لشؤون الرّي، كما سنرى ذلك في دولة الموحدين،.وقد استمرت سيادة المصامدة على المغرب إلى ظهور الزناتيين على المسرح السياسي في القرن الثالث الهجري،حيث اكتسحوا بلادهم، وكان مَقْدَمهم آن ذاك من المغرب الأوسط، ومنذ ذلك الحين، أخذ المصامدة ينحازون إلى المناطق الأطلسية، وقضى الملثمون على برغواطة منهم، كما تم (تعريب) دكالة على أيدي دولة الموحدين نفسها، فالشلوح إذن يمثلون اليوم في ناحية السوس نموذجا حيا لرقي المصامدة"[390].

برغواطة من أعلام المغرب: "شغل مصامدة المغرب قبل الإسلام ولفترة بعده شطرا كبيرا على الأقل، من السهول الأطلسية بما فيها تامسنا ودكالة وسوس بالإضافة إلى القسم الغربي من منطقة الريف،.وكانت برغواطة من أقدم قبائل المصامدة حسب ابن خلدون،.وابتداء من القرن الرابع (10م) تمكنت مجموعة من بني يفرن الزناتيين من إنشاء إمارة بسلا، وعلى هذا فبرغواطة مصمودية ساكنتها في اتجاه معاد أو مسالم مجموعات زناتية وغيرها"[391].

"كانت برغواطة من قبائل المصامدة المستوطنين فيما بين سلا وأسفي، وكان من بينهم صالح بن طريف أحد قواد ميسرة والداعين لمذهبه، حتى إذا قتل ميسرة ،استمر صالح في تامسنا يتزعم برغواطة ...".

يمكن القول أن الأثر الديني كان في الشمال أعمق منه في سائر جهات المغرب، حيث استقرت الحاميات العربية الأولى؟ وهنا أيضا ظهر الخوارج الأولون في المغرب، أما في الغرب فلم تتمكن مبادئ الدين الصحيحة من نفوس البربر، حيث نجد البرغواطيين قد أحدثوا بدعا كثيرة في الإسلام، ولم يستطع الأدارسة ولا دويلات القرن الرابع الهجري، أن تضع حدا لهذه البدع حتى قضى عليها يوسف بن تاشفين." (نفس المرجع).

---

390 .35

391 معلمة المغرب 1165.

"اعلم أن أرض إفريقية والمغرب، لم تكن للعرب بوطن في الأيام السالفة، لا في الجاهلية ولا في صدر الإسلام، وإنما كان المغرب **وطنا لأمة البربر** خاصة، لا يشاركهم فيه غيرهم، ولما جاءت الملة الإسلامية، وأظهرها الله على الدين كله، زحف جيوش المسلمين من العرب إلى أرض المغرب، في جملة ما زحفت إليه من أقطار الأرض، لكن العرب الداخلين إلى أرض المغرب في ذلك العصر، إنما كانوا يدخلون إليه **غزاة مجاهدين** على ظهور خيولهم، فيقضون الوطر، من فتح الأقطار والأمصار، ثم ينقلب جمهورهم إلى وطنهم ومقرهم من جزيرة العرب."[392].

وفيما يخص تامسنا موطن برغواطة قال:" واعلم أن هذين البسيطين **يسميان اليوم** في عرف عامة أهل المغرب. بالغرب والحوز، فالغرب عبارة عن بلاد الهبط وأزاغار وما في حكمها، والحوز عبارة عن بلاد تامسنا وما اتصل بها إلى مراكش، فكان لرياح بلاد الغرب، وكان لجشم في بلاد الحوز"[393]. ولكن أين ذكر الأمازيغ؟ ألا يوجدون في هذين البسيطين ؟ فالأمر ليس كذلك، فالسهول المغربية المحيطية لم تكن في يوم من الأيام خالية من أهلها، والمؤرخون في شمال أفريقيا يقومون **بإحصاء الأقل العربي** من الأكثر الأمازيغي، وذكر هذه الأقلية هي التي يظن البعض أنها هي الأغلبية، فيكثرون من ذكر تفرعاتهم مثل خُلطية وهلالية ومعقيلية وجشمية، فذلك كله لا يخلو من الصنعة، كما فقدت فيه صحة الرواية، فلذلك لا يوثق به، لكن لماذا اعتنى المؤرخون بالعرب أكثر من الأمازيغ.؟.

فهذا أبو طاهر الجنابي، فعل بمكة ما لم تفعله النار في الحطب،ولا الشيطان في الملعب، فقد هاجم مكة المكرمة سنة 317هـ / 929م . ونهب الحجاج وقتلهم، ورمي القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بجثث القتلى. وقلع باب البيت وقبة زمزم والحجر الأسود، وأخذ كسوة الكعبة فوزعها بين أتباعه، ونهب دور سكان مكة،وأقام الخطبة في مكة لعبيد الله المهدي بالمغرب ،بدلا من الخليفة المقتدر العباسي لعجزه، ووقف يلعب بالسيف على باب الكعبة وينشد ويقول :

- أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق وأفنيهم أنا

[392] الاستقصا ج 2 ص 162.
[393] الاستقصا ج 2 ص 169.

ومن استعرض معظم ما ذكر،سيلاحظ إفراغ ما وصفت به القرامطة من فواحش على برغواطة ؟ فما العيب في أمة تدافع عن وطنها المغرب عندما يهددها الشيعي أبو طاهر من الخليج إلى المحيط بقوله شعرا[394].

أغركم مني رجوعي إلى هجر * فعما قليل سوف يأتكم الخبر
فمن مبلغ أهل العراق رسالة * بأني أنا المرهوب في البدو والحضر
سأضرب خيلي نحو مصر وبرقة * إلى قيروان الترك والروم والخزر
أكيلهم بالسيف حتى أبيدهم * فلا أبقي منهم نسل أنثى ولا ذكر
أنا الداعي إلى المهدي حتى أبيدهم * أنا الضيغم الضرغام والفارس الذكر

مسألة المهدوية: هذه الفكرة عامة في العالم كله، وإن كانت بأسماء مختلفة، فهدفها واحد، وظهورها مرتبط بوجود فراغ في السلطة المركزية، أو انتشار اللامبالاة في المسؤولية، مع طول انتظار الناس بمن يقود المجتمع، إلى مصلحة تناسب الزمان والمكان، وقد ظهر في المغرب الكبير كثير من المشعوذين سببوا فتناً تصتكّ منها المسامع، فشلوا كلهم ما عدا مهدي الموحدين الذي ربط بين الدين وبين الهوية والإنسية المغاربية، ورغم نجاحه السياسي فليست أعماله كلها من صميم العدالة، فقد بالغ في ارتكاب أخف الضررين، وأدنى المفسدين بما فعل في" مجزرة التمييز".

ومن المشاع أن المهدي بن تومارت كتب هذه المرشدة بالأمازيغية أولا وإلا فهذا المستوى لا أراه يتهيؤ له، وهو منذ البداية قام بترجمة الفاتحة لمريديه الأوائل، بل لكي يحفظها لهم سماهم بآياتها، [يا فلان أنت اسمك : الحمد لله...] وهل يمكن إرجاع هذا النص العربي إلى أصله الأمازيغي ؟ فلنجتهد ونقول:

"ئقّاند أد تسّنت: ـ أد اغ يمل ربيّ ئمل اك ـ هانّ ئلاّ ف كرا يگان اماڤْضار (القادر) أد يسّن ربّي لّي يگان اندّابو أخاتار، يان أيْگا غ تگلديت نس، يسكر أماضال كرا يْگا، أماڤّوي ؤلا امازدار، غيكّلي يسكر أدابو ؤلا أبادو، غيكانّ د يگنوان ؤلا أكال، ؤلا ما گّيسن ئلاّن غيكانّ د گر اتسن .كرا يڤّوسكارن يڤّونرا سـ تايْري نس، ؤر ايْمّوسّو كرا نـ ؤبلغوش بلا سـ تورايْت نس، ئلاّ ربّي ؤر تا يلّي ؤسگّير، ؤر يلّي تازْوارا ؤلا تيگيرا، ؤلا يلا افلاّ ؤلا يزدّار، ؤلا تافاسيت ؤلا تاڤلماط، ؤلا أمنيد ؤلا

[394] القرامطة مصطفى غالب ص 410.

ضـارات، وُر يـگـي گـيـگان وُلا يـميكّ، وُر ت يـومي ومـوگّـض،وُلا أرت يتّـاگـز يـژري، وُر يلي أوْلاف غ تّـوميّلات، وُلا أرت يتّـاگـز وُنـلّي، يـا گـّوگ تلغـالغ وُلا اسوينـگم.

وُر يلّي ماتّ يرْواسن، يـگـا امسّفلد أمانّـاي، وُر يلي أسّوگدو غ وسگـير، وُلا أمـادراو غ تـگـلديت، يـگا أمودر أنـاژمار، وُر ات يسلاي وُنودّم وُلا يطّص، أشكوا يـگـا أمانّاي نـ كرا ينتلن، وُلا كرا د يوگّان، وُر اس ينتيل ومـيا غ واكال وُلا يـگـنّا، يسّن كرا يلاّن غ وماضال وُلا اگـرْوال.

هانّ وُر اد يضر كرا نـ وفراو غ تادّاگـت نس، بلا يغ سرس يسّن، وُلا كرا نـ واقا غ وگـنس نـ تيلاّس نـ واكال، وُلا كرا نـ توگـا، وُلا يـغ قورنت، بـلا يـغ يتّيارا غ ودليس يفرن، يسّوتل د نـ كرا يلاّن سـ توسّنا نس، يسّوضن كرا يلاّن يان سـ يان، أشكو ربّي أر يسكار كرا يرا، يـژضار نـ كرا يرا، يطّاف أيْدا يـگـّوتن، يـگا اندّابو وُر يتّسمادن، أزرف نس وُر يلي أماواغ، ماشّ يلا أسّاعن فولكينين، وُر يلّي ماراد يسّينف أزرف نس، وُلا ماراد يسّاگـي ماد يفكا، وُر يلكيم ف وارّازن، وُلا يكصوض تامارّوت، وُلا يطّفارت نـلي ، وُلا يكصوض أزرف،.كرايْگـات تيگّي غ دارس تـگـا تانافوت، غيكا نّ كرايْگـات تيغاوْت غ دارس تـگـا أسومو، وُر أيتّوسقسي غ كرا يسكر، ماشّ كرا يلاّن أر يتّوسقّسي.

وُر أيتّونّي ماناكو يلاّ؟ وُلا ماني غ يلاّ؟ وُلا مانيك يـگـا، يلاّ ماشّ بلا أدغار، أشكو نتّا أد يسكرن أدغـار، يسوگـدا أزمز، وُر يلي أزمز، وُلا يـلا أدغـار، وُر يلي أولاف غ تّوميّلات، وُلا أرت يتّاگـز وُنلّي، وُر يلّي كرا ت يرواسن، أشكو يـگـا أمسّفلد أمانّاي.

مقارنة المرشدة للمهدي مع عقيدة المعتزلة[395].

"فقد تزعزعت عقيدة الوحي على يد المعتزلة تزعزعا شديدا، حتى أعلن كثير منهم صراحة أنه ليس مستحيلا أن يأتي إنسان بقرآن كهذا، أو أحسن منه " مخالفين قوله تعالى[قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا][396].

[395] حسن إبراهيم حسن ج 3ص 213 +216.
[396] سورة الإسراء الآية:88.

فلنلاحظ تعيين الحسين الأهوازي على القرامطة **فإن** آراءه لا تبعد عن مرشدة المهدي:لقوله: "إن من قام في العالم بأمر الله، فهو وجهه ولسانه، ويده وجنبه، في عالمه الأراضي، وخلقه البشري"[397]، وهذه نظرية الحلول والعياذ بالله.

"وأما حال المغاربة في الأصول والاعتقاد، فبعد أن طهرهم الله من نزعة الخارجية أولا والرافضة ثانيا، أقاموا على مذهب أهل السنة والجماعة (لاحظ أنه لم يذكر الشيعة؟) واستمر الحال على ذلك مدة، إلى أن ظهر محمد بن تومرت مهدي الموحدين، فرحل إلى المشرق، حيث مذهب الأشعرية، ثم عاد إلى المغرب، ودعا الناس إلى سلوك هذه الطريقة، وجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره، وسمى أتباعه الموحدين، تعريضا بأن من خالف طريقته ليس بموحد، وجعل ذلك ذريعة إلى الانتزاء على ملك المغرب"[398]، وعن القاضي **منة بن سعيد الأندلسي** البلوطي توفي 355هـ ومن أبياته الشهيرة :

عذيري من قوم يقولون كلما ، طلبت دليلا هكذا قال مالك
فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب ،وقد كان لا تخفى عليه المدارك
فإن زدت قالوا قال سحنون مثله ، ومن لم يقل ما قاله فهو آفك
فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا ، وقالوا جميعا أنت قرن مماحك
وإن قلت قد قال الرسول فقولهم ، أنت مالك في تركٍ لذاك المسالك

والحق أن مذهب مالك حاربوه شعرا ونثراً منذ أن نقله يحيى بن يحيى الأمازيغي.

أهل الرياء لبستمُ ناموسكم* كالذئب أدلج في الظلام الهائم
ملكتم الدنيا بمذهب مالك* وقسمتم الأموال بابن القاسم
وركبتمُ صهو الجياد بأشهب* وبأصبغ صبغت لكم في العالم

ونستفيد من هذا الشعر، محاربة مذهب مالك، الذي تمسك به المغارة، ولكي تستمر تلك العداوة له نشروها بواسطة الشعر، لكي تحفظ وتنتقل، لأن الشعر عند العرب، هو بمثابة جريدة الدعاية والتبليغ والتلقين، بقطع النظر عن حمولته وما يصدّره من خير أو شر.

[397] القرامطة ص 26.
[398] الاستقصاء ج الأول ص 140.

أبحاث في دين الأمازيغ: (عن دفاتر وجهة نظر ملخصا عن ترجمة حمّو بوشخار Rene Bassei في تاريخ الأديان "من حق كل الحضارات وكل المجتمعات البشرية الاعتقاد بإله "[399]. يلاحظ باصي كثافة الطقوس لدى الأمازيغ، وتلك عادة كل أمة عريقة في القدم، مثل الأمة الأمازيغية، ويرجع ذلك إلى سنة التطور، لكن يجب أن نميز الاعتقاد كعقيدة وبين الاحترام كموروث، فأهمية احترام البقرة في الهند، ليس في مستوى عبادة النار عند الفرس، فأهمية الشمس لدى الأمازيغ لا تقارن بطقوس الكبش كرمز للخصوبة في الحياة[400].

ونفس المقارنة يمكن عقدها بين " نص حاميم أي قرآن برغواطة المؤلف بتامازيغت مع نص قرآن تلي بلسان عربي " هذا في الغرب، وذاك في الشرق، وهذا بتامازيغت، وذاك بالعربية، وهذا من إنشاء بورغواطي، وذاك بوحي على نبي عربي.ومن طبيعة ذلك أن يكون التباين واضحا والكل يوجه إلى الله حتى قالوا : "وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى" ولما تطور الفكر، ظهرالحق وزهق الباطل.

نعم كان الأمازيغ يملكون ككل الشعوب أماكن مقدسة أو محترمة على الأصح، وذلك لسد الفراغ الذي يحتاج الناس فيه إلى فتاوي، فقد كانت الكعبة محاطة بالأوثان حتى جاء الإسلام فوجه تلك الطقوس إلى عبادة الواحد الأحد، وهذه الصفة هي التي كانت تنقص القبائل العربية فوحدهم الإسلام تدريجيا إلى أن كلفهم بالتبليغ، إلى من حولهم من الأمم، شأنهم مع الفرس والروم شأنهم كذلك مع الأمازيغ، ولهم فضل كبير في بناء دولة عظيمة، سمي عهدها بالقرون المضيئة، في الوقت الذي عاشت فيه أوربا في قرون مظلمة إلى أن انتفعت بنهضة المسلمين.

" لقد اتحد المسلمون الأورتودوكس عربا وأمازيغ للقتال ضد برغواطة الذين استعملوا الأمازيغية كلغة تبشير، والذين دافعوا عن نهجهم الديني بالوسائل التي امتلكوها حينئذ، ولمدة أربعة قرون إلى أن اجتاحهم المد الموحدي لتتم إبادتهم، وكذا الاستيلاء على بلادهم[401]".

---

[399] تاريخ الأديان ص 6.
[400] دين الأمازيغ عند باصي ص7.
[401] René Bassei ص 10.

ليس المرابطون ولا الموحدون هم الذين أنهوا برغواطة، ولا البورغواطيون هم أنفسهم أهلكوا من حولهم من إخوانهم، وإنما الإيديولوجية الشرقية والأندلوسية هي التي سلطت عليهم من الدعاية ما يفصلهم عن إخوانهم الأمازيغ، فبدأ حصارهم، وتقلصت دولتهم، وفي التاريخ نصوص لا تقبل جحود ذلك ولا إنكاره .منها :

" إن الحملات التي استهدفت المغرب لنشر الإسلام، اعتمدت سبيل الجهاد، باعتباره أرض وثنيين ومنشقين دينيين بحجة افتقارهم لكتاب منزل على غرار ما يوجد عند اليهود والمسيحيين الذين سينسحب عليهم اسم الكفار فقط ، ما داموا قابلين للتصنيف كأناس دين كتابي"[402].

في عهد الخليفة الثالث اقتضت الضرورة تعيين عمال مقتنعين في الآفاق، لتطبيق السياسة الضرورية، وذلك بعزل عدد ممن عينهم الخليفة الثاني عمر، فعين مكانهم من " قرابته فعزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة، وولى عليها الوليد بن عقبة وكان أخا عثمان من أمه، وعزل عمرو بن العاص عن مصر، وولى عليها عبد الله بن سعد، وكان أخاه من الرضاعة، ثم عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة، وولى عليها عبد الله بن عامر بن كريْز، وهو ابن خاله، واستكتب **مروان ابن الحكم**، وهو ابن عمه، وضم الشام إلى معاوية، واتسعت الفتوحات في الشرق ..ثم تكلم جماعة من أهل الكوفة في عثمان، ونقموا عليه أمورا؟ فبدأت الفتنة في الشرق وامتدت إلى وطن الأمازيغ "[403].

كان الخليفة الثاني منع والي مصر عمرو بن العاص من غزو إفريقية، إلى أن أمر عثمان بغزوها، فأرسل **عشرة آلاف**، وفي مروج الذهب للمسعودي ما يثير غضب الأمة مما لست أذكره.

قال ابن خلدون "قدم عقبة بن نافع المغرب في ولايته الثانية سنة اثنتين وستين فاضطغن على كسيلة صحبته لأبي المهاجر ونكّبه ...وأذعن له يوليان أمير غمارة، ولاطفه وهاداه، ودله على عورات البربر وراءه بمدينة واليلي وبلاد المصامدة، وهؤلاء المصامدة هم دولة برغواطة.

---

[402] المرجع نفسه ص12.
[403] الاستقصا ج 1 ص34.

كثيرا ما يوصف السوسيون بالوثنية في غزو عقبة. وهذا المصطلح معناه عبادة آلهة مجسدة كما هو معروف في العالم، كأوثان العرب المجسدة " اللاة والعزى ومناة " وهبل وهي أصنام من حجارة يعبدونها، وكما هو موجود في بابل وأفغانستان ومصر وعند الإنكا والاسطيك في اميريكا، فلماذا لا نعثر على الأوثان في وطن الأمازيغ ؟ من الجواب لانتشارديانات التوحيد بينهم كاليهودية والنصرانية قبل الاسلام. فوصف برغواطة بالمجوس لا دليل مادي له.

"لقد كانت الدوناتية منتشرة عند الأمازيغ، وهم الأغلبية في مقاومتهم ضد الكاثوليكية إلى أن تغلبت الرومنة، إلى أن استيقظ الأمازيغ عندما ساهموا في محاربة الرومان بجانب الوندال، ثم مع البزنطيين إلى أن دخل العرب فأجهضوا التجديد البورغواطي، وكل دخيل ينزل بمعوله على الأصيل الأمازيغي، بشتى الوسائل، لكن الأصالة المغربية لن تموت.

.فمثلا معلمة **"لاسورس عين أغبالا"** هذه الكلمة مركبة من ثلاث كلمات مترادفة، كونت وثيقة تاريخية دالة على أقدمية تاريخ من حل في مغربنا العزيز، فالأولى فرنسية حديثة والثانية عربية متوسطة، والأخيرة أمازيغية عريقة في وطنها تامازغا، وقس على ذلك.

نعم، كل أمة بلا أساطير لا أصالة لها، ومن الطبيعي أن تكون هناك أماكن محترمة كالكهوف ومغارات كرسها الخيال باسم الجن والشياطين والشعوذة أو الشعبذة، أو باسم الأولياء والصالحين، لكن قطعا لم نعثر فيها على أثر لصنم يعبد، فإذا كان هناك كهفٌ يزار، فقصة أهل الكهف لم يسجلها القرآن الكريم عبثا؟.وعلاقة الإنسان بالكهوف سبقت أنوال والخيمة.

والأمة المغربية لها سهمها بالفرض والتعصيب، في بناء حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط .ومن الطبيعي الأخذ والعطاء، والاقتباس ضروري بين الأمم. والهدف من التاريخ هو الاستفادة من إيجابياته، والحذر من إعادة سلبياته ومصائبه والسلام.

الخاتمة

1- يهدف هذا العمل إلى جمع ما تفرق في المصادر والمراجع، كما يهدف إلى فسح المجال للقارئ الكريم، ليقارن بين النصوص الواردة في هذا المؤلف حول دولة برغواطة ، ليميز الخبيث من الطيب، والصحيح من المغشوش، لكن بعقله لا بعاطفته، فتاريخ دولة برغواطة المغربية عريق في القدم، وهذه الدولة الأمازيغية نموذج لمقاومة حضارة شمال أفريقيا تامازغا، تاريخ ليس كله ذهبا ولا فضة، لكنه من بقايا وطنية الأجداد، تلك الوطنية المعتزة بقديمها وحديثها،المتمسكة بتعددها وبمقدساتها وبهويتها الخالدة، بفضل ذلك استمرت مميزات المغرب ومسيراته في البناء والتنمية والتشييد، نموذج إفريقي أصيل، شعاره الفعلي التضامن والتعاون مع التفتح في العالم، إنه موطن المجد ومنبع العبقريات.

2- ينبغي التنبيه هنا إلى خطر من يجرد الشخصيات المغربية وأعلامها من ماضيها ومن موطنها، ثم يسندها إلى غيرها من غزاة رومانية، أو دعاة خوارجية، أو تيارات شيعية، أو مجادلات معتزلية، أو طلسمات مهدوية، أوانتماءات رستمية، أو فارسية، أو هلالية بكرية أو قيسية. أو تشويه أعلام مغربية بقراءة لا أصل لها، ومن ثم يلحق بأجنبيتهم، كأنّ هذا الوطن، فقد من يصحح ذلك منه؟ أو أنه أصيب بعقم لم يعد ينتج المفكرين ولا المدافعين، فكم من أعمال نبيلة وبطولات فريدة من صميم المغرب، أسندت للآخر، بمجرد تمحلها ومقلبتها، ومن تتبع ما سجله الشرق والغرب في شمال أفريقيا، فسيجد إحصاء الأقلية من العرب دون الإشارة إلى الأغلبية من الأمازيغ، وبمرور الزمان، أعلن البعض أن شمال أفريقيا كان خلاءاً كما قيل في الصحراء المغربية.! ونفس الشيء كرسه الأروبيون.

فهذه تامسنا حلت الشاوية محلها.. وقس على ذلك ما عانيته من تصحيح " كلمة برغواطة وحدها" فكيف "بعالمها حاميم " وما ألحق به من تكفير ولعنات، أما مصطلحات فتاوي المتشددين فلا حصر لها، فكم من مفت حرض على المعارك وهو على بساطه يحتسي أوفى أباريق الكؤوس؟! وكم من فيالق باسم الجهاد أقبرت فوق سهول تامسنا؟ فهل الجهاد كله في سفك الدماء بلا حساب؟ إن مقاومة دولة برغواطة

دفاعا عن السهول الأطلسية؟ لا تقل عن مقاومة الأطاليس المغربية وتاريخه في الجاهلية والإسلام.

فلماذا تستنكر ثورة ميسرة المدغري ضد الظلم؟ ولماذا سكوت التاريخ عن المنظم سمغو بن واسول الأمازيغي المكناسي؟ وكذلك دور شيخه المنظر عكرمة الأمازيغي بالقيروان، وهو أحد فقهاء مكة؟ ومن أكبر المفسرين بفكر ثاقب؟ ومن شخصيات المقاومة مدرار بن اليسع المدافع عن إمارة سجلماسة حتى النهاية.، لكن الرواة يصنفون أعمال هذه الشخصيات تحت مذاهب متناقضة، هذا رستمي وهذا إباضي، وذاك شيعي، وذلك خارجي، ومن ثم إبراز المغرب كبقع الزيت أو كملوك الطوائف من الإمارات، تلك برغواطة صفرية في تامسنا، ومثلها مدرارية رستمية في سجلماسة، وبينهما إدريسية أوربية في صخرة جبل زرهون، ومن ثم، جرد الكل من مغربيته وإلحاقه بالآفاق، ولأمر مّا جُهل مؤلف كتاب مفاخر البربر؟.وأعجب من ذلك فقدان كتاب أنساب البربر؟ وأغرب منه اختفاء كتاب أزهار البستان.كل ذلك قد وقع!.

3- إن هذه الظاهرة " **البرانية** " لم تعد مقبولة، إذ للمغرب شخصيته ومميزاته ومقدساته وقياداته وممالكه عبر التاريخ، وممن نبه إلى ذلك: مؤلف كتاب مفاخر البربر، معلنا افتخاره بطائفة من الأعلام ذوي الأصول المغربية منهم " أبو مسلم الدقّى الذي رد على من يفتخر بالشرق كطائر، وما المغرب إلا ذنبه، فقال لهم أمام ملك مغربي بتلمسان: " صدقتم والطائر طاووس، أحسن ما فيه الذنب" ثم عنون فصلا هكذا : " ثوار البربر بالمغرب ورؤساؤهم وملوكهم " وذكر زيري بن عطية المغراوي الخزري ثم قال: " وأما برغواطة فإن الكلام في أخبارهم يطول" وميسرة المظْفري أول ثائر بأغمات المصامدة عام 122هـ ومهدي بن توالي الزناتي بفازاز، ثم موسى بن أبي العافية المكناسي ضد الشيعة، كل هؤلاء لم تحركهم دعاة شرقية، فلماذا أسند الكتاب أعمالهم إلى غيرهم؟ فحتى أعمال طارق بن زياد نسب إلى غيره وألحق هو نفسُه بغير قومه، وجهل حتى مصيره ومدفنه. فقيل في سورية وقيل في كريت.!؟ أنا لا أدعو لقطع الصلة مع الشرق ولا مع من فيه من المستعربة، ولكن الشرق شرق، والغرب غرب، ولكل مميزاته وخصوصياته.فإذا كان في الشرق أنبياء، ففي الغرب أولياء..

4- لماذا عزوف المغاربة من مادة التاريخ؟:بل ذهبت بهم هذه الظاهرة حتى إلى عدم الرد على خصوم المغرب، ناسين أن تلك الترهات والتقولات إذا لم يرد عليها المغاربة - كما فعل ابن خلدون والرقيق - ستصبح بأقدميتها حجة يبني عليها خلف المستلبين، مع العلم أن للمغرب أرشيفه من المصادر والمراجع لا تثبت التقولات أمامه ولكن لماذا هذا العزوف؟.

5- قد يقال: ما العمل إذا تبنى بعض المؤرخين المغاربة نفس مسار الآخر، ثم ساهم في استمراره؟ من الجواب: إن في أرشيف المغرب - وإن لم يجمع بعد - تاريخا مجيدا لهذه الأمة، إذا وجد من يستخرجه من مظناته قبل أن يجهز عليه، أو يهاجمه "النّت" من كل صوب وحذب، أو ينتهي به مصيره إلى يد من لا يريد لهذا المغرب أن يقوم بذاته.

6- وعملا بذلك، فقد بذلت هذا المجهود، في إبراز دولة برغواطة المغربية العريقة في وطنها تامسنا، وعاصمتها أنفا. انطلاقا من المصادر والمراجع، وما تراكم بينهما من مقبول ومردود، وقد حرصنا كل الحرص، على إثبات الإحالات ليرجع إليها القارئ الكريم عند الحاجة، لعله يقدر مجهودنا، ويضيف إليه ما عنده من البحث اليقين، وليس الإكثار من غزارة التلقين.

7- إن من قام بمقارنة بين النصوص الواردة في هذه المؤلفات، سيدرك أن كثيرا مما عاناه تاريخ الشرق الأوسط - من اختلافات المذاهب - قد صدر مجانا إلى شمال أفريقيا، بل كثيرا ما قام الآخر بنقل مثالب الشرق لإسقاطها على دولة برغواطة بالذات، وقد أثبتنا ذلك وكررناه لضرورة إثبات المنقولات من مصارها إلى مراجع من نقلها دون خجل من التاريخ، لينال من هذا المغرب العظيم. ورحم الله جلالة الملك الحسن الثاني إذ قال: "**إن المغرب محسود**".

8- وتطبيقا لما ذكر، أحيل القارئ الكريم على نموذج الصلاة عند قرآن القرامطة في صلواتهم:

"الحمد لله بكلمته، وتعالى باسمه، المتخذ لأوليائه بأوليائه.." وفي الركوع" سبحان ربّي، ربّ العزة عما يصفون "وفي السجود" الله أعلى، الله أعظم مرتين" "والفرض خمسون صلاة" " وفي كل صلاة ركعتان قبل طلوع الشمس وبعد غروبها

" والقبلة والحج إلى القدس]" "والصوم يومان في السنة".هذا كله في مهبط الرسالات .شرقا وليس عند برغواطة غربا.

9ـ أما دولة برغواطة في المغرب، فقد اكتفى المؤرخون بذكر **ثامانين سورة من قرأنهم**، وفيه العلم العظيم، ومنه " **يامن يخلّي البصر ينظر في الدنيا خلّني من الذنوب....**" ثم اكتفوا بذكر قراءة نصف قرآنهم في وقوفهم، ونصفه في ركوعهم، والقبلة إلى القدس، وأسقطوا الحج، كما فرضوا العشر، وقول المصلي **باسم نـ ياكوش**، معناه بسم اللـه، **مقّور ياكوش**: معناه اللـه أكبر، وفي التسليم: [**إيضوف أغ ربّي، وَر اس ئنتيل وُمْيا غ يڭنّا وُلا أكال]**

ⵜⴻⵖⵎ ⵄⵢ ⵇⵀⵀⵜ ⵖⵇ ⵄⵇ ⵜⵍⵜⵜⵍ ⵖⵔⵛⵄ ⵢ ⵜⵅⵍⵄ ⵖⵍⵄ ⵄⴽⵄⵍ

معناه:اللـه فوقنا، لم يغب عنه شيء في الأرض ولا في السماء."مع المبالغة في الطهارة" فعابوهم بغير عيب.

10- يلاحظ أن كل من ادعى النبوة من الانتهازيين والمَهْدويين والمشعوذين، ينطلقون دائما من كلمة " **لفظة القرآن**" لما لهذا المصطلح من تقدير وتقديس وفضل على بناء عقيدة الإسلام الصحيح، ولكن شتان ما بين القرآن الكريم، وبين قرءانات المتنبئين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، فانتهت مزاعمهم بانتهاء أكاذيبهم .والبقاء للأصلح.

11- من حق كل أمة أن تدافع عن مقدساتها، ومن الواجب على كل فرد أن يحترم حقوق غيره، ومن حق الشعوب أن تحمي حقوقها بالتضامن والتعاون، إذ ما ضاع حق من ورائه مطالب، والسكوت عن الحق مساهمة في إضاعته، ودكتاتورية الأغلبية لم تعد مقبولة إذا جانبت الصواب ووضعت الشيء في غير محله، وذلك هو بداية الفتن في الداخل والخارج، والأجنبي لن يكون لك أبدا أخا شقيقا كما تتمنّاه .وقد تبين لنا ذلك في صراعات برغواطة مع الأقارب والأباعد، لكن بفضل تضامنها الداخلي، واعتمادها على الاكتفاء الذاتي، ولمقاومتها لعدة قرون، استمرت مملكتها في وطنها آخر عهدها بتامسنا.

12- واعلم أن دولة برغواطة المغربية قد انتشر فيها تعدد الأديان السماوية قبل الإسلام، كما لا تخلو من مذاهب تسربت إليها من فتن الشرق، كما تجذّرت فيها عادات

وطقوس قديمة، إلى أن أكرم الله هذا المغرب بكلمة التوحيد، وتوحيد الكلمة، فاختار المغاربة مذهب مالك كعمل أهل المدينة، ومعناه من أعمال الرسول مباشرة.فأصبح مغربنا حاليا نموذجا يحتذى باعتراف العالم في عهد جلالة ملكنا سيدي محمد السادس،أبقاه الله لنا وللجميع. والسلام.

فهرس

تقديم

مقدمة 1

أهمية شمال أفريقيا: تامازغا 5

من هم برغواطة؟ 6

متى بدأت دولة برغواطة ؟ 8

تشريع برغواطة 9

ثقافة دولة برغواطة 9

انتشار الديانات السماوية عند برغواطة 10

دولة برغواطة بين القوة والضعف 11

غزو برغواطة بمصطلحات شرقية 13

أسباب ظهور الطوائف الدينية 15

أسباب ثورة الأمازيغ على الولاة الشرقيين 16

رمزية البيعة لإدريس الأول 17

انفصال الصداقة بين العرب والأمازيغ 21

قرآن برغواطة بهذا الاسم 21

نماذج من قرآنات المتنبئين 21

اتهامات برغواطة من أجل غزوها 27

الشك مصدر اليقين 32

ظهور بوادر الردة 36

رسوم النطفاء 38

تكفير برغواطة لعزلهم عن المجتمع 41

دولة برغواطة عن البكري 42

مقارنة بين القرامطة وبرغواطة 52

دولة برغواطة عن ابن حوقل 57

همسات في تسجيلات ابن حوقل 60

دولة برغواطة عن ابن خلدون 62

الخبر عن حاميم المتنبئ 67

العنصرية من أخطر أساليب البشر 81

دولة برغواطة عن ابن الرقيق 94

دولة برغواطة عن ابن عذاري 97

دولة برغواطة عن كتاب القرطاس 101

شهادة الحسن الوزان حول كتابة الأفارقة 106

دولة برغواطة عن كتاب الاستبصار 109

دولة برغواطة عن كتاب أخبار المهدي 114

دولة برغواطةعن كتاب الحلل الموشية 116

قضية برغواطة مبهمة 117

دولة برغواطة بقلم النسابين 119

محاربة المرتدين عن الإسلام 123

إرسال الأمراء و معهم العهود 124

مرشدة المهدي بن تومرت 129

استمرار مقاومة برغواطة 131

دفاع برغواطة عن تامسنا 132

الإسلام ضد العنصرية 193

من تاريخ الديانات في شمال أفريقيا 142

العنصرية في المفتي وليس في الكتاب 146

هل لبرغواطة قرآن أم تشريع أو ترجمة 159
دور تحويل القبلة في المجتمع 169
شكاية أعيان الأمازيغ بظلم ولاة الشرق 170
ميسرة المدغري من أكبر زعماء الأمازيغ 171
دور الدين في المجتمع 174
دوافع الردة في المجتمع البدوي 182
دفع عرب الجزيرة إلى الفتوحات 184
المد العربي وجزره 187
من هم الخوارج في شمال أفريقيا ؟ 189
أسباب انتشار الزندقة 191
رأي ابن خلدون في القرامطة 197
رأي ابن خلدون في الأمازيغ 198
علاقة المرابطين ببرغواطة 200
ثلاثة أحوال في الصلاة 205
دليل انتشار الصلوات في المغرب قبل الفتح 207
دور الزكراكة الأحرار 210
مصطلحات التكفير سلاح المتشددين 214
رسالة الرسول إلى النجاشي 215
وقفة لا بد منها 217
ثلاثة أحوال في الصيام 218
تسرب المذاهب الشرقية إلى شمال أفريقيا 219
دولة برغواطة من قبيل المصامدة 226
حوار العامري 228

التعدد في تشريع برغواطة أهمها أزرف (العرف) 229
الصلاة عماد الدين والزكاة روحه 231
من نتائج احتكار القرآن 232
كتاب الرسول إلى يهود خيبر 234
حوار عبد الله بن سلام مع الرسول 234
حصار دولة برغواطة في تامسنا 241
مصمودة من معظم سكان المغرب 250
برغواطة من أعلام المغرب 251
مسألة المهدوية 253
مقارنة المرشدة للمهدي مع عقيدة المعتزلة 254
أبحاث في دين الأمازيغ 256
الخاتمة 259

نموذج المقاومة المغربية في دولة برغواطة الأمازيغية
جُهادي الحسين
الطبعة الأولى ⚔ 2014/2964 م
نشر المؤلف
© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
لوحة الغلاف لفنان مصري حوالي 1300 قبل الميلاد
مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء
الإيداع القانوني رقم : 2014 MO 0174
ردمك : 978-9954-33-097-5